أول قمة عربية أوروبية: توقعات دون المأمول ص6

تركي الدخيل

يستبدل حقيبة الدبلوماسي بمهمة الإعلامي

ص8

كيف وقع ميشيل فوكو في فخ الجنون الإيراني

ص10

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/02/24

19 جمادى الثانية 1440

السنة 41 العدد 11269

Sunday 24/02/2019

41st Year, Issue 11269

تنازلات البشير لا ترضي المعارضة

● الرئيس السوداني يعيّن وزير الدفاع نائبا له ورئيسا جديدا للحكومة وقادة عسكريين كحكام للولايات

❑ **الخرطوم** – رفضت المعارضة السودانية "تنازلات" الرئيس عمر حسن البشير، معلنة تمسكها بالتظاهر إلى حين تنحيه، في وقت بدا أن الرئيس السوداني، الذي يوحي بالتخلي عن قيادة الحزب الوطني الحاكم، استمر بالرهان على المؤسسة العسكرية للسيطرة على الحكم من خلال وضع قيادات عسكرية موالية له على رأس مختلف الولايات. كما أجرى تغييرات عديدة توحي بالرغبة في التغيير الشامل.

وأصدر الرئيس السوداني، السبت، مرسوماً بتعيين محمد طاهر أيلا رئيساً للحكومة، ومرسوما آخر عين بموجبه وزير الدفاع المكلف الفريق أول ركن عوض محمد أحمد بن عوف في منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية بديلا لبكري حسن صالح.

ويشغل عوض محمد أحمد بن عوف منصب وزير الدفاع منذ عام 2015 وسبق له أن شغل منصبي نائب رئيس هيئة الأركان ومدير الاستخبارات العسكرية.

وقد أعاد البشير تعيينه أيضا وزيرا للدفاع بعد حل حكومة النائب الأول السابق للرئيس بكري حسن صالح.

وأعلن الحزب الحاكم، بدوره، عن تأجيل مؤتمره العام المقرر في أبريل القادم، في مسعى للإيحاء بدخول مرحلة جديدة يتم فيها تغيير شامل بما في ذلك الحزب الحاكم الذي يراد له أن يتحمل بدوره الجزء الأكبر من فشل تجربة الإنقاذ التي استمرت لمدة ثلاثين عاما.

ورفض حزب الأمة، أكبر أحزاب المعارضة في السودان، إعلان البشير حالة الطوارئ، مؤكدا بأن المتظاهرين سيواصلون تحركهم.

وقال حزب الأمة القومي المعارض في بيان إن "حل الحكومات.. وفرض الطوارئ هو تكرار للفشل الذي ظل حاضرا خلال ثلاثين عاما".

وأضاف البيان أن "الشارع الثائر لن يرضى إلا بتحقيق مطالبه برحيل النظام".

ورمى حزب الأمة القومي، بزعامة الصادق المهدي، الذي كان رئيسا للحكومة عندما تولى البشير السلطة في انقلاب مدعوم من الإسلاميين في 1989، بثقله خلف الاحتجاجات.

ووقع الحزب على "وثيقة الحرية والتغيير"، التي وقعها أيضا الحزب الشيوعي والعديد من المجموعات المتمرّدة الأخرى في مختلف مناطق السودان.

ويحدد نصّ الوثيقة خطة لما بعد حكم البشير، من بينها إعادة بناء السلطة القضائية ووقف التدهور الاقتصادي، الذي يعتبر السبب الرئيسي للاحتجاجات.

وكان البشير أعلن، مساء الجمعة، حالة الطوارئ لمدة عام ودعا البرلمان إلى تأجيل تعديلات دستورية كانت ستمكنه من السعي لفترة رئاسية جديدة في انتخابات الرئاسة عام 2020. كما أعلن حل الحكومة المركزية وحكومات الولايات.

وقال البشير إنه يتعين على الحكومة الجديدة اتخاذ إجراءات اقتصادية حازمة مضيفا أنه سيوكل هذه المهمة لفريق مؤهل.

وشجع أيضا المعارضة على التحرك إلى الأمام والمشاركة في حوار، داعيا "القوى المعارضة التي لا تزال خارج مسار الوفاق الوطني ووثيقته للتحرك إلى الأمام والانخراط في التشاور حول قضايا الراهن والمستقبل عبر آلية حوار يتفق حولها".

وفي بيان لاحق شكل البشير حكومة لتصريف الأعمال تضم مسؤولا كبيرا من كل وزارة ولكنه أبقى وزراء الدفاع والخارجية والعدل في مناصبهم.

ووصف معارضون ونشطاء على مواقع التواصل حزمة الوعود التي أطلقها البشير بأنها مناورة غير جديدة على الرئيس السوداني، الذي بدا وكأنه يستعيد أسلوب الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك قبل أن تطيح به ثورة 25 يناير 2011، بالسعي لامتصاص غضب الشارع وإرباك المعارضة بالوعود والتنازلات على أن يبقى هو على رأس السلطة.

تغييرات بالجملة لأجل الخلاص الفردي

وقال هؤلاء إن الهدف من حزمة التنازلات المتتالية هو التأثير على حماس الثوار وزرع الخلافات بين المتظاهرين العاديين والأحزاب التي تبحث عن قرارات سياسية فيما يبحث الشارع عن قرارات تتعلق بالوضع الاقتصادي والاجتماعي، وهو ما غاب تماما عن كلمة البشير.

ولطالما شكلت المصاعب المالية في السودان عاملا من عوامل الإحباط الشعبي، قبل أن ينفجر الغضب في الشارع بعد ارتفاع أسعار الخبز.

وتسبب التضخم ونقص العملة الأجنبية بإنهاك الاقتصاد. وقال البشير في خطابه أمام مستشاريه وأعضاء حكومته المقالة "بلادنا تجتاز مرحلة صعبة ومعقدة هي الأصعب في تاريخها الوطني".

وأضاف "التحديات الاقتصادية لا بد من التصدي لها بكفاءات مقتدرة ولذا سأكلف حكومة بمهام جديدة وبكفاءات مقتدرة".

لكن المثير أن البشير أصدر، السبت، قرارات جمهورية بتعيين 6 وزراء اتحاديين و18 واليا (حاكم ولاية) ينتمون كلهم إلى الجيش والشرطة، لتسيير أعمال الحكومة.

وأفادت وكالة الأنباء السودانية، فجر السبت، أن الرئيس عمر البشير أصدر مراسيم جمهورية بحل مجلس الوزراء القومي وتكليف وزراء وأمناء عامين بتصريف مهام الوزارات، إلى جانب "إعفاء ولاة ولايات وحل حكومات ولايات وتكليف ولاة ولايات".

وتقول أوساط معارضة إن إقالة الحكومة لا تعني سوى محاولة لتحميل الوزراء المقالين مسؤولية الفشل، فيما عمد البشير بالتوازي إلى الإمساك بالوضع بشكل آخر عبر تعيين قيادات عسكرية على رأس مختلف الولايات، ما يتيح له إعادة ترميم السلطة بانتظار مناورة جديدة تحيي مساعيه لتعديل الدستور بشكل يمكنه من الترشح مرة أخرى.

قوات خاصة يمنية تسيطر على موقع للقاعدة في أبين

❑ **عدن** – أعلنت قيادة الحزام الأمني في اليمن، السبت، عن تنفيذ عملية أمنية ضد أهم معاقل القاعدة في محافظة أبين اليمنية كان التنظيم يستغلها كمعقل للتدريب. وتمت العملية بدعم وإسناد من قوات التحالف العربي، في خطوة تعكس أن التحالف يخوض معارك على واجهات مختلفة ضد التطرف سواء ما تعلق بالمتمردين الحوثيين أو بالتنظيمات المتشددة السنية.

وقال مصدر في قيادة الحزام الأمني، وهي قوات خاصة مدربة بشكل جيد، إن قوات الحزام نفذت هجوما سريعا تخلله اشتباك مسلح مع عناصر من تنظيم القاعدة بوادي عومران، وأن العملية انتهت بنجاح وسيطرة قوات الحزام على الوادي.

ويأتي هذا الهجوم في سياق حملة أمنية واسعة أطلقت في نهاية يناير الماضي لملاحقة أفراد مرتبطين بالقاعدة في المنطقة.

وكان تقرير خبراء الأمم المتحدة حول اليمن الصادر في يناير 2019 قد أشاد بجهود السعودية والإمارات في مكافحة الإرهاب في اليمن، معتبرا أن تلك الجهود قد أدت إلى انحسار التنظيمات المتطرفة جنوب اليمن، وخاصة تنظيم القاعدة.

ويسجل خبراء الشؤون الأمنية تراجعا كبيرا وانحسارا في أنشطة تنظيم القاعدة، خصوصا بعد خسارته مواقع حيوية على رأسها مدينة المكلّا مركز محافظة حضرموت، لكنهم ينبهون إلى أن التنظيم لا يزال قادرا على تنفيذ عمليات دامية هادفة إلى إرباك الوضع ومنع بسط الاستقرار.

وكان تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وهو جناح التنظيم في اليمن، قد سيطر لفترة وجيزة على المكلا والعديد من البلدات والمدن الأخرى في محافظات شبوة وأبين والبيضاء. وطردته القوات المحلية المدعومة من الإمارات، من هذه الأماكن في سلسلة من العمليات العسكرية على مدى العامين الماضيين. لكن المسلحين ما زالوا ينشطون في المناطق النائية في جنوب شرق اليمن، بما في ذلك أبين وشبوة والبيضاء.

وسعى التنظيم المتشدد للاستفادة من الحرب على المتمردين الحوثيين لتأمين بقائه في المناطق الجنوبية، لكن التحالف العربي نجح في فتح جبهة على التنظيم، بالتوازي مع مواجهات يومية مع المتمردين.

وأعلنت قوات الجيش اليمني المدعومة من التحالف العربي، السبت، تحرير مواقع استراتيجية في محافظة حجة، القريبة من الحدود السعودية.

الحزب الحاكم في الجزائر يطلق حملة للالتفاف على مطالب المحتجين

● معاذ بوشارب يستفز المتظاهرين: صح النوم لمن يريدون التغيير ● الوكالة الرسمية تلمّح إلى انسحاب بوتفليقة من سباق الرئاسة

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – حملت الأنفاس الأخيرة من الاحتجاج الشعبي الحاشد، ضد ترشح الرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة لولاية رئاسية خامسة، رسائل قوية إلى السلطة، بتوجه المتظاهرين إلى مقار مؤسسات سيادية على غرار البرلمان والحكومة ورئاسة الجمهورية، وحتى مقر وكالة الأنباء الرسمية، التي شذت عن تقاليد الإعلام المحلي، وبثت برقية مثيرة بشأن انسحاب بوتفليقة من سباق الرئاسة.

وتجددت، السبت، دعوات الاحتجاج والتظاهر، خاصة بعد ما وصفه ناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي بـ"استفزازات" المنسق العام لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم معاذ بوشارب، الذي خاطب الرأي العام في تجمع حزبي في مدينة وهران انعقد، أمس، بالقول "للذين يريدون التغيير نقول أحلاما سعيدة.. صح النوم".

وأظهر خطاب معاذ بوشارب تجاهلا لرسائل المتظاهرين وللمطالب المرفوعة، وحاول الالتفاف عليها بما وصفه بـ"رغبة الرئيس بوتفليقة في التغيير، والسهر على الإصلاحات الشاملة من خلال الندوة الوطنية"، ولم يأبه لدعوات الرحيل الصريحة التي نادى بها المحتجون.

والمحت برقية لوكالة الأنباء الرسمية في الجزائر إلى إمكانية انسحاب بوتفليقة من سباق الانتخابات الرئاسية المقررة في أبريل القادم، وحملت مفرداتها تمهيدا لانتقال السلطة إلى خطة بديلة تخوض بها غمار الاستحقاق الرئاسي دون المترشح الحالي.

وكشفت الخطوات الأخيرة من الاحتجاج عن مدى الغضب الشعبي من السلطة.

وذكر مصدر تابع أطوار المسيرات الشعبية في العاصمة، بأن محتجين اقتحموا مبنى وكالة الأنباء الرسمية المحاذي لمبنى وزارة الاتصال في حي الينابيع حيث تم استقبالهم هناك، وقامت الوكالة بعد ذلك ببرقية تغطية للمسيرات الرافضة للولاية الخامسة والمنددة بالسلطة.

وجاء في البرقية تقرير عن مظاهرات سلمية بالجزائر العاصمة ومناطق أخرى بالبلاد تعبيرا عن مطالب ذات طابع سياسي، وأن المتظاهرين تنقلوا مباشرة بعد صلاة الجمعة حاملين أعلاما وطنية ولافتات كتب عليها "نعم للعدالة" و"مسيرة سلمية" و"تغيير وإصلاحات"، وطالبوا بوتفليقة بالعدول عن الترشح لعهدة جديدة.

واحتفظت وكالة الأنباء الرسمية طيلة مسارها بتقاليد الإعلام الحكومي المهتم بشؤون النشاط والقرار الرسميين، لكنها تميزت في الفترة الأخيرة بالانفتاح على بعض الأحداث، كما هو الشأن لإقالة الأمين العام السابق للحزب الحاكم جمال ولد عباس.

كما تعاطت مع فرض النائب البرلماني معاذ بوشارب، كرئيس للغرفة البرلمانية الأولى (المجلس الشعبي الوطني)، رغم عدم شرعية ودستورية قرار الأغلبية البرلمانية بتنحية الرئيس سعيد بوحجة.

وجاءت الإشارة إلى مطالب المتظاهرين برفض الولاية الخامسة لبوتفليقة، تعبيرا ضمنيا عن قرار يطبخ أو موقف جهة معينة في السلطة لسحب ترشيح بوتفليقة بغية احتواء الغضب الشعبي.

وكان توجه المحتجين، مساء الجمعة، إلى مبنى الرئاسة ورئاسة الوزراء والبرلمان، قد أبلغ رسائل قوية للسلطة، ولا يستبعد أن يتم الانتقال إلى خطة بديلة، ولو أن الأمر في غاية التعقيد بسبب صعوبة تحقيق إجماع بين أركان السلطة على مرشح يخلف بوتفليقة.

ويخيم الصمت على أركان السلطة وعلى القوى السياسية الموالية لها، وباستثناء تلميح الوكالة الرسمية لم يصدر أي موقف إلى حد الآن إلا تسريبات عن اجتماع لرئيس أركان الجيش الجنرال أحمد قايد صالح، مع كبار الضباط والجنرالات لبحث التطورات، والخيارات المتاحة للتعاطي مع الوضع الداخلي.

مأساة الجزائر... ولبنان أيضا

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

قانون الطوارئ في تونس: صمام أمان أم وسيلة قانونية لقمع الحريات

جبهة رفض واسعة تعارض قانونا جديدا يدعم صلاحيات السلطات

منذ أن تم إيداع مشروع قانون حالة الطوارئ من قبل رئاسة الجمهورية التونسية بمكتب الضبط التابع للبرلمان التونسي، لا يكاد يمر يوم دون أن تتوسّع جبهة الرفض أو المواقف المناهضة له، فجل المواقف والبيانات الصادرة عن أحزاب ومنظمات وجمعيات تعنى بحقوق الإنسان أكّدت أنه سيضاعف صلاحيات السلطات بما يسمح بتقييد الحريات.

❑ **تونس** – منذ أن وصف وزير الدفاع التونسي عبدالكريم الزبيدي قانون الطوارئ المعتمد في البلاد بأنه غير دستوري في موفى عام 2018، وهو ما يستدعي وجوبا سن قانون جديد يستجيب لحاجات البلاد الحقيقية، عكفت مؤسسة رئاسة الجمهورية على إعداد مشروع قانون جديد وقدّمته منذ أشهر للبرلمان التونسي لمناقشته من قبل مختلف الأحزاب السياسية ومن ثمة المصادقة عليه.

لكن مشروع القانون ووجه ومنذ الساعات الأولى التي أودع فيها بمكتب ضبط مجلس نواب الشعب (البرلمان)، بجبهة رفض واسعة من قبل جل الأحزاب وكذلك المنظمات المعنية بحقوق الإنسان بتعلة أنه سيزيد من تقييد الحريات والحقوق.

وترى العديد من الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني أن مواصلة العمل بإعلان حالة الطوارئ خاصة وأن البلاد مقبلة على انتخابات تشريعية ورئاسية، لا طائل منها لأن القانون سيصبح بمثابة حجة قانونية تسلطها السلطات على رقاب التونسيين لكبح حرياتهم وخاصة تحركاتهم الاحتجاجية.

> العديد من الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني ترى أن مواصلة العمل بإعلان حالة الطوارئ، حجة قانونية تسلطها السلطات على رقاب التونسيين لكبح حرياتهم وخاصة تحركاتهم الاحتجاجية

وبين مبررات السلطات ومواقف جبهة الرفض لقانون الطوارئ وخاصة لمشروع القانون الجديد المودع بمجلس نواب الشعب، تتباين المواقف ما يحتّم وجوبا طرح التساؤل هل أن قانون الطوارئ هو صمام وركيزة أساسية لتأمين البلاد من المخاطر الإرهابية، أم أنه أصبح مطية السلطات لقمع الحقوق والحريات؟

ومنذ أن عقدت لجنة الحقوق والحريات والعلاقات الخارجية بالبرلمان جلسة مع ممثلين عن وزارة الداخلية حول مشروع قانون تنظيم حالة الطوارئ وبالرغم من التوضيحات المقدمة، إلا أن المخاوف متواصلة لدى الرأي العام التونسي وخاصة

مخاوف من تقييد حرية الاحتجاج في تونس

لدى الأحزاب والمنظمات. ويرى مراقبون أن مشروع القانون يسمح للسلطة التنفيذية بمنع الإضرابات والمظاهرات التي تُعتبر خطرا على النظام العام، علاوة على فرض الإقامة الجبرية على كل شخص "يتعمّد ممارسة نشاط من شأنه تهديد الأمن"، وتعليق نشاط الجمعيات لمجرد الاشتباه في مشاركتها في أفعال مضرة، خاصة أن مشروع القانون لا ينص على مراجعة قضائية كافية للتدابير المتخذة بموجب هذه الصلاحيات.

وقالت آمنة القلالي، مديرة مكتب هيومن رايتس ووتش في تونس، إن "الصلاحيات غير المحدودة التي يمنحها مشروع القانون تمثّل خطرا على العديد من الحقوق التي تجنّد التونسيون لحمايتها منذ ثورة 2011. يجب أن تكون صلاحيات الطوارئ محددة النطاق والمدة وخاضعة لمراجعة السلطة القضائية".

وتؤكد رئاسة الجمهورية صاحبة مشروع القانون الجديد أن حالة الطوارئ بصفتها الحالية تستند إلى مرسوم رئاسي لسنة 1978، يسمح للرئيس بإعلانها لمدة تصل إلى 30 يوما، قابلة للتجديد، استجابة لاضطرابات أمنية خطيرة، إلا أنه يتضمن العديد من الإخلالات التي لا تتماشى مع بنود الدستور الجديد الذي تم سنه عام 2014. فيما ترى جبهة الرفض لمشروع القانون الجديد أنه، بدل تحقيق التوازن، سيفاقم من صلاحيات السلطات الواسعة لتقيّد حرية التعبير والتجمع وتكوين الجمعيات والتنقل، بالإضافة إلى الحقوق النقابية، دون موافقة قضائية مسبقة.

ويحدد مشروع القانون الجديد "حالة الطوارئ" بشكل أوسع مما يسمح به القانون الدولي، والذي ينص على منع تعليق حالات الطوارئ للحقوق الأساسية إلا عندما يكون الوضع "مهددا لحياة الأمة". ويسمح التشريع بإعلان حالة الطوارئ لمدة 6 أشهر بمقتضى أمر رئاسي، بعد استشارة رئيس الحكومة ومجلس الأمن القومي، يمكن تمديدها إلى 3 أشهر إذا استمر حصول أحداث "تكتسي خطورتها صبغة الكارثة" أو في حالة "خطر وشيك يهدد الأمن والنظام العام"، ما يعطي السلطة التنفيذية إمكانية تأويل القانون بشكل يسمح بتجديدها إلى أجل غير مسمّى.

وبموجب مشروع القانون الجديد، لدى الولاة (المحافظين) ووزير الداخلية نفس صلاحيات قانون 1978 لمنع أي شخص "يتعمد عرقلة نشاط السلطات العمومية" من مناطق جغرافية معيّنة. ويمكن للمسؤولين أيضا فرض الإقامة الجبرية ومنع الاجتماعات والتجمعات والمظاهرات التي من شأنها أن تشكل خطرا على الأمن والنظام العام، وإغلاق القاعات المخصصة للاجتماعات العمومية.

وتتمسك جل الأحزاب السياسية والمنظمات الرافضة لتواصل إعلان حالة الطوارئ في البلاد أو مشروع القانون الجديد، بأن السلطات التونسية وضعت في الأعوام الأخيرة أكثر من 130 شخصا تحت الإقامة الجبرية، ومنعت سفر المئات، متسببة في خسارة الكثيرين لوظائفهم واشتباه الأصدقاء والجيران بهم.

ومن جهتها، كانت لجنة الحقوق والحريات التي صاغت مشروع قانون المساواة في الحقوق والحريات الفردية الذي يسمح للمساواة بين الجنسين، أقرت بأن مشروع قانون الطوارئ الجديد معادٍ للحقوق والحريات العامة ويجيز صلاحياتٍ واسعة لوزارة الداخلية والوالي (المحافظ) دون الأخذ بعين الاعتبار حرمة الأشخاص.

ورغم أن رئاسة الجمهورية صاحبة مشروع القانون تؤكّد أن مشروع قانون الطوارئ، حرص على تقديم ضمانات لتفادي استغلال السلطة المخولة للجهات المعنية بتطبيق أحكام حالة الطوارئ، حيث أنه نص على أنه لا يمكن اتخاذ هذا القرار إلا بعد اجتماع مجلس الأمن القومي الذي يضم الرئاسات الثلاث وبعد استشارتها، فإن العديد من الخبراء في القانون الدستوري يشدّدون على أنه حتى وإن تمت المصادقة عليه فإنه سيبقى منقوصا بحكم أن تونس لم تستطع إلى اليوم رغم انقضاء 8 سنوات على الثورة تركيز المحكمة الدستورية، المخول الرئيس بتقييم دستورية القوانين.

وتقول سلسبيل القليبي، أستاذة القانون الدستوري، إن المبادرة الدستورية المقدّمة بشأن قانون الطوارئ تحتاج إلى الكثير من المراجعات خاصة في ما يتعلق بضبط صلاحيات السلطة التنفيذية، علاوة على وجوب تركيز المحكمة الدستورية قبل مناقشة القانون الجديد باعتبار أنها الجهة الوحيدة المخولة للبت في مدى دستورية القوانين.

هذا الجدل في تونس والذي يسيل الكثير من الحبر يفتح من جديد عدة أسئلة حول مدى تطابق التشريعات التونسية مع مبادئ دستور عام 2014 الضامن لمختلف أشكال الحقوق والحريات الفردية والعامة، خاصة أن تونس مثّلت بإجماع دولي نقطة الضوء الوحيدة عقب ثورات الربيع العربي المتجهة نحو إرساء الديمقراطية، لكنها لم تستطع إلى اليوم إتمام تركيز أهم الآليات الضامنة لها كالمحكمة الدستورية.

ألمانيا: صديق منفذ حادثة الدهس متأثر بداعش

❑ **برلين** – كشفت السلطات الألمانية أن صديقا مقرّبا من منفذ هجوم الدهس في برلين، التونسي أنيس العمري، كان يحاكي مشاهد الإعدامات التي ينفذها تنظيم داعش خلال إقامته في نزل للاجئين في العاصمة الألمانية يقيم به أطفال أيضا.

وجاء في مذكرة للمكتب الاتحادي للشرطة الجنائية، اطلعت عليها وكالة الأنباء الألمانية السبت، أن بلال بن عمار، الصديق المقرب للعمري، قام بتصوير مشاهد المحاكاة في فيديو داخل نزل اللجوء يوم 13 سبتمبر عام 2016، وظهر فيه مراهق سوري جالسا على الأرض وهو مكبل اليدين والقدمين، ويقوم طفل صغير بضربه بسيف من البلاستيك.

وبحسب البيانات، كان بن عمار يقارن ذلك بتعذيب المسلمين في ميانمار، وطلب من الطفل ضرب الشاب السوري خلال المحاكاة. وكتب المحققون في المذكرة "بعد ذلك، طلب بن عمار من الطفل أن يصيح على نحو مخيف وأوضح له كيف يتم استجواب 'مجرم أسير من نظام الأسد' حتى يعترف بجرائمه"، ثم قام بعد ذلك بمحاكاة مشهد قطع رأس على الشاب السوري.

ووفقا للمذكرة، ذكر مقيم سابق بالنزل أن بن عمار كان يُعرّف نفسه بأنه إسلامي، لكنه كان يتصرف على نحو متعاون مع إدارة النزل والأخصائيين الاجتماعيين ولم يكن ملفتا للانتباه بالنسبة لهم.

وكان بن عمار على اتصال بالعمري قبل ساعات قليلة من تنفيذ الأخير هجوم الدهس الإرهابي في أحد أسواق عيد الميلاد في برلين يوم 19 ديسمبر عام 2016.

وكشفت السلطات الألمانية أن صديق العمري كان يتنقل في ألمانيا بهويات متعددة. ومن الأسماء المستعارة التي كان يستخدمها بن عمار، فتحي مهني، وأبوبكير معوض، وأحمد حسن. ووفقا للمعلومات فقد التقى بن عمار صديقه أنيس العمري في 18 يناير عام 2018، قبل يوم من تنفيذ العمري هجوم الدهس.

وكان بن عمار معروفا لدى السلطات الألمانية بسبب تورطه في جرائم سرقة ومخدرات، والتحايل للحصول على مساعدات اجتماعية على نحو مخالف للقانون، كما كانت تصنفه السلطات على أنه إسلامي خطير أمنيا.

وكانت اللجنة البرلمانية المتخصصة في التحقيق في الهجوم الإرهابي الذي نفذه العمري طالبت باستجواب بن عمار. وأعلنت اللجنة الجمعة أن غالبية الأعضاء يؤيدون هذا القرار. ولم يتضح بعد ما إذا كان سيجري استجواب بن عمار في برلين أم في الخارج.

انتقادات تطال الحكومة لتباطؤ تنفيذ خطة التنمية المستدامة في المغرب

محمد ماموني العلوي

❑ **الرباط** – صادقت لجنة وزارية برئاسة رئيس الحكومة، سعدالدين العثماني، الجمعة، على ميثاق الإدارة العمومية في مجال التنمية المستدامة، ومن المتوقع أن يعرض على مجلس الحكومة الأيام القادمة.

وقال سعدالدين العثماني عقب الاجتماع الأول للجنة الاستراتيجية للتنمية المستدامة، إن الحكومة تعوّل أن تعطي الإدارة العمومية النموذج المثالي في التنمية المستدامة، من خلال ترشيد الموارد والاقتصاد في الماء والكهرباء واللجوء إلى استعمال الطاقات المتجددة وتدوير النفايات وتقليص استعمال الورق.

ويأتي اجتماع اللجنة بعد صدور تقرير من المجلس الأعلى للحسابات، (مؤسسة رسمية)، الأربعاء، ينتقد فيه ضعف الإجراءات الحكومية المتخذة لضمان التقارب بين هذه الاستراتيجيات والبرامج الوطنية والقطاعية مع خطة العام 2030، مسجلا عدم وضع التدابير اللازمة، على المستوى الوطني، لتحديد الأولويات وتنفيذ هذه الخطة.

ونفى العثماني أن يكون اجتماع اللجنة الحكومية بمثابة رد على تقرير المجلس الأعلى للحسابات الذي ندّد بطريقة تعاطي الحكومة مع برامج التنمية المستدامة، مشيرا إلى أن الإعداد للاجتماعات الوزارية يتم التحضير على الأقل قبل أسبوعين. في حين أقرّ رئيس الحكومة بتداخل الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة والأهداف التي رسمتها الأمم المتحدة والتي يلتزم المغرب بتطبيقها.

ويعمل المغرب على تفعيل نموذج تنموي جديد لتحقيق قفزة أخرى في مجال التنمية المستدامة تستجيب لتطلعات المواطن وتتماهى مع رغبة وتأكيد العاهل المغربي الملك محمد السادس، في خطاب افتتاح البرلمان، في أكتوبر الماضي، الذي أكد فيه على ضرورة بلورة نموذج تنموي يساهم فيه مختلف الفاعلين داخل المجتمع، وأيضا يقارب استراتيجية الألفية للتنمية المستدامة.

لكن تقرير المجلس الأعلى للحسابات كشف بعض النقائص التي تحول دون التقدم في تنفيذ خطط التنمية في المملكة. ويلفت التقرير إلى أنه رغم إحداث لجنة استراتيجية للتنمية المستدامة تحت سلطة رئيس الحكومة تعنى بتنفيذ الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، لم يشر المرسوم المتعلق بهذه اللجنة إلى أهداف التنمية المستدامة وإلى الدور الذي يمكن أن تضطلع به في تنزيل خطة 2030. ولاحظ التقرير أن تبني الأهداف والتفاعل معها وطنيا من طرف مختلف الفاعلين من أجهزة القطاعين العام والخاص والمجتمع المدني والمواطنين لم يرقيا بعد إلى المستوى المطلوب.

العثماني مطالب بالتسريع في جهود التنمية

وتمت المصادقة على الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة في يونيو 2017، واعتبر التقرير أنه كان بإمكانها أن تمثل الإطار المناسب لتحديد أولويات أهداف التنمية المستدامة والتخطيط لتنفيذ خطة 2030، غير أن التحريات التي قام بها المجلس لدى مجموعة من الفاعلين كشفت العديد من أوجه القصور المتعلقة بعملية تفعيل الاستراتيجية، الأمر الذي أدى إلى تباطئها.

وأوضح تقرير المجلس الأعلى للحسابات أن كتابة الدولة المكلفة بالتنمية المستدامة بلورت 21 اقتراحا يحدد التزامات 21 قطاعا وزاريا تحظى بالأولوية من حيث التنمية المستدامة، غير أن استجابة 21 قطاعا المعنية ظلت شبه غائبة.

وانتقد إدريس جطو، الرئيس الأول للمجلس الأعلى للحسابات، غياب أي تقديرات مالية لتمويل الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، كما لم يبذل أي مجهود لتجميع المعطيات العامة حول تمويل البرامج القطاعية والاعتمادات المخصصة وطرق استغلالها حسب طبيعة كل هدف وغاية.

وأوصى المجلس الأعلى للحسابات بإحداث هيئة ونظام، الأمر الذي يضمن انخراط مختلف المتدخلين المعنيين وتجميعهم، بهدف ضمان تنسيق وتتبع تنفيذ خطة 2030 المتعلقة بأهداف التنمية المستدامة، كما دعا إلى توسيع المشاورات مع جميع الأطراف الفاعلة على المستوى الوطني والمحلي. وتلتزم الحكومة المغربية بإنجاح الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة لما لها من آثار إيجابية على المواطن وعلى البيئة، وكذلك بتنفيذ التزاماتها الدولية المرتبطة بأهداف التنمية المستدامة –2015 2030، ودعا العثماني الجهات المعنية إلى الانخراط الفعلي في تنفيذ هذه الاستراتيجية الوطنية، وتحقيق الأهداف المرتبطة بها.

وطالب رئيس الحكومة بتتبع مدى تقدم الاستراتيجية التنموية، والوقوف عند النقائص لتجاوزها، وشدد على ضرورة التنسيق لتحقيق الأهداف المرسومة على أرض الواقع وفي الآجال المحددة.

ولا يتعلق النموذج التنموي المغربي المقترح فقط بما هو اقتصادي بل يعتمد على عناصر تشكّل الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية والثقافية والهوياتية.

واعتبر محافظ بنك المغرب عبداللطيف الجواهري أن جودة الرأسمال البشري يجب أن تكون في قلب النموذج التنموي، موضحا أن الأمر يتعلق بتنفيذ سياسة تضمن خدمة عامة فعّالة على جميع المستويات وخلق بيئة مواتية للاستثمار من خلال مكافحة الفساد وتعزيز الشفافية وعدالة النظام القضائي.

ولتجنب المشاكل التي أدت إلى فشل النموذج التنموي الحالي في بعض جوانبه يقترح الخبير الاقتصادي نجيب أقصبي أن تتوفر الدولة على إرادة حقيقية لمحاربة الاقتصاد الموازي والاحتكار، منبها إلى أنه إذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن، فإن الحكومة ستهدر المزيد من الوقت، الأمر الذي سيعيق جهود التنمية.

البنتاغون لم يستجب لطلب تركيا بشأن منطقة آمنة في سوريا

إجلاء المزيد من المحاصرين في الجيب الأخير لتنظيم الدولة الإسلامية

لم تمنح وزارة الدفاع الأميركية أنقرة إلا مجرد وعود مؤجلة بخصوص مطالبها في ما يتعلق بالملف السوري وبتسليم الداعية الإسلامي التركي المقيم في الولايات المتحدة فتح الله غولن، خلال اجتماع وزير الدفاع التركي خلوصي أكار بنظيره الأميركي باتريك شانهان في البنتاغون السبت. في الأثناء، تواصل قوات سوريا الديمقراطية إجلاء المحاصرين في الجيب الأخير لتنظيم الدولة الإسلامية في شمال شرق سوريا وغالبيتهم من عائلات الجهاديين.

❑ **إسطنبول** – لم ينجح وزير الدفاع التركي خلوصي أكار أثناء اجتماعه بنظيره الأميركي باتريك شانهان بالبنتاغون، في إقناعه بتلبية المطالب التركية المتعلقة بالملف السوري، ولا بتلك المتعلقة بتسليم الداعية فتح الله غولن الذي تتهمه أنقرة بتدبير محاولة الانقلاب الفاشلة 2016.

وقال أكار السبت، في تصريحات نقلتها وكالة الأناضول للأنباء، لمسؤولين في وزارة الدفاع الأميركية إنه ينبغي ألا يكون هناك فراغ أثناء انسحاب القوات الأميركية من سوريا.

وصرح "الأميركيون وافقوا على منع التأخير في خارطة طريق منبج واستكمالها في أقرب وقت، وقالوا إنهم سيدرسون هذا الأمر". وأضاف "طرحنا أيضا مسألة تسليم زعيم منظمة غولن وبقية أعضائها، وسنواصل متابعة هذه القضية عن كثب خلال الأيام المقبلة".

> قوات سوريا الديمقراطية تقترب من حسم المعركة ضد تنظيم الدولة الإسلامية المحاصر في مساحة لا تتخطى نصف كيلومتر مربع داخل بلدة الباغوز تمهيدا لإعلان انتهاء «الخلافة»

وذكر بيان لوزارة الدفاع التركية، السبت، أن اجتماعا ثنائيا وآخر على مستوى الوفود انعقد في مقر وزارة الدفاع الأميركية، بحضور رئيسي هيئتي الأركان في البلدين تناول التعاون الثنائي في المجال الدفاعي والعمليات الجارية ضد تنظيم داعش في سوريا ومخاوف تركيا إزاء الدعم الأميركي لتنظيم "ي.ب.ك/ ب.ي.د".

وكان ترامب قد أعلن في ديسمبر الماضي سحب كل القوات الأميركية من سوريا، وقوامها

خضوع تام لعمليات تدقيق الهويات

2000 فرد، بعدما قال إنهم هزموا تنظيم الدولة الإسلامية هناك. وأثار القرار المفاجئ غضب حلفاء ومشرعين أميركيين.

لكن ترامب عدّل قراره حيث وافق على إبقاء حوالي 200 جندي في شمال شرق سوريا، على أمل إقناع الأوروبيين المتحفظين، بالمشاركة في قوة مراقبة تضم نحو ألف جندي لحماية الحلفاء الأكراد لإقامة "منطقة آمنة" في شمال شرق سوريا.

وتتوقع قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من واشنطن إجلاء المزيد من المحاصرين في جيب تنظيم الدولة الإسلامية في شرق سوريا غداة خروج أكثر من ألفي شخص، غالبيتهم من عائلات الجهاديين، تزامنا مع تأكيد الأمم المتحدة الحاجة الماسة لمساعدات إنسانية لمخيمات النزوح شمالا.

وأجلت قوات سوريا الديمقراطية منذ الأربعاء نحو خمسة آلاف شخص من الباغوز بدير الزور شمال شرق سوريا، بينهم عدد كبير من النساء والأطفال، وصل 2500 منهم وفق الأمم المتحدة إلى مخيم الهول شمالا، الذي يشهد أوضاعا إنسانية مأساوية وفي حاجة ماسة إلى مساعدات عاجلة.

وتقترب هذه القوات المؤلفة من فصائل كردية وعربية من حسم المعركة ضد التنظيم المحاصر في مساحة لا تتخطى نصف كيلومتر مربع داخل بلدة الباغوز، تمهيدا لإعلان انتهاء "خلافة" أثارت الرعب طيلة سنوات.

وقال المتحدث باسم حملة قوات سوريا الديمقراطية في دير الزور عدنان عفرين السبت "المعبر مفتوح من جهتنا ونأمل أن يأتي عدد أكبر من المدنيين" من جيب التنظيم، "لكن ذلك يتوقف على ما إذا كان مقاتلو داعش سيتركون مجالا للمدنيين حتى يخرجوا".

وقدّر عفرين خروج "أكثر من ألفي شخص من نساء وأطفال ورجال" الجمعة من الباغوز، يُرجح أن غالبيتهم من عائلات الجهاديين، تم نقلهم إلى منطقة في وسط صحراء ريف دير الزور الشرقي، تمهيدا لإتمام عمليات الفرز ثم نقلهم إلى مخيم الهول شمالا أو مراكز اعتقال.

ولا تتوفر لدى قوات سوريا الديمقراطية راهنا أي تقديرات لعدد مقاتلي التنظيم الذين يتحصن عدد كبير منهم في أنفاق وأقبية تحت الأرض داخل الباغوز.

ومن شأن استكمال إجلاء المحاصرين أن يحدد ساعة الصفر لقوات سوريا الديمقراطية من أجل حسم المعركة سواء عبر استسلام الجهاديين أو إطلاق الهجوم الأخير ضدهم.

وقال مدير المركز الإعلامي في قوات سوريا الديمقراطية مصطفى بالي الجمعة "ننتظر إجلاء آخر المدنيين لاتخاذ قرار الاقتحام".

وأعلنت هذه القوات قبل أسبوع أنها باتت "تتحرك بحذر" بعد تضييق الخناق على مقاتلي التنظيم، لإفساح المجال أمام المدنيين بالخروج، بعدما فاق عددهم توقعاتها. واتهمت التنظيم باستخدامهم كدروع بشرية.

وبعد إنهاء عملية التفتيش والتدقيق في الهويات وجمع المعلومات الشخصية، يُنقل المدنيون لاسيما النساء والأطفال إلى مخيم الهول شمالا، الواقع على بعد ست ساعات عن الباغوز بينما يتم إيداع المشتبه بانتمائهم إلى التنظيم المتشدد في مراكز تحقيق خاصة.

ويكتظ مخيم الهول، الذي تديره قوات سوريا الديمقراطية في محافظة الحسكة (شمال شرق)، مع وصول المزيد من الأشخاص إليه. ويؤوي المخيم، الذي يضم قسما خاصا بعائلات الجهاديين، 40 ألف شخص وفق ما أفاد مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة على تويتر ليل الجمعة.

العراق والأردن يعززان تعاونهما الاقتصادي

❑ **عمان** – اتفق الأردن والعراق على عدد من الآليات لتعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين، وخاصة في مجالات التجارة البينية وتحفيز القطاع الخاص على إقامة المشاريع الاستثمارية وتسهيل حركة النقل البري بينهما بما يخدم المصالح المشتركة.

جاء ذلك خلال مؤتمر "منتدى أعمال الأعمال الأردني العراقي" الذي عقد في غرفة صناعة الأردن في عمّان، السبت، لبحث العلاقات التجارية والاستثمارية بحضور وزير الصناعة والتجارة والتموين طارق الحموري، ونظيره العراقي الدكتور صالح الجبوري لمتابعة تنفيذ الاتفاقيات الأخيرة بين الأردن والعراق.

وقال الحموري إنه "تم الاتفاق على إعفاء البضائع العراقية القادمة عبر ميناء العقبة من 75 بالمئة من رسوم المناولة في الميناء، والانتقال من تبادل السلع على طريبيل وتحويلها للنقل المباشر من المصدر للمستهلك، حيث تستطيع الناقلة العراقية الدخول للأردن دون إفراغ البضائع عند الحدود، وكذلك الأمر للناقلات الأردنية، ما سيقلل من كلفة النقل ومدته".

وأضاف الحموري أن الأردن سيزود العراق بالطاقة الكهربائية، وسيتم الانتهاء من الدراسات الفنية خلال 3 أشهر، وسيطبق الربط على أرض الواقع خلال أقل من سنتين.

من جانبه، أوضح الوزير العراقي أنه سيتم دراسة أنبوب النفط العراقي خلال الفترة المقبلة، لافتا إلى أنه "تم الاتفاق على بيع العراق للأردن 10 آلاف برميل نفط يوميا، مع الأخذ بعين الاعتبار كلف النقل، واختلاف المواصفات في احتساب سعر النفط، الأمر الذي سيفتح باب تصدير النفط العراقي إلى الأردن، ويساهم في زيادة حركة النقل والشاحنات لدى الجانبين".

وكان العراق قد استأنف عملية التصدير البري للنفط إلى الأردن عبر منفذ طريبيل الحدودي الوحيد بينهما، مطلع فبراير الجاري، عند توقيع مسؤولين من البلدين عددا من الاتفاقيات لتعزيز التعاون التجاري بين عمّان وبغداد.

والتقى، آنذاك، رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي نظيره الأردني عمر الرزاز رفقة وفدين رفيعي المستوى، في خطوة رمزية، في قاعة اجتماعات استحدثت داخل خيمة بيضاء نصبت عند المعبر الرابط بين البلدين الذي أعيد افتتاحه في نهاية أغسطس 2017.

ويبعد هذا المعبر الوحيد بين البلدين المعروف بطريبيل من الجانب العراقي والكرامة من الجانب الأردني نحو 370 كيلومترا عن عمّان وحوالي 570 كيلومترا عن بغداد، وكان قد أغلق بعد سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على مناطق غرب العراق في 2014. وكان المنفذ يشهد حركة نقل للمسافرين والبضائع ونقل النفط العراقي الخام إلى الأردن في صهاريج.

موعد دخول المساعدات فصل حاسم في النزاع على السلطة بفنزويلا

❑ **أورينيا (فنزويلا)** – يعد موعد دخول المساعدات الإنسانية من كولومبيا إلى فنزويلا السبت والذي حدده المعارض خوان غوايدو تحديا جديدا للرئيس نيكولاس مادورو وفصلا حاسما في النزاع على السلطة في البلد الذي يعيش أزمة تزداد حدة يوما بعد يوم.

وارتفعت حدة التوتر على الحدود بين فينزويلا وكولومبيا، السبت، عندما أطلقت القوات الفنزويلية الغاز المسيل للدموع وطلقات مطاطية لتفريق حشد كان يطالب بعبور جسر أورينيا المؤدي إلى كولومبيا من أجل العمل، وفق ما نقلت تقارير إعلامية.

وهتف الناس "نريد أن نعمل" أثناء مواجهتهم شرطة مكافحة الشغب التابعة للحرس الوطني الفنزويلي التي كانت تقطع المعبر، وهو أحد المعابر العديدة التي أمر الرئيس نيكولاس مادورو بقطعها مساء الجمعة. ويعتزم أنصار زعيم المعارضة خوان غوايدو في كولومبيا عبور الحدود حاملين مواد إغاثة إلى فنزويلا.

وأغلقت حكومة الرئيس نيكولاس مادورو الحدود مع استعداد زعماء بالمعارضة لإدخال مساعدات إنسانية إلى فنزويلا ضد رغبة الحزب الاشتراكي الحاكم.

ويرى مراقبون أن النزاع على السلطة في فنزويلا شهد فصلا حاسما السبت وهو اليوم الذي حدده المعارض خوان غوايدو لإدخال المساعدات الإنسانية المخزنة على الحدود الكولومبية التي أغلقها الجيش.

وينوي متطوعون معارضون في البرازيل وكولومبيا الوصول إلى الحدود للمساعدة في حمل مساعدات إنسانية إلى المرضى والجائعين من السكان الذين يعانون انهيارا اقتصاديا في ظل رئاسة مادورو.

وهناك احتياج بالفعل لمواد غذائية أساسية وأدوية، لكن المسعى يهدف أيضا إلى إحراج ضباط الجيش الذين يواصلون دعم حكومة مادورو التي تزداد عزلة.

وسيكون الدور الذي سيختار الجيش القيام به حاسما. وقد أمره مادورو بعدم السماح بدخول المساعدة التي أرسلتها خصوصا الولايات المتحدة بطلب من خصمه.

وتحدى خوان غوايدو، الذي تعترف به أغلب دول الغرب رئيسا شرعيا للبلاد، بمخالفته أمرا قضائيا يمنعه من مغادرة البلاد، وأكد أن الجيش الذي يشكل عماد النظام "التشافي" سهل له ذلك. ووصل الجمعة إلى مدينة كوكوتا الحدودية في كولومبيا، حيث خزنت مساعدات من الحكومتين الأميركية والكولومبية في مستودعات.

ولم يكشف غوايدو (35 عاما)، وهو رئيس البرلمان الذي تهيمن عليه المعارضة، سوى تفاصيل قليلة عن خطة نقل المساعدات. ومن المتوقع أن يقود متطوعون فنزويليون الشاحنات، واقترحت البعض من الشخصيات المعارضة تشكيل سلاسل بشرية.

وقال غوايدو، في مؤتمر صحافي الجمعة في كوكوتا، حيث استقبله الرئيس الكولومبي إيفان دوكي، "ستصبح عقبات اليوم التي صنعتها الدكتاتورية أنهارا من الوحدة والسلام غدا".

وقالت نائبة الرئيس ديلسي رودريغيز، في تغريدة في وقت متأخر من مساء الجمعة، إن حكومة فنزويلا أغلقت الحدود في تاتشيرا، التي تربط البلاد بكوكوتا، مؤقتا "بسبب سلسلة تهديدات غير مشروعة من كولومبيا".

وهناك ثلاثة جسور تربط كوكوتا بفنزويلا، أحدها مغلق بحاويات شحن، بينما الآخران مغلقان أمام حركة السيارات منذ سنوات.

وأغلق مادورو أيضا الحدود مع البرازيل والحدود البحرية مع الجزر الكاريبية الهولندية القريبة.

ويلقي باللوم في الوضع بالغ السوء في بلاده على العقوبات الأميركية والتي منعت فنزويلا من الحصول على تمويل وقيدت صناعة النفط في البلد العضو في أوبك. وقالت رودريغيز إن المساعدات مسمومة.

وازدادت المخاوف من احتمال اندلاع العنف الجمعة عندما أطلق الجيش الفنزويلي النار في قرية قرب الحدود البرازيلية بعد محاولة زعماء من السكان الأصليين منع تقدم القوات. وأدى إطلاق النار إلى مقتل امرأة وزوجها.

ودانت البيت الأبيض الجمعة "بشدة" استخدام الجيش الفنزويلي للقوة. وقال في بيان إن "الولايات المتحدة تدين بشدة استخدام الجيش الفنزويلي للقوة ضد مدنيين عزّل ومتطوعين أبرياء". وأضاف "الرئيس الانتقالي خوان غوايدو طلب مساعدة إنسانية عاجلة من المجتمع الدولي من أجل شعب بلاده، بينما نظام مادورو أعطى أوامر بإغلاق الحدود وقمع هؤلاء الذين يحاولون إدخال المساعدات إلى البلاد. يجب على الجيش أن يسمح للمساعدات الإنسانية بدخول البلاد بطريقة سلمية. العالم يراقب".

واستند غوايدو في يناير الماضي إلى بنود دستورية ليعلن نفسه رئيسا مؤقتا، ووصف مادورو بأنه مغتصب للسلطة قائلا إن إعادة انتخابه في 2018 غير قانونية.

ومن ناحية أخرى، قالت وكالة الهجرة الكولومبية إن ثلاثة من أفراد الحرس الوطني تركوا مواقعهم في وقت مبكر من صباح السبت وطلبوا المساعدة من الوكالة.

وكانت سلطات جزيرة كوراساو الهولندية قد منعت الجمعة المعارضين الفنزويليين من تحميل سفينة بمساعدات إنسانية مرسلة إلى بلدهم. وقال قبطان السفينة كارلوس كينتافالي إن "السلطات منعت دخول حاويات لنقل مساعدات إلى فنزويلا".

وكانت حكومة كوراساو الجزيرة التي تبعد نحو ستين كيلومترا عن سواحل فنزويلا قالت إن "الشحنات لن ترسل إلا بموافقة سلطات كراكاس. بانتظار ذلك سيتم تخزين هذه المساعدة". وأضافت "إنها مسألة أمنية. بالتأكيد نريد مساعدة الناس لكننا لن نختار النزاع"، بينما أغلقت حكومة مادورو الحدود البحرية وعلقت الرحلات الجوية مع كوراساو.

ارتفاع حدة التوتر

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

انتهازية الإصلاح تقوي الانقلاب الحوثي وتؤخّر الحسم

طارق كرمان
كاتب يمني

❏ منذ نشوئه عام 1990 بإيعاز من الرئيس السابق علي عبدالله صالح، تكاد صفة الانتهازية والوصولية تكون العنوان الأبرز لكافة مواقف حزب التجمع اليمني للإصلاح الذي يمثل الجناح السياسي لتنظيم الإخوان المسلمين في اليمن. والمتابع لتلك المواقف التي كثيرا ما يناقض بها الإصلاح نفسه ومنهجه لا يجد غرابة في استمرارية انتهازيته وتحولها إلى طابع لا يمكنه التخلص منه ولو حاول التطبّع بغيره.

قبل أن نستطرد في الحديث حول ما يرتبط مباشرة بعنوان هذا المقال، نستعرض بعض الأحداث التاريخية ومواقف حزب الإصلاح منها والتي تُظهر مدى انتهازيته المدفوعة بحرصه على مصلحته ولو أضرّت بالمصلحة العليا، والتي تشكّل بدورها الدافع وراء الكثير من تناقضاته مع نفسه.

كان موقف الإخوان المسلمين في اليمن سلبيا من مشروع الوحدة. ورأوا الوقوف ضدها واجبا دينيا لكون الطرف الآخر فيها شيوعيا اشتراكيا. لكن الرئيس السابق علي عبدالله صالح وصل معهم إلى تسوية تضمن إشراكهم في السلطة في حال قيامهم بتأسيس حزب سياسي. واتفقوا على أن تكون مهمة هذا الحزب تحجيم دور الحزب الاشتراكي بعد الوحدة. ومن هنا كانت نشأة حزب الإصلاح، ومنذ الوهلة الأولى، عملا انتهازيا لا علاقة له بالوطنية بل ويناقض فكرة الإخوان.

> حلّ هذه المعضلة مرهون بحزم السعودية مع الإصلاح وإلزامه باتخاذ موقف عملي وميداني يتمثل في الانصياع لقيادة التحالف والانسجام معها من جهة، وقطع علاقته بقطر وتركيا من جهة أخرى، وإثبات ذلك بمواقف واضحة من القيادات والقواعد

بعد قيام الوحدة، قبل الإصلاح بالشراكة في السلطة مع الحزب الاشتراكي الذي يعتبره في أدبياته وتصريحاته "كافرا"، لكن بنفس مبرر "الواجب الديني" اعتبر مشاركته في حكومة الائتلاف الثلاثي.

عمل الإصلاح، بالتواطؤ مع علي عبدالله صالح وحزبه المؤتمر الشعبي العام، على التضييق على الحزب الاشتراكي بل واشترك في الكثير من عمليات اغتيال لقياداته في فترة ما بعد الوحدة إلى صيف 1994 الذي انفجرت فيه حرب الانفصال، ثم عمل الإصلاح على صبغ تلك الحرب بصبغة دينية وإصدار فتاوى تكفيرية توجب على العامة المشاركة في الحرب ضد الشيوعية والاشتراكية لا ضد الانفصال كفكرة تضرّ بالوطن، ومرّة أخرى اعتبر تلك الحرب واجبا دينيا، وكان لموقفه هذا بالغ الأثر على إخوتنا في الجنوب وبالتالي على تعقيد قضيتهم الجنوبية.

وتحت شعار "الجهاد ضد الشيوعيين الجنوبيين" قام الإصلاح باقتحام عدن واجتياح الجنوب وتدفق الإرهابيون الذين قدموا من أفغانستان. وبعد أن حقق علي عبدالله صالح أحلامه ومآربه سرعان ما تخلى عن الإصلاح وأقصاه عن السلطة.

عند ذلك، لجأ الإصلاح (مرة أخرى) إلى إباحة التحالف مع من كان يكفرهم بالأمس باسم الدين. وشكل معهم ما عرف لاحقا بـ"اللقاء المشترك" عام 2003. أظهر ذلك انتهازية الإصلاح السياسية المتأرجحة بين الأعداء والحلفاء حسب اتجاه بوصلة مصالحه.

بقي الإصلاح في مربع "اللقاء المشترك" حتى عام 2011. حين هبّت عواصف الربيع العربي استغل الإصلاح موقعه في المعارضة وثقله في الشارع لاختطاف ما سُمّي بثورة الشباب من أجل الوصول بها إلى السلطة (أو إلى نصيب مقبول منها) مدفوعا بالرغبة في الانتقام من علي عبدالله صالح ونظامه وعلى إقصائه من السلطة وتقليص حظه من امتيازاته.

كان لانتهازية الإصلاح الدور الأكبر في تحويل الحراك الشعبي الشبابي إلى أزمة سياسية محضة مع نظام علي عبدالله صالح وإلى صراع على السلطة ليس للشعب ناقة ولا جمل فيه، ناهيك عن الانحراف بسلميّة ذلك الحراك إلى معارك مسلحة في المعسكرات المحيطة بصنعاء التي حاول الإصلاح السيطرة عليها عبر تحالفاته القبلية مستغلا الضعف والارتباك اللذين أصابا النظام نتيجة المظاهرات اليومية والاعتصامات وغيرها من الأنشطة الثورية التي عمل الإصلاح على السيطرة عليها بالتدريج.

تلك بعض مظاهر انتهازية الإصلاح وليست جميعها حيث لا يتسع حصرها جميعا في مقال واحد وإنما تحتاج إلى كُتب، إذ أنه لا تُكاد توجد مشكلة ولا قضية ولا مأساة في تاريخ اليمن الحديث إلا وللإصلاح بصمة سلبية فيها ونصيب كبير من المسؤولية عن حدوثها.

نعود للحديث عن انتهازية حزب الإصلاح في طريقة تعامله مع مشكلة الحوثي منذ نشوب الحرب الأولى عام 2004. كان موقف الإصلاح من تلك الحرب سلبيا. والتزم الحياد بل وكان متعاطفا مع الحوثيين. ويعتبر قضيّتهم عادلة. ورفض المشاركة مع الدولة في أي حرب من الحروب الست ضد الحوثيين، ملقيا باللائمة على الرئيس السابق ونظامه وفساده، واضعا الشروط تلو الشروط لضمان مصالحه فقط في حال قبوله المشاركة في الحرب.

ذلك من جانب عمَليّ، أمّا من الجانب الفكري فلم ينفكّ الإصلاح عن التظاهر بالعداء مع الحوثيين واعتبارهم خطرا على المذهب السني (الشافعيّ) والتحذير من مخططاتهم لإسقاط الدولة والسيطرة على الجيش وغير ذلك مما يظهره على خلاف عقائدي وسياسي مع الحوثيين. وفي نفس الوقت يمتنع عن مقاتلتهم مع الجيش نكاية بعلي عبدالله صالح ورغبة منه في الاحتفاظ بقدر من العلاقة مع الحوثيين تضمن له الاستفادة من أي مكاسب يحققونها بتمرّدهم على الدولة.

وصولا إلى أحداث 2011 التي حوّلها الإصلاح بانتهازيته إلى البيئة الأنسب لتحويل مشروع الحوثيين من متمردين مخرّبين إلى ثوار على الفساد. ولا يخفى على أحد الترحيب الذي لقيه الحوثيون في ساحات الاعتصام وتصريحات زعماء المعارضة تجاه أحداث خطيرة كانت بمثابة قرعات صارخة على ناقوس الخطر وفي مقدمتها سقوط محافظة صعدة، والذي وصفه حميد الأحمر بأنه انتصار للثورة وأنه ليس سقوطا وإنما عودة أول محافظة إلى أحضان الدولة.

وكما قلت من قبل، إن الحديث عن انتهازية الإصلاح ووصوليته لا يمكن اختزاله في مقال واحد، وصفة الانتهازية تلك هي التي أظهرته بمظهر المنافق في الكثير من مواقفه منذ نشأته، إلا أن ذلك النفاق بعد أن صار مفضوحا تحوّل إلى فُصام حقيقي كان آخر مظاهره ازدواجية موقفه من الانقلاب الحوثي وحرب التحالف العربي عليه.

ورغم أنه لم يكن من السهل إثبات أن حزب الإصلاح يضع قدما مع الشرعية وأخرى مع الحوثي، وذلك نتيجة خوضه لبعض المعارك مع الحوثيين في بعض الجبهات (لحسابه لا لحساب الشرعية)، فإنه من الواضح للعيان أن الإصلاح لا يزال يمد يدا مع التحالف وأخرى مع أعداء التحالف (قطر وتركيا وإيران) وتلك حقيقة لا تحتمل الجدل.

الإصلاح سبب الأزمة في اليمن

في الوقت الذي تتواجد فيه القيادات العليا للإصلاح في الرياض نجد قياداته الوسطى تتوزع بين الدوحة وإسطنبول. وجُل قواعده من الناشطين في الإعلام المرئي أو المكتوب أو منصات التواصل الاجتماعي نجدهم على قلب ولسان وقلم رجل واحد في مهاجمة التحالف والوقوف ضده مع خندق قطر وتركيا في أي قضية مستجدة سواءً كان اليمن طرفًا فيها أم لم يكن..

لا أشك أن انتهازية حزب الإصلاح وتناقضاته تشكّلان السبب الرئيسي لخلط الأوراق وتفكك الجبهات وتعطل بعضها وتراجع بعضها الآخر. وبالتالي فهو يشكل أحد أكبر العوائق أمام حسم التحالف لحربه ضد الحوثيين. لكن العجيب مع وضوح كل ذلك هو تمسّك إخوتنا في السعودية بحزب الإصلاح كشريك في التحالف رغم كل الذي ثبت من خذلانه وتقاعسه في تعز والجنوب وفي الساحل وغيرها من الجبهات، ناهيكم عمّا ثبت عليهم من خيانات وطعنات في الظهر منها انسحاباتهم من بعض الجبهات التي يسيطرون عليها كلما ضاق الخناق على الحوثيين في جبهات أخرى، ومنها تسريبهم للكثير من المعلومات الميدانية والإحداثيات خصوصا التي تتواجد فيها قوات إماراتية، وحادثة معسكر كوفل أكبر شاهد على ذلك..

من هنا أؤكد أن حلّ هذه المعضلة مرهون بحزم السعودية مع الإصلاح وإلزامه باتخاذ موقف عملي وميداني يتمثل في الانصياع لقيادة التحالف والانسجام معها من جهة، وقطع علاقته بقطر وتركيا من جهة أخرى، وإثبات ذلك بمواقف واضحة من القيادات والقواعد، سواء على الصعيد الميداني أو الإعلامي.

وقد يقول قائل إن هذا الضغط من السعودية على الإصلاح (إن وُجد) قد يدفعه إلى التحالف مع الحوثيين قولا وعملا. وأردّ على ذلك بقولي إن تحالف الإصلاح مع الحوثيين إذا ظهر للعلن فسيكون خيرا لنا من تحالفه معهم في الباطن ومن انتهازيته التي يسترزق بها من جميع الأطراف ولا تخدم إلا الحوثيين ولا تعمل إلا على إطالة أمد الحرب وبالتالي زيادة ويلاتها ومصائبها التي يتضرر منها المواطن البسيط أكثر من غيره، ناهيكم عن حقيقة أن الكثيرين ممن يقفون في صف الحوثي لا يقفون معه محبة فيه وإنما كراهية للإصلاح وأولئك جميعا سينضمّون إلى خندق التحالف في حال تجرّأ الإصلاح على الانضمام علنا إلى خندق الحوثي. الأمر الذي استبعده لمجرد معرفتي أنه يحرص على مصالحه ويدرك أنها أكبر بكثير في خندق التحالف العربي منها في خندق الحوثيين وما يسمّى بحلف اللطم (قطر، تركيا، وإيران). وفي حال أدرك الإصلاح أنه لم يعد هناك مجال لاستمراره في سياسة (مسك العصا من المنتصف) أو اللعب على التناقضات أو وضع قدم مع التحالف وقدم أخرى مع أعدائه، فسيختار الوقوف مع التحالف لا محالة، لا حبًا فيه ولكن حرصا على مصالحه.

وحتى ذلك الحين الذي تقرر فيه السعودية أن تحزم أمرها مع حزب الإصلاح، ستظل انتهازيته أكبر أسباب خلط الأوراق وتأخر الحسم.

استراتيجية سعودية شاملة في جنوب آسيا

حليف نووي وآخر أيديولوجي وشراكة طموحة مع الصين

❏ **الرياض** – اعتبر جيمس دورسي، المحلل الأميركي في مدرسة راجاراتنام للدراسات الدولية، أن جولة ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، إلى باكستان والهند والصين، كانت ناجحة بكل المقاييس، ملخصا نتائجها بقوله "الجيوسياسية في جنوب آسيا: المملكة العربية السعودية: 1 إيران: 0".

رسمت جولة الأمير محمد بن سلمان في الدول الرئيسية في جنوب آسيا، وما خرجت به من اتفاقيات، ملامح "طريق حرير" ممتد، قوامه الاقتصاد والتعاون في الملفات الأمنية والاستراتيجية، وتحدد ملامحه المصالح المشتركة ومصالح كل دولة على حدة.

ويشير جيمس دورسي إلى أن جولة الأمير محمد بن سلمان قد تكون أكثر من مجرد تعاون اقتصادي، من ذلك أعربت السعودية وباكستان في بيان مشترك في نهاية زيارة ولي عهد السعودية عن الحاجة إلى تجنب "تسييس نظام التصنيف في الأمم المتحدة"، وهو الأمر الذي أكّدته الصين أيضا.

وأشار البيان ضمنيا إلى الجهود الهندية الرامية لدفع مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلى تصنيف مسعود أظهر إرهابيا عالميا. يحتل أظهر منصب "الزعيم الأعظم" لجيش محمد، الجماعة التي أعلنت مسؤوليتها عن الهجوم على كشمير الذي أسفر عن مقتل 46 جنديا هنديا على الأقل. ورفضت الصين الخطوة الهندية، وهددت بالتصويت بالفيتو إن تقدمت الهند بمثل هذا الطلب إلى مجلس الأمن الدولي.

لم تثر الإشارة أي قلق في نيودلهي، التي كانت المحطة الثانية للأمير محمد بعد زيارة إسلام آباد. كما لم يمنع الاتفاق القوي بين باكستان والسعودية الهند من أن ترحب بشدة بولي العهد السعودي، وأن توقع مع الرياض اتفاقيات ضخمة، يستفيد منها كل الأطراف، كما رحبت الصين بدورها بالتقارب بين رؤية السعودية 2030 ومبادرة الحزام والطريق الصينية التي تفتح عهدا استراتيجيا جديدا، في المنطقة الآسيوية وعلى مستوى العالم.

وقال محلل الشؤون الاستراتيجية في صحيفة فايننشال تايمز، إندراني باغشي، إن الأمير محمد بن سلمان دخل إلى حقل الألغام بين الهند وباكستان، وما زاد في المخاطرة أن زيارته جاءت في ظل تصاعد التوترات بين الهند وباكستان على نحو حاد في أعقاب تفجير انتحاري في إقليم كشمير المتنازع عليه، سقط فيه 40 قتيلا من قوات الأمن الهندية في عملية أعلنت جماعة جيش محمد التي تتمركز في باكستان المسؤولية عنها.

لكن، أنبأت التطورات خلال زيارة الأمير محمد لإسلام آباد ونيودلهي، بأن الرياض يمكن أن تحاول خلق توازن، وإن بجهد، بين الخصمين، كما الجمع بين علاقتين مختلفتين، حليف نووي وآخر أيديولوجي وشراكة طموحة مع كليهما، بالإضافة إلى الصين.

وتمثل شراكة الهند الاستراتيجية مع إيران مصدر قلق بالنسبة إلى السعودية، لكن الرياض لا تريد أن تضغط على نيودلهي، حيث تنبني الاتفاقات على مراعاة مصالح الشركاء، وبالتالي يدفع هذا التحالف مع السعودية دولا مثل الهند والصين إلى البحث عن طريقة للموازنة بين علاقتها مع إيران وعلاقتها مع السعودية.

وهنا، يشير الخبراء إلى أن المصالح هي التي ستحدد شكل هذه العلاقات، بالنظر إلى أن العقوبات المفروضة على إيران وأزماتها السياسية والاجتماعية، لذا فالكفة تميل لصالح السعودية، وهو ما يبرر قول جيمس دورسي إن جولة الأمير محمد انتهت لصالح السعودية على حساب إيران.

ويستدل جيمس دورسي على ذلك من خلال موقف وزير الخارجية الباكستاني شاه محمود قريشي، الذي لم يتخذ أي خطوة لإبعاد بلاده عن تصريح أدلى به وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودية، عادل الجبير، اتهم إيران فيه بأنها راعية للإرهاب، حيث قال الجبير "كيف لإيران أن تتهم الآخرين بالقيام بأنشطة إرهابية وهي الراعي للإرهاب؟".

يدعم هذا القول محلل الشؤون الآسيوية جان اشاكزاي، مشيرا إلى أنه "للمرة الأولى، صنعت السعودية سياسة قوية في جنوب آسيا مع زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان"، مشيرا إلى أن "هذه السياسة جعلت إيران متوترة".

تحاول المملكة العربية السعودية أن تستفيد من الوضع الحالي المشحون، حيث تقدم نفسها كوسيط محتمل للسلام بين الهند وباكستان، بينما تحاول التقرّب من الصين، التي تمثل أكبر شريك تجاري لها. وسيكون الرئيس الأميركي غير متحمس لفكرة هذا التقرّب، لكن الأمر وفق المراقبين لم يعد كما في السابق حيث يرتهن القرار السعودي للسياسات الأميركية. ويؤكد جان اشاكزاي أن السعودية توازن وتغير حساباتها نحو محورية آسيوية، ثم أميركية.

الجيوسياسية في جنوب آسيا: المملكة العربية السعودية: 1 إيران: 0

مأساة الجزائر... ولبنان أيضا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ ليس فشل المعترضين على الولاية الخامسة للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة سوى فصل آخر من المأساة الجزائرية. إنّها مأساة من نوع خاص جدا تفرض طرح سؤال في غاية البساطة: من المريض فعلا؟ هل بوتفليقة مريض أم الجزائر نفسها هي المريض الحقيقي؟

لم تستطع الجزائر الخروج من أسر سنوات طويلة فرضها نظام الحزب الواحد على الرغم من أن الدستور الجديد يسمح بتعددية سياسية وحزبية. أجري إصلاح للنظام من دون إصلاحه. تسيطر في الواقع على هذا النظام أجهزة أمنية مرتبطة برجال أعمال ينتمون إلى دوائر معيّنة يحتكرون معظم العمليات المالية والتجارية.

> الرئيس الجزائري يكتب فصلا جديدا من المأساة الجزائرية التي كان مفترضا به أن يضع نهاية سعيدة لها، تماما مثلما هناك فصل جديد للمأساة التي يعيشها لبنان منذ 1975 والتي حال اغتيال رفيق الحريري دون خروجه منها

في السنوات العشرين الأخيرة، لم يتغيّر الكثير في الجزائر على الرغم من أن بوتفليقة والدوائر الضيقة المحيطة به نجحا في تقليص نفوذ الأجهزة الأمنية، خصوصا بعد التخلص من الجنرال محمد مدين (توفيق)، مسؤول المخابرات العسكرية، الرجل الصامت الذي كان يمتلك نفوذا كبيرا جعل منه صانع الرؤساء.

كان انتخاب عبدالعزيز بوتفليقة رئيسا في العام 1999 فرصة كبيرة للجزائر كي تلتقط أنفاسها وتعيد بناء نظامها والوصول إلى مرحلة يكون فيها تبادل للسلطة. لا معنى لأي ديمقراطية من دون تبادل للسلطة في ظروف طبيعية وليس في ظروف بلد مثل لبنان، مثلا، كان من الدول الرائدة في المنطقة في هذا المجال. بقي لبنان يتمتع بالريادة إلى أن أصبح تحت الوصاية السورية ثم الوصاية الإيرانية التي تتميّز بوقاحة ليس بعدها وقاحة. صار "حزب الله" يقرّر من هو رئيس الجمهورية في لبنان. أبقى الحزب، الذي هو كناية عن ميليشيا مذهبية مسلحة، مجلس النوّاب مقفلا طوال سنتين ونصف سنة قبل أن يسمح بانتخاب رئيس للجمهورية. كان هذا الرئيس الجديد للبنان المرشح الذي اختارته "بندقية المقاومة" لشغل هذا الموقع. بقي البلد من دون حكومة طوال ثمانية أشهر وأسبوع بعد الانتخابات النيابية الأخيرة قبل أن يفرض الحزب "معاييره" لتشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري الذي واجه ضغوطا من كلّ الأنواع في ظروف في غاية التعقيد على الصعيدين الداخلي والإقليمي.

بكلام أوضح، طرأ تغيير جذري على النظام في لبنان. حصل تعديل لاتفاق الطائف عبر الممارسة من دون الإعلان عن ذلك. هناك في لبنان من يعمل في الخفاء والعلن في الوقت ذاته من أجل نقل البلد إلى مرحلة جديدة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بأي ممارسة ديمقراطية.

تستهدف مثل هذه المرحلة جعل لبنان يسقط أكثر في أزمة اقتصادية عميقة يعمل الرئيس سعد الحريري على معالجتها عن طريق ما يمكن أن يحصل عليه البلد من مساعدات عربية ودولية وتسهيلات خارجية.

يسير لبنان، منذ الانفجار الداخلي في العام 1975، من سيء إلى أسوأ، إذا استثنينا مرحلة رفيق الحريري. كان يتمتع منذ الاستقلال، في العام 1943، بحياة سياسية سمحت بتداول سلمي للسلطة وازدهار اقتصادي وثقافي وتربوي. توقف لبنان عن عملية تطوير نظامه، على الرغم من أن اتفاق الطائف للعام 1989، كان يسمح بذلك. جاء النظام السوري لتطبيق الطائف على طريقته. جاء الإيراني بعد ذلك ليدخل لبنان في المجهول عن طريق وصاية من نوع آخر لا أفق لها غير مزيد من البؤس والعزلة.

في المقابل، لم تستطع الجزائر تطوير نظامها السياسي بعد أحداث أكتوبر 1988. كشفت تلك الأحداث كم الحاجة كبيرة إلى نظام جديد، خصوصا بعد نجاح الجيش في إنقاذ الجمهورية وبدء البحث عن خيارات أخرى مختلفة في أواخر العام 1998 تمهيدا للإتيان بعبدالعزيز بوتفليقة رئيسا للجمهورية. وقع الخيار على بوتفليقة بصفة كونه شخصية تمتلك شرعية تاريخية وقبولا على المستوى الوطني.

ثمة من سيقول أن لا مجال لمقارنة بين لبنان والجزائر. الجواب أن المقارنة ضرورية. كشفت التجربتان الجزائرية واللبنانية مدى التراجع الذي يعاني منه بلدان عربيان كانا مؤهلين ليكونا من الدول الصاعدة في المنطقة الممتدة من البحر المتوسّط إلى شمال أفريقيا.

معروف لماذا فشل لبنان. هناك مسؤوليات تقع على اللبنانيين أنفسهم. لكن الوطن الصغير كان في كل وقت عرضة لأطماع خارجية. بلغت هذه الأطماع درجة كلام مسؤولين إيرانيين وغير إيرانيين عن أن النجاح الأكبر الذي حققته "الثورة الإسلامية"، في خلال أربعين عاما، كان إنشاء "حزب الله" وضع اليد على لبنان عبره.

من دون تجاهل عامل الجهل اللبناني، وهو عامل يشكل قاسما مشتركا بين المسيحيين والمسلمين، كانت هناك دائما رغبة سورية في دفع لبنان إلى أن يكون محميّة تدار من دمشق. كان الخوف من إفلات لبنان من الهيمنة السورية وراء اغتيال رفيق الحريري في فبراير 2005. دفع رفيق الحريري ثمن إعادة الحياة إلى لبنان ووضعه مجددا على خارطة المنطقة والعالم.

كان في استطاعة بوتفليقة أن يكون أملا جديدا للجزائري. لم يكن هناك من يريد اغتياله. لكنّ الرئيس الجزائري بقي رهينة عقد لم يستطع التخلص منها في أي وقت. على رأس هذه العقد، عقدة المغرب حيث ولد وأقام حتّى السابعة عشرة من العمر في بلدة وجدة. لم تكن عقدة المغرب وحدها التي تحكمت ببوتفليقة، هناك عقدة تجمع بين معظم الزعماء العرب الذين يرفضون التنازل عن السلطة.

في النهاية، إن رجلا مثل الحبيب بورقيبة الذي بنى تونس الحديثة والذي لا يختلف كل من له علاقة بالحضارة حول ما حقّقه من إنجازات، سقط في امتحان نقل السلطة إلى خليفة له عندما بات عاجزا عن تحمل مسؤولياته. وقع بورقيبة في أسر الحلقة الضيّقة المحيطة به. يمكن

الفشل في نقل السلطة مرض عربي

تعداد عدد كبير من الزعماء العرب نسوا معنى الانتقال السلمي للسلطة ودور التقدّم في السنّ في جعل الإنسان يفتقد قدراته الذهنية والجسدية. هذا مرض عربي ومرض موروث من أيام الحرب الباردة حيث بقي الزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف في السلطة إلى اليوم الأخير من حياته في 1982 على الرغم من أنه فقد قدرته على ممارسة صلاحياته منذ ما يزيد على خمس سنوات، منذ 1979 في أقلّ تقدير.

توفرت لبوتفليقة فرصة دخول التاريخ. لم يفعل ذلك. هل للقرار الذي كُتب نصّه له والذي يعلن فيه ترشيح نفسه لولاية خامسة علاقة بمستقبل المحيطين به الخائفين من أن يلاحقهم القضاء بسبب ارتكابات معيّنة؟ الأرجح أن ذلك هو بين الأسباب الرئيسية لصدور البيان الذي لا يستطيع بوتفليقة قراءته، أو ربّما فهم فحواه. يكتب الرئيس الجزائري فصلا جديدا من المأساة الجزائرية التي كان مفترضا به أن يضع نهاية سعيدة لها. تماما مثلما هناك فصل جديد للمأساة التي يعيشها لبنان منذ 1975 والتي حال اغتيال رفيق الحريري دون خروجه منها.

إدلب بين تصعيد النظام السوري واحترام الاتفاقات الدولية

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❏ تتمسك روسيا باتفاق خفض التصعيد في إدلب، رغم تصريحات وزير خارجيتها سيرجي لافروف عن نفاد صبرها من وجود "كمّ هائل من الإرهابيين" هناك، ورغم سماحها لقوات النظام، خلال العشرة أيام الأخيرة، بتكثيف القصف الممنهج على ريف إدلب الجنوبي والشرقي.

لا تفكر موسكو في خرق اتفاق إدلب الذي عقدته مع الأتراك في سبتمبر الماضي في سوتشي، لأنّ الاتفاق جاء تحت التهديد الأميركي لمنع حصول كارثة إنسانية في إدلب، وجاء بضغوط أوروبية تمثّلت بمباركة ألمانيا وفرنسا له بعد تلبية دعوة تركيا لحضور قمة إسطنبول إلى جانب روسيا في أكتوبر الماضي.

وبالتالي فإن توسّع التصعيد في إدلب سيعرّض روسيا للمزيد من الضغوط الدولية لفرملة رغبة النظام في السيطرة على المدينة، خاصّة مع وجود امتعاض أميركي وأوروبي من استمرار روسيا في الاعتماد على النظام، وعدم القبول بتغيير سياسي ملموس في الملف السوري.

ويرغب النظام الذي يسيطر فقط على 60 بالمئة من الأراضي السورية، في استكمال "انتصاراته" المزعومة والسيطرة على إدلب، إضافة إلى منبج وشرق الفرات، تدعمه في مسعاه هذا إيران، غير الشريكة في اتفاق سوتشي حول إدلب؛ لكنه يعلم أيضا أن فتح المعركة مستحيل، وهو يتحيّن الفرص التي يسمح بها الروس لتصعيد القصف ما أمكن.

لذلك ظل القصف العشوائي وبالصواريخ والمدفعية، يستهدف المدنيين وهو يتركز على خان شيخون ومعرة النعمان، أي بالقرب من الطريق الدولي؛ ولم يستنفر النظام قواته البشرية في كل النقاط المحاذية لفصائل المعارضة، في حين أن محاولاته القليلة للاقتحام حين سنحت له الفرصة في غربي حلب، قوبلت بصدّ من المعارضة.

وفي حين فشلت قمّة سوتشي الأخيرة للدول الضامنة في تحقيق تغيير ملموس في أي من الملفات السورية الشائكة، دون أن يعني ذلك انهيار التحالف الروسي التركي مع إيران، فإن القصف الذي بدأ قبيل القمة بموافقة روسية للضغط على تركيا لتقديم تنازلات، يتوسّع بعدها ليشمل 56 قرية وبلدة في ريف إدلب وريفي حماة الشمالي والغربي، وما رافق ذلك من قتل وتدمير ونزوح لأكثر من 7 آلاف عائلة من تلك المناطق.

والسماح للنظام بتوسيع القصف وتصاعده هو دلالة على استمرار الضغط الروسي على الأتراك، لتسريع حل عقدة هيئة تحرير الشام، ولتسريع استكمال الجزء الثاني من الاتفاق حول فتح الطرق الدولية، حيث يتركز القصف حول المناطق المحيطة بطريق دمشق – حلب الدولي.

تركيا لم تقدّم تنازلات حول إدلب في قمة سوتشي الأخيرة، مدعومةً بموقف أميركي – أوروبي رافض لفتح معركة شاملة هناك. وبالتأكيد فإن تكثيف قصف النظام الأخير يربكها، رغم أنه يتجنّب نقاط المراقبة الـ12 التي أقامتها في إدلب، وفي المنطقة المنزوعة السلاح الثقيل، حيث تتم إضاءتها بالكشافات، لمنع استهدافها، ورغم أن الصواريخ تمر فوق نقاط المراقبة، وتجتاز المنطقة العازلة إلى بلدات في العمق، مسببة نزوحا شبه تامّ في تلك البلدات. النظام لا يملك من القرار سوى قصف المدنيين عن بعد؛ ربما هدفه إحداث هذا الإرباك لتركيا، التي تضطر للصمت، طالما أنّ القصف يظل محدودا ولا يستهدف نقاط مراقبتها، وهو ما سيعرّضها لضغوط من الأهالي والفصائل على حدّ سواء، بسبب عدم القيام بدورها المزعوم في حماية المدنيين، أو السماح للفصائل بانتهاك الاتفاق وفتح معركة ضد قوات النظام.

ومن زاوية أخرى، يمكننا قراءة التصعيد العسكري الأخير في إدلب من قبل قوات النظام، بأنه استغلال روسي للخلاف التركي-الأميركي، حول تراجع ترامب عن وعوده لأردوغان في المنطقة الآمنة شمال شرق سوريا، واستمرار دعمه لوحدات الحماية الكردية، وحول رفض تركيا لصفقة الصواريخ الأميركية "الباتريوت" بسبب عدم ملاءمتها للمعايير التركية، والمضي في صفقة "أس-400" مع روسيا، رغم التهديدات الأميركية لأنقرة بالعقوبات على الدول التي تعقد صفقات مع الصناعة العسكرية الروسية.

روسيا تستعجل تركيا للمضي في تقدم جديد في اتفاق إدلب، وهي تقترح نشر قوات حفظ سلام روسية في المنطقة المنزوعة السلاح الثقيل، في خطوة منها لانتزاع تقدّم في الملف، وهي تضغط على أنقرة لتقديم التنازلات، ربما بمقايضة مع الشريط الحدودي لها مع سوريا شرقي الفرات، وبالتالي عودة سيطرة النظام على إدلب.

إن المضي في سيناريو المقايضة هذا مرهون أولا بإنهاء ملف الجهاديين في إدلب العالق بين تواجد تنظيمات إرهابية غير سورية، وهما مجموعتا حراس الدين والحزب الإسلامي التركستاني، وبين محاولات هيئة تحرير الشام تغيير حلتها الجهادية، وقد يتطلب الأمر عملية عسكرية روسية – تركية مشتركة ضد تلك التنظيمات. وثانيا مرهون بالاستراتيجية الأميركية التي لا يبدو أنها ترغب في ترك المنطقة كليا للروس، وتفضّل إدارتها حتى بعد الانسحاب، بالإبقاء على 200 جندي أميركي، واستدعاء الفرنسيين والبريطانيين كقوات فصل في المنطقة، وبالتالي ليس من صلاحيات موسكو مقايضة تركيا بالشريط الحدودي مقابل إدلب، ولا حتى أن تفرض التي أقامتها في إدلب، وفي المنطقة المنزوعة السلاح الثقيل، حيث تتم إضاءتها بالكشافات، لمنع استهدافها، ورغم أن الصواريخ تمر فوق نقاط المراقبة، وتجتاز المنطقة العازلة إلى بلدات في العمق، مسببة نزوحا شبه تامّ في تلك البلدات. النظام لا يملك من القرار سوى قصف المدنيين عن بعد؛ ربما هدفه إحداث هذا الإرباك لتركيا، التي تضطر للصمت، طالما أنّ القصف يظل محدودا ولا يستهدف نقاط مراقبتها، وهو ما سيعرّضها لضغوط من الأهالي والفصائل على حدّ سواء، بسبب عدم القيام بدورها المزعوم في حماية المدنيين، أو السماح للفصائل بانتهاك الاتفاق وفتح معركة ضد قوات النظام.

ومن زاوية أخرى، يمكننا قراءة التصعيد العسكري الأخير في إدلب من قبل قوات النظام، بأنه استغلال روسي للخلاف التركي-الأميركي، حول تراجع ترامب عن وعوده لأردوغان في المنطقة الآمنة شمال شرق سوريا، واستمرار دعمه لوحدات الحماية الكردية، وحول رفض تركيا لصفقة الصواريخ الأميركية "الباتريوت" بسبب عدم ملاءمتها للمعايير التركية، والمضي في صفقة "أس-400" مع روسيا، رغم التهديدات الأميركية لأنقرة بالعقوبات على الدول التي تعقد صفقات مع الصناعة العسكرية الروسية.

روسيا تستعجل تركيا للمضي في تقدم جديد في اتفاق إدلب، وهي تقترح نشر قوات حفظ سلام روسية في المنطقة المنزوعة السلاح الثقيل، في خطوة منها لانتزاع تقدّم في الملف، وهي تضغط على أنقرة لتقديم التنازلات، ربما بمقايضة مع الشريط الحدودي لها مع سوريا شرقي الفرات، وبالتالي عودة سيطرة النظام على إدلب.

إن المضي في سيناريو المقايضة هذا مرهون أولا بإنهاء ملف الجهاديين في إدلب العالق بين تواجد تنظيمات إرهابية غير سورية، وهما مجموعتا حراس الدين والحزب الإسلامي التركستاني، وبين محاولات هيئة تحرير الشام تغيير حلتها الجهادية، وقد يتطلب الأمر عملية عسكرية روسية – تركية مشتركة ضد تلك التنظيمات. وثانيا مرهون بالاستراتيجية الأميركية التي لا يبدو أنها ترغب في ترك المنطقة كليا للروس، وتفضّل إدارتها حتى بعد الانسحاب، بالإبقاء على 200 جندي أميركي، واستدعاء الفرنسيين والبريطانيين كقوات فصل في المنطقة، وبالتالي ليس من صلاحيات موسكو مقايضة تركيا بالشريط الحدودي مقابل إدلب، ولا حتى أن تفرض ما زالت تتحكم بها إيران، إلى المناطق الحدودية، ويفضلون الإبقاء على تحالفهم مع قوات محلية لإدارة المناطق التي سينسحبون منها.

وإذا كانت وسيلة الروس للضغط على الأتراك السماح للنظام بقصف موسع على الأماكن السكنية، وكانت مصلحة تركيا تتمثل في الصمت عن استهداف المدنيين، ومصلحة الفصائل في الولاء لتركيا، فإنّ المدنيين هم الخاسر الأكبر في لعبة المناوشات هذه؛ وهي لعبة لن تستمر طويلا، حيث يتوجب على الأتراك التسريع في حل ملف الجهاديين، والقبول بفتح الطرق الدولية، كما يتوجب على روسيا القبول بإبقاء إدلب منطقة نفوذ تركي، خارجة عن سيطرة النظام، إلى حين أن تأتي التوافقات على حلّ سياسي. ويبدو أن الأميركان يميلون إلى حلول لا مركزية بإدارات ذاتية، تلبية لرغبة حلفائهم المحليين شرق الفرات، الأمر الذي سيدعم رغبة تركيا في أن يشمل فصائل المعارضة في إدلب وريفها أيضا.

> التصعيد الأخير في إدلب من قبل النظام، يشير إلى استغلال روسي للخلاف التركي – الأميركي، حول تراجع ترامب عن وعوده لأردوغان بالمنطقة الآمنة شمال شرق سوريا واستمرار دعمه للأكراد

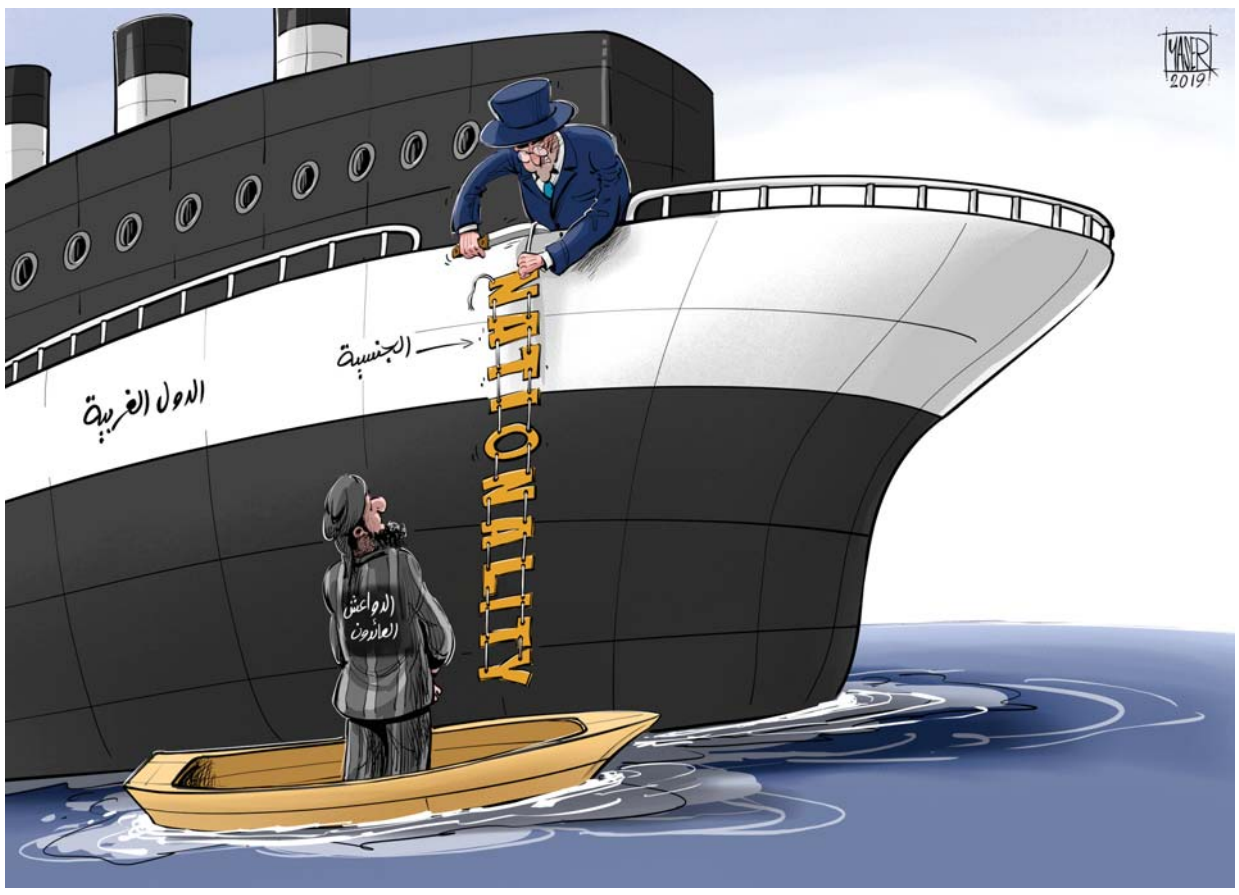

أول قمة عربية أوروبية: توقعات دون حجم القضايا المطروحة

أولوية أمنية تسعى البلدان الأوروبية لتحقيقها بعيدا عن الملفات الإقليمية الأخرى

عندما اقترح قادة الاتحاد الأوروبي رسميا عقد قمة لأول مرة مع الجامعة العربية في سبتمبر الماضي، اعتبرها العديد من القادة العرب انتصارا نوعا ما، بعدما ظلوا يطلبون عقد مثل هذا الحدث على مدى 20 عاما. ولكن مع ضبط موعد انعقاد القمة، في هذه المرحلة المضطربة على مستوى كل العالم، تبرز تساؤلات بشأن مخرجات هذه القمة وما ستتمخض عنه من قرارات حول قضايا ساخنة.

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – تستضيف مدينة شرم الشيخ المصرية، اليوم الأحد، فعاليات القمة العربية الأوروبية الأولى. ويشارك في القمة حضور رفيع المستوى من رؤساء الدول والحكومات والوزراء. ومع ذلك، لا يعكس هذا الحضور الكثير من التفاؤل بشأن حلحلة بعض الملفات الإقليمية والدولية المعقدة، مع فشل قمم دولية مماثلة، أحدثها قمتا وارسو وميونيخ، في تقديم تطورات ملموسة على مستوى الملفات الأمنية والسياسية التي اقتربت منها، علاوة على الانشغال الواضح لدى غالبية الدول بهمومها الداخلية على حساب القضايا الإقليمية.

> قمة شرم الشيخ تأتي في وقت ما زالت فيه الدول العربية تمر بتداعيات الثورات التي اندلعت عام 2011، ووحدة الجامعة العربية ليست في أحسن حال، والاتحاد الأوروبي من جانبه منقسم داخليا حول بعض مبادئه الجوهرية

وقالت الخارجية المصرية في بيان، إن القمة التي تعقد على مدار يومين تحت شعار "الاستثمار في الاستقرار" ستركز على "كيفية تحقيق الاستقرار في المنطقة، ومخاطر الإرهاب، وعملية السلام في الشرق الأوسط، إلى جانب موضوعات الهجرة غير الشرعية، وتدفقات اللاجئين إلى داخل أوروبا". كما حدد الاتحاد الأوروبي في بيان أهداف القمة في عدة نقاط، أهمها "تعزيز العلاقات المشتركة، ودفع التعاون بمجالات التجارة والاستثمار، والهجرة، والأمن، بالإضافة إلى الوضع في المنطقة".

خطوة مهمة ولكن..

تحمل القمة في ظاهرها دلالة هامة، فهي أول قمة عربية أوروبية، لكن ظروف انعقادها والمرحلة الزمنية التي تنعقد فيها تجعلان أهميتها لا تتجاوز عتبة تميّزها باعتبارها التجربة الأولى، ودون ذلك لا يتوقع أن تحقق القمة أي اختراقات أو أن تأتي بمخرجات تاريخية لجهة تقديم رؤية مغايرة حيال ملفات متشابكة يتم تداولها في كل اجتماع عالمي تقريبا.

ويرجع المراقبون هذا الأمر لا فقط إلى كثرة الملفات المطروحة على القمة، مثل الهجرة والاستثمار والإرهاب والأمن والاستقرار والقضية الفلسطينية والأوضاع في سوريا وليبيا واليمن، بل بشكل أساسي إلى تباين الرؤى ووجهات النظر بخصوص هذه الملفات بين المنطقة الواحدة، سواء الدول العربية في ما بينها أو الرؤى الأوروبية الداخلية، كما بين العرب والأوروبيين. ويقول مارك بييريني، المحلل في مركز كارنيغي- أوروبا للأبحاث، والسفير السابق للاتحاد الأوروبي في تونس وليبيا، إن الرهان الرئيسي لقمة شرم الشيخ هو "إقامة حوار يكون له معنى بين الكيانين اللذين يواجه كل منهما تحدياته الخاصة". وأشار إلى أن هذا الاجتماع يأتي في وقت "ما زالت فيه الدول العربية تمرّ بتداعيات الثورات التي اندلعت عام 2011 (..) ووحدة الجامعة العربية ليست في أحسن حال". وأضاف أن الاتحاد الأوروبي من جانبه "منقسم داخليا حول بعض مبادئه الجوهرية".

وكشف تخبط بعض المسؤولين الأوروبيين حول ترتيب أولويات القمة، غلبة الشأن الداخلي لكل دولة وما يمسها بشكل مباشر على حساب الملفات المشتركة للتكتل الأوروبي أو الجامعة العربية، وهي مشكلة عطلت الخروج بنتائج إيجابية في بعض المؤتمرات التي عقدت مؤخرا.

وذهبت بعض الملامح إلى أن أزمة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست) قد تكون محورا مهمّا غير معلن على هامش القمة مع حضور تيريزا ماي رئيس الوزراء البريطانية إلى جانب المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، في وقت تسابق فيه الأولى الزمن لتحقيق خروج آمن قبل نهاية مارس المقبل.

وأكدت المفوضية الأوروبية أن قمة شرم الشيخ هي لقاء بين أعضاء الجامعة العربية والاتحاد الأوروبي، ومن الصعوبة توقيع اتفاقات مع دول منفردة، ما يعني عدم وجود اتفاق بين الدول حول ملف ثابت أو رأي موحد بشأن قضية محددة.

وكشفت بيانات بعض الدول الأوروبية حجم التباين في الأهداف السياسية، فبينما رأت بعض الدول المنتمية لأوروبا الشرقية ضرورة التركيز على قضية الهجرة غير الشرعية، أبدت دول مثل إيطاليا اهتماما واضحا بالملف الليبي، المرتبط بمصالحها المباشرة.

ويبدو عدم التفاهم حول أجندة واضحة، ثغرة في وقت يرغب فيه الاتحاد الأوروبي بالظهور كقوة أكثر هيمنة على المستوى الدولي أمام تراجع الولايات المتحدة في المنطقة، وفراغ الساحة الإقليمية لصالح روسيا والصين، ما يخلق استقطابات متباينة.

وقالت نورهان الشيخ، أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة، إن توالي المؤتمرات وتنوع الأطراف المشاركة يبرهنان على أن النظام الدولي في حالة سيولة شديدة، وموازين القوى مازالت تتشكل على أسس التغيرات الإقليمية التي صاحبت صعود قوى جديدة، وكل طرف يسعى لتأكيد نفوذه وقدرته على التأثير في ظل تعدد الأزمات وغياب أطر حلها.

العاهل السعودي يشارك في القمة العربية الأوروبية

❑ **شرم الشيخ (مصر)** – وصل العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز السبت، إلى شرم الشيخ للمشاركة في القمة العربية الأوروبية.

وكان العاهل السعودي غادر الرياض إلى مصر في زيارة رسمية تلبية للدعوة الموجهة من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي. وقال الديوان الملكي السعودي، في بيان بثته وكالة الأنباء السعودية (واس)، إنه سيتم خلال الزيارة بحث العلاقات الثنائية بين البلدين وسبل تعزيزها في كافة المجالات، وبحث القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك.

وحسب الوكالة، سيرأس العاهل السعودي وفد المملكة في القمة العربية الأوروبية، التي وصفها السفير حسام زكي، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، بأنها تعتبر مساحة نادرة لحوار القادة بشكل منفتح في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

وأضافت لـ"العرب"، أن الولايات المتحدة وبريطانيا تقودان تحالفا دوليا يسعى لتهميش النفوذ الروسي المتصاعد في العديد من القضايا، وهو أمر يتضح بغياب موسكو وحليفتها بكين عن مؤتمر وارسو، ومحاولة تهميش روسيا في مؤتمر ميونيخ للأمن، ويبدو أن قمة شرم الشيخ العربية الأوروبية تسير على النهج ذاته، ما لم تحدث مفاجآت غير متوقعة.

تجاهل روسيا

يعرقل تجاهل روسيا الوصول إلى حلول سياسية قابلة للتطبيق في بعض الملفات الحاضرة في شرم الشيخ، وعلى رأسها الأزمة السورية، في وقت يحتاج فيه العالم إلى إجراءات واضحة بشأن التعامل مع الإرهابيين خصوصا مع اقتراب حسم معركة إدلب. وأوضحت الشيخ أن اختلاف الطرح العربي لحل أزمات المنطقة، وكذلك الأمر بالنسبة للدول الأوروبية، يدفع إلى خفض سقف التوقعات بشأن النتائج.

ويظهر ذلك من خلال تنبي بعض دول الاتحاد الأوروبي للحل البولندي الفضفاض في القضية الفلسطينية، ومعارضة أطراف أخرى تؤيد وجهة النظر الأميركية الساعية إلى تدشين صفقة القرن، كما تختلف الرؤية العربية لحل القضية الأم في المنطقة من دولة إلى أخرى، ما يصعّب الوصول إلى صيغة توافقية.

وما يسري على القضية الفلسطينية ينطبق أيضا على مكافحة الهجرة غير الشرعية والتعامل مع الإرهابيين، وتوفير سبل الأمن والاستقرار، وكلّها ملفات ذات أهمية قصوى للبلدان العربية والأوروبية. ويختلف الوضع العربي عن الأوروبي مع تعدد الأزمات الداخلية والخلافات الإقليمية بشكل يضاعف من صعوبة التوصل إلى آليات مشتركة لحل الملفات العاجلة.

ويتساءل بعض الخبراء كيف يمكن مناقشة ملفات شديدة التعقيد مثل القضية الفلسطينية دون وجود أطراف الأزمة في القمة مثل الولايات المتحدة وإسرائيل؟ وهل من الممكن الحصول على نتيجة في الأزمة السورية مع عدم وجود تمثيل من نظام بشار الأسد ومعارضيه؟

وقالت نهى بكر، أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأميركية، إن تاريخ العلاقات العربية الأوروبية لم يفض إلى تعاون حقيقي من خلال تجارب سابقة، مثل الاتحاد الأورومتوسطي، والتعاون المتزايد مع حلف الناتو، لكنها في النهاية محاولات تسعى إلى كسب الدول العربية في صف الاتحاد الأوروبي في مشكلة مثل الإرهاب والهجرة غير الشرعية.

وأكدت لـ"العرب" أن الحضور القوي لزعماء الاتحاد الأوروبي في شرم الشيخ والاهتمام الأوروبي بمؤتمر ميونيخ للأمن، يبرهنان على أن هناك أولوية أمنية تسعى البلدان الأوروبية لتحقيقها بعيدا عن الملفات الإقليمية الأخرى التي قد تأتي على هامش النقاشات، بما يشي بأن المشكلات الأمنية الداخلية أضحت طاغية على الأزمات الإقليمية والدولية المفتوحة.

ويفرز تعدد المؤتمرات التي يغلب عليها الطابع الأمني تحدّيات أكبر بالنسبة للعالم العربي والذي سيكون أمام مهمة الحفاظ على استقرار المنطقة في ظل اختلاف الرؤى الأميركية والأوروبية بشأن القضايا العالقة، وهو أمر يظهر من خلال توجه واشنطن نحو تبني موقف عدائي من إيران، في حين أن البعض من الدول العربية والأوروبية تربطها مصالح بها.

ويؤدي غياب الرؤى الواضحة بشأن التعامل مع القضايا الأمنية في المؤتمرات الدولية على غرار مؤتمري ميونيخ ووارسو إلى وجود تعارض ربما يجهض ما توصلت إليه المشاركون، وهو أمر تحاول القمة العربية الأوروبية تحاشيه، لأنها تسعى إلى تحقيق موقف عام يتوافق عليه الجميع ويرتبط بوقف الصراعات في المنطقة العربية والتفاهم حول ضرورة تهدئة الأوضاع التي لها تداعيات على المنطقة الأوروبية.

ملفات بارزة على طاولة القمة

❑ تعتبر الموضوعات الأمنية والاقتصادية الأبرز في أعمال القمة العربية الأوروبية الأولى، فيما تحدثت مصادر دبلوماسية عربية عن إدراج موضوعات اجتماعية على جدول القمة، ورغم عدم إعلانها عن تفاصيلها، فقد أكدت أنها "لا تقل أهمية عن الجانب السياسي".

● **الموعد وجدول الأعمال:** تنطلق القمة العربية الأوروبية الأولى في منتجع شرم الشيخ السياحي على مدار يومي الأحد والاثنين 24 و25 فبراير الجاري. وتعقد الجلسة الافتتاحية لأعمال القمة مساء الأحد، تعقبها جلسة مفتوحة بين القادة المشاركين فيها، أو منصة حوارية للاتفاق على المسائل المهمّة التي سيتم البدء بتنفيذها. وتتواصل الجلسات في اليوم التالي (الاثنين)، على أن يعقد مؤتمر صحافي مساء ذات اليوم، وإعلان البيان الختامي..

● **أبرز الحضور:** قال رئيس وفد مفوضية الاتحاد الأوروبي بالقاهرة، إيفان سوركوش، إن 24 من رؤساء دول وحكومات البلدان الأعضاء بالاتحاد الأوروبي سيشاركون في القمة. وأضاف سوركوش في تغريدة عبر حسابه بموقع التواصل الاجتماعي تويتر، أن "القادة الأوروبيين مهتمون بقوة بتعزيز التعاون مع جيراننا العرب".

وأشار إلى أن "24 من أصل 28 دولة عضو في الاتحاد الأوروبي ستحضر إلى شرم الشيخ لحضور القمة الأولى لدول الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية"، فيما قالت وسائل إعلام محلية مصرية إن 16 دولة عربية ستشارك في القمة.

ويمثل الاتحاد الأوروبي في القمة دونالد توسك، رئيس المجلس الأوروبي، وجان كلود يونكر رئيس المفوضية الأوروبية، وفيديريكا موغيريني مسؤولة السياسة الخارجية بالاتحاد.

ومن أبرز الحضور المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي، والرئيس الروماني كلاوس يوهانيس بصفته الرئيس الحالي للاتحاد الأوروبي، والرئيس القبرصي نيكوس أناستاسيادس، ورئيس وزراء فنلندا يوها سيبيلا، ووزير الشؤون الخارجية والاتحاد الأوروبي والتعاون الإسباني، جوزيب بوريل، والمستشار النمساوي سيباستيان كورتز، وبيتر بيليجريني رئيس وزراء سلوفاكيا، ورئيس وزراء إستونيا يوري راتاس.

ومن بين القادة العرب المقررة مشاركتهم في القمة، العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز وأمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح والعاهل البحريني الملك حمد بن عيسى آل خليفة، والرئيس التونسي الباجي قائد السبسي والرئيس الفلسطيني محمود عباس والرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز والرئيس اليمني عبدربه منصور هادي والرئيس العراقي برهم صالح، ورئيس المجلس الرئاسي الليبي فايز السراج، ورئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري. وأعلنت قطر عن تخفيض مستوى تمثيلها في القمة العربية الأوروبية التي تنطلق الأحد بمدينة شرم الشيخ المصرية، حيث يشارك مندوبها الدائم لدى الجامعة العربية، إبراهيم السهلاوي بالقمة.

● **5 ملفات بارزة:** قالت مصادر دبلوماسية أوروبية وعربية إن القمة ستناقش تعزيز العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية، بالإضافة إلى الأمن ومكافحة الإرهاب والهجرة والتغيرات المناخية والأزمة الليبية والقضية الفلسطينية.

ونقلت وسائل إعلام مصرية عن مصدر دبلوماسي أوروبي، لم تسمّه، أن "القمة ستناقش خمس موضوعات رئيسية هي الشراكة العربية الأوروبية، والتحديات الدولية، والملفات الإقليمية، إلى جانب الهجرة ومكافحة الإرهاب".

وحسب الدبلوماسي، فإن القضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية تتصدر جدول أعمال القمة، لافتا إلى أن القمة لا تتمحور حول قضية مكافحة الهجرة غير الشرعية، وهذا الملف لا يعدو كونه إحدى أجندتها.

وخلال الأسابيع الماضية، قالت وسائل إعلام أوروبية، إن ملف مكافحة الهجرة هو الملف الأساسي على طاولة القمة، وإنها ستشهد توقيع اتفاقات بين الاتحاد الأوروبي ودول شمال أفريقيا للتعاون حول الأمر.

وفي هذا الإطار، قال الدبلوماسي الأوروبي إن "القمة هي لقاء متعدد الأطراف بين أعضاء الجامعة العربية وأعضاء الاتحاد الأوروبي، ولذلك لن يتم توقيع أي اتفاقات مع دول منفردة على هامشها".

وأضاف أن الجانبين فرغا من اللقاءات التحضيرية للقمة، وبات كل شيء جاهزًا لانطلاقها، لكنّ الطرفين مازالا يعملان على الوثيقة الختامية التي ستصدر عنها. ولفت إلى أن عقد أول قمة عربية أوروبية رفيعة المستوى في شرم الشيخ، يعد إشارة مهمة وخطوة في اتجاه تعزيز الشراكة بين التكتلين.

وفي عام 2015 وقعت مُذكرة تفاهم بين الاتحاد الأوروبي والجامعة العربية، وعلى أساسها يعقد الاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية لقاءات مُنتظمة على مستويات مختلفة، ويتم تنظيم لقاءات لمسؤولين رفيعي المُستوى.

غوغل إيرث.. التقاء أسرار السياسة بجنون التكنولوجيا

جاسوس متطور يرصد من السماء كل تفصيل على الأرض

عملاق التكنولوجيا يكشف مواقع عسكرية بالخطأ ودول عديدة تعتبره تهديدا لأمنها

في السنوات الأخيرة ظهر جانب خفي من عملاق التكنولوجيا، نادرا ما تحدث أحد عنه: غوغل المتعاقد مع الحكومة. اتضحت إمكانية استخدام المنصات والخدمات التي توفرها شركة غوغل لمراقبة حياة الأشخاص والاستيلاء على بياناتهم واستعمالها في مجالات واسعة، بما في ذلك الجيش ووكالات التجسّس، ووصل الأمر إلى حد التجسس على الدول. وكان مفتاح هذا التحول شركة صغيرة ناشئة أصبحت تعرف الآن باسم "غوغل إيرث".

أيمن محمود

❏ تسبب تحديث جديد لبرنامج غوغل إيرث، أطلق في شهر فبراير الجاري، في عرض لقطات لمواقع عسكرية تايوانية سرية، عن طريق "الخطأ". وأشارت التقارير، حسبما ذكر موقع "زد نت"، إلى أن اللقطات التي أظهرت المواقع العسكرية عرضت بوضوح ما تحتويه من صواريخ باتريوت لم يتم وضع أي علامات تمويهية عليها كما هو متعارف عليه في التعامل مع مثل هذه المواقع حول العالم.

وتأتي خطورة "الخطأ" الذي نجم عن التحديث الجديد في أنه أتاح لجميع مستخدمي "غوغل إيرث" رؤية المواقع بدقة من حيث تخطيط القواعد العسكرية والبنايات وقاذفات الصواريخ، كما تم الكشف عن مكتب الأمن القومي في تايوان ومكتب المخابرات العسكرية في التحديث الجديد.

لكن، لا يبدو أن الكثير من المتابعين مقتنعين بفكرة أن الأمر تم عن طريق الخطأ، وحتى من اقتنع بذلك، فإنه لا يعارض فكرة أن "غوغل إيرث يمتلك أقوى كاميرا تجسّس في العالم، تنقل الأحداث مباشرة".

ويقول ياشا ليفين، في صحيفة الغارديان، "اكتب عنوان منزلك في خانة البحث في غوغل إريث وستبدأ الصورة تتحرك أمامك وشيئا فشيئا ترى لقطة جوية واضحة لمنزلك. تكبّر الصورة وسترى رؤية الزهور في حديقتك، وسيارتك الواقفة بالممر المخصص لها، ويرى ذلك من التفاصيل حتى يخيّل إليك أنك تستطيع أن ترى نفسك جالسا على كمبيوترك".

وغوغل إيرث برنامج حاسوبي في الأساس يعرض صورة ثلاثية الأبعاد للأرض عن طريق تجميع بيانات واردة من الأقمار الصناعية. ويدمج هذه الصور الجوية مع نظام المعلومات الجغرافية للخروج للمستخدم بعالم ثلاثي الأبعاد. ويتيح معاينة المدن والمناظر الطبيعية من زوايا مختلفة، كما يمكن للمستخدمين استكشاف العالم عن طريق إدخال العناوين والإحداثيات.

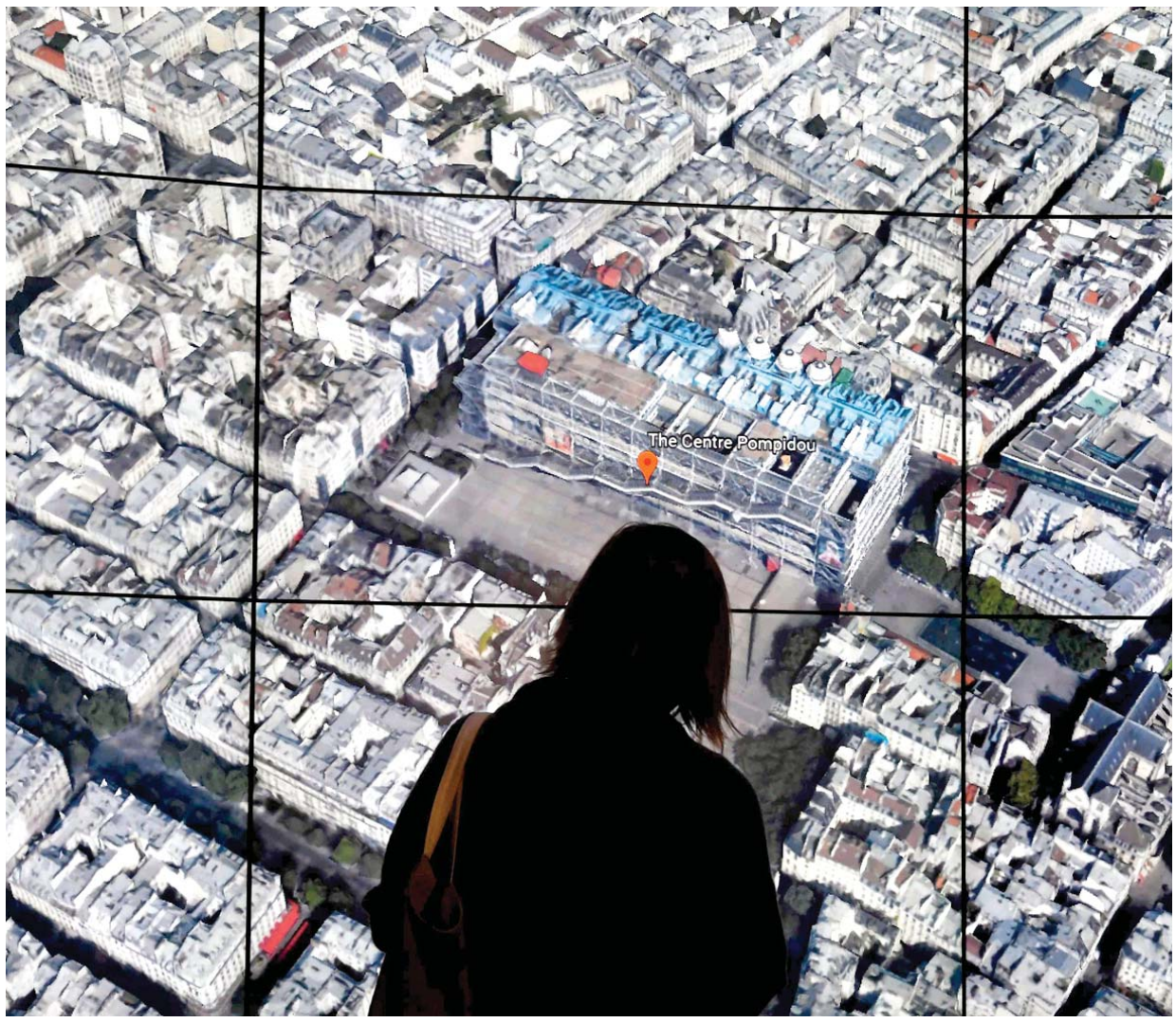

لا شيء يفلت عن عين غوغل

ياشا ليفين

> كنا نعلم أن لهذا التطور التكنولوجي ثمنا، تبين في ما بعد أنه عبارة عن بياناتنا وخصوصياتنا. لكننا لم نهتم. ثم اتضح أن الجيش ووكالات الاستخبارات هما من عملاء غوغل الرئيسيين

ويعد غوغل إيرث امتدادا لبرنامج غوغل خرائط الذي يستخدم تقنيات مشابهة لإظهار الحدود الإدارية والسياسية وتخطيط الطرق وغيرها من الخدمات، لكن دون إضافة تقنية الأبعاد الثلاثية التي يمتاز بها غوغل إيرث. وربما كانت تلك الخاصية سببا في أن بعض الدول اعتبرت غوغل إيرث تهديدا لأمنها القومي، مما أدى إلى حظر البرنامج في العديد من البلدان.

يقول ياشا ليفين "كنا نعلم أن لهذا التطور التكنولوجي ثمنا، تبيّن في ما بعد أنه عبارة عن بياناتنا وخصوصياتنا. لكننا لم نهتم. ثم اتضح أن الجيش ووكالات الاستخبارات هما من عملاء غوغل الرئيسيين".

الكشف الخطأ عن مواقع عسكرية سرية لا يعدّ الأول من نوعه الذي يضع غوغل إيرث في مأزق مع الحكومات. كما أن مثل هذه الأخطاء لم تفرّق بين دول وأخرى، سواء كانت شرقية أو غربية. ولم تسلم حتى الولايات المتحدة.

وتقول وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) إنها تمتلك حوالي 5000 قاعدة من بينها نحو 600 قاعدة في خارج حدودها. وذكرت صحيفة ديلي ميل البريطانية أن جوش بيغلي، وهو فنان وباحث، قرر تحديد مواقع جميع القواعد العسكرية الأميركية المعروفة في جميع أنحاء العالم. وجمع صور الأقمار الصناعية لها باستخدام غوغل ومحرك البحث بينغ. وبالفعل نجح في تحديد إحداثيات 650 قاعدة عسكرية. ونشر صورا لـ644 منها.

وإن كان البرنامج كشف أسرار الدولة التي تعد منشأ شركة غوغل، فلا عجب من أن يكشف ما يخفيه الخصوم السياسيون للولايات المتحدة، وعلى رأسهم الصين. وفي عام 2006، كشف برنامج غوغل إيرث عن موقع في إحدى المناطق النائية في الصين، ظهر في البداية موقعا طبيعيا لكن تبيّن في ما بعد أنه من صنع الإنسان.

ويوجد هذا الموقع في منطقة هوانغيانغتان النائية، وهو نموذج مصغر لجزء من الأرض مكون من مرتفعات يعلوها الجليد، وتجري خلالها الجداول بين الوديان. ورجح البحث الذي سجله عضو ألماني في موقع مجتمع غوغل إيرث، أن الموقع قد يكون أنشئ لأغراض عسكرية، بحسب صحيفة "سيدني مورنينغ هيرالد".

ووفقا للبيانات المقارنة التي جمعها أفراد مجتمع غوغل إيرث، فإن مساحة الموقع تبلغ 450 كيلومترا مربعا، وأنه من الأراضي التي تحتلها الصين، لكن الهند تطالب باستعادتها. وتكهن العديد من خبراء غوغل إيرث بأن المنظر الطبيعي الذي يظهر فيه الموقع هو في الحقيقة اصطناعي، وربما يخفي نوعا من التكتيكات الدفاعية، نظرا إلى أن منطقة هوانغيانغتان لها روابط بالجيش الصيني، فضلا عن تقارير موثقة بوجود مدفعية بالقرب من الموقع.

تهديد الأمن القومي

صرحت العديد من الدول عن قلقها من التهديدات التي يشكلها البرنامج على معلوماتها السرية، وتأتي الهند كواحدة من أبرز الدول التي أعلنت ذلك.

وفي عام 2005 قال الرئيس الهندي آنذاك، أبوبكر زين العابدين عبدالكلام، إن "مناطق حساسة تم عرضها بوضوح عبر غوغل إيرث"، محذرا من أن الإرهابيين والعناصر التخريبية الأخرى سيستخدمون هذه الصور لصالح أنشطتهم الإجرامية.

وكان غوغل إيرث عرض صورا واضحة لمقر قيادة الجيش ومبنى البرلمان وغيرهما من المؤسسات الدفاعية، ويأتي ذلك بعد أن أعلنت دول أخرى عن قلقها بشأن المسألة ذاتها من بينها تايلاند وهولندا وكوريا الجنوبية.

وتطلّب الأمر الدخول في محادثات بين ممثلين عن شركة غوغل والحكومة الهندية ممثلة في وزارة العلم والتكنولوجيا، أسفرت عن موافقة غوغل على التمويه على صور المناطق التي تحددها الحكومة الهندية، بحيث لا تظهر تفاصيل تلك المواقع أو محتوياتها للمستخدمين.

ويرى الخبراء أن صور الأقمار الصناعية المعروضة على غوغل إيرث من المفترض ألا تسبب قلقا للبلدان المتقدمة لأن قوانينها تسمح بالحق في تداول المعلومات، غير أن قوانين ولوائح الأمن في الهند تتطلب الاحتفاظ بسرية إمكاناتها وقدراتها التشغيلية.

ويرى نايار مادهافان، الرئيس السابق لمنظمة البحوث الفضائية الهندية، أن المؤسسات الدفاعية لدى بلاده يجب أن تكون قلقة بشأن التطبيقات مثل غوغل إيرث، مؤكدا على أهمية الحوار مع الشركات المسؤولة عن مثل هذه التطبيقات بأن مصلحة المجتمع الدولي، خاصة في الظروف الأمنية التي يواجهها العالم، تتطلب عدم عرض تفاصيل أسرار المواقع الحساسة في مختلف الدول.

اتهامات موجهة لأميركا

تعرضت شركة غوغل في عام 2010 إلى اختراق لنظامها. ورجّحت الشركة أن من يقف وراءه مجموعة من الهاكرز الحكوميين الصينيين. وفي أعقاب ذلك أبرمت غوغل اتفاقا سرّيا مع وكالة الأمن القومي الأميركي يقضي بموافقة الشركة على تقديم معلومات عن مستخدمي شبكتها في مقابل الحصول على معلومات استخباراتية من وكالة الأمن القومي حول الهاكرز الأجانب.

ووصف المراسل العسكري لصحيفة الغادريان البريطانية شاين هاريس هذه العملية بأنها مقايضة، معلومات مقابل معلومات، وأن العملية كانت في نظر وكالة الأمن القومي، عبارة عن معلومات في مقابل الحماية. وفضلا عن ذلك فقد بدأت غوغل منذ ذلك الحين تتغلغل في نسيج المجتمع الأميركي. فمع زيادة حجمها لم تجد المؤسسات العلمية والمجتمعية والبيئية بدّا من التحول لاستخدام خدمات غوغل، فلم يعد الأمر مقتصرا على التعاون مع المؤسسات الأمنية والعسكرية فقط.

ولم تتوقف غوغل وبرنامجها عند حدود السيطرة على جميع البيانات على سطح الأرض بالتفصيل، بل إنها طورت أدوات داخل برنامج غوغل إيرث ليغوص في أعماق المحيطات وينطلق إلى آفاق الفضاء الخارجي الذي يشهد تنافسا بين القوى العظمى.

> تطلعات شركة غوغل وبرامجها لم تتوقف عند حدود السيطرة على جميع البيانات على سطح الأرض بالتفصيل، بل إنها طورت أدوات داخل برنامج غوغل إيرث ليغوص في أعماق المحيطات وينطلق إلى آفاق الفضاء الخارجي

وكشفت شركة غوغل عام 2009 عن تحديث لغوغل إيرث جاء تحت اسم غوغل أوشن أو غوغل محيط، والذي يوسع حجم الخارطة التي يظهرها البرنامج لتشمل مساحات كبيرة من قاع المحيطات، يمكن للمستخدمين من خلاله الغوص تحت سطح الماء لاستكشاف تضاريس سطح البحر بتقنية الأبعاد الثلاثية.

وكان الناشط البيئي والسياسي الأميركي، آل غور، حاضرا في حفل إطلاق خدمة غوغل أوشن، ووصف الخدمة الجديدة في بيان قال فيه جور إن هذا التحديث سيجعل من غوغل إيرث "تجربة سحرية، إذ لن يمكنك فقط تكبير أي جزء من سطح كوكبنا الذي ترغب في دراسته بتفصيل أكثر، بل سيمكنك الآن الغوص في محيطات العالم التي تغطي ما يقرب من ثلاثة أرباع الكوكب واكتشاف عجائب جديدة".

وطورت الشركة كذلك أداة غوغل سكاي، والتي تتيح للفلكيين والمهتمين بعلوم الفضاء معاينة النجوم والأجرام السماوية والمجرات بتوفير مشاهد كتلك التي يتم رصدها من سطح الأرض، ليصبح البرنامج بذلك بمثابة تلسكوب افتراضي في متناول المستخدم يتنقل به بين الفضاء الفسيح من فوق مقعده بالمنزل.

هكذا ومع مرور الوقت أصبح برنامج غوغل إيرث نقطة التقاء بين عالمي السياسة والتكنولوجيا. وكان هذا البرنامج حلقة الوصل بين أسرار السياسة وتحفظات السياسيين وحساباتهم الأمنية المعقدة، وبين جنون التكنولوجيا التي لا تتوقف عند حد معين في تقديم كل ما هو جديد ومثير كل يوم.

أي دور لعبه غوغل إيرث في الحرب بسوريا

❏ لندن – تعتبر تكنولوجيا المعلومات منجما يساعد وكالات التجسّس والحكومات التي تديرها على رسم صورة شاملة للاتجاهات الثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات والدول.

وتبرز في هذا المجال عدة شركات، إلا أن الدور الأكبر هو الذي تلعبه شركة غوغل، بمختلف تطبيقاتها، خصوصا غوغل إرث وغوغل ماب، والتي وصل تأثيرها حد التدخل في الصراعات والحروب كما حصل مع الحرب الدائرة في سوريا.

يلفت ياشا ليفين، الصحافي والخبير في شؤون التجسس في صحيفة الغارديان، إلى أن شركة غوغل لم تعمل مع وكالات الاستخبارات والوكالات العسكرية فقط، بل سعت إلى اختراق كل مستوى من مستويات المجتمع أيضا، بما في ذلك الوكالات الحكومية والمدن، وإدارات الشرطة المحلية، وإدارات الطوارئ والمستشفيات والمدارس العامة، وجميع أنواع الشركات والمنظمات غير الربحية.

وأنشأت الشركة منصة لمكافحة تجنيد الإرهابيين والتطرف عبر الإنترنت، والتي عملت على تحديد هويات مستخدمي غوغل المهتمين بمواضيع المتطرفين الإسلاميين وتحويلهم إلى صفحات ويب ومقاطع فيديو تابعة لوزارة الخارجية، تم تطويرها لثني وردع هؤلاء المهتمين عن اتخاذ هذا الطريق.

وتسمي غوغل هذه الطريقة "منهجية إعادة التوجيه،" وهي جزء من فكرة جارد كوهن، الذي يعمل حاليا كـ"مدير أفكار" بغوغل وهو عضو في مجلس العلاقات الخارجية الأميركي. وتقوم الفكرة على استخدام منصات الإنترنت في شن "مكافحة رقمية للتمرّد".

وكان لغوغل إيرث دور في الحرب السورية، ففي سنة 2012، مع اشتداد الحرب الأهلية في سوريا وتزايد الدعم الأميركي للقوات المتمردة السورية، قام فريق شركة "جيغسو" التابعة لغوغل بالبحث عن الطرق التي يمكن أن تساعد في دفع بشار الأسد للتنحي من السلطة.

وأراد كوهن أن يدخل أداة تقوم بوضع خرائط مرئية لتحديد حالات الانشقاقات الهامة على مستوى حكومة الأسد، إلى سوريا كدعاية لإعطاء "الثقة للمعارضة".

وبدَت شركة "جيغسو" وكأنها تطمس الخط الفاصل بين الدبلوماسية العامة ودبلوماسية الشركات. وقد اتهمها مسؤول سابق في وزارة الخارجية الأميركية بتأجيج تغيير النظام في الشرق الأوسط.

وكتب فريد بيرتون، وهو مسؤول تنفيذي في ستراتفور، وعميل استخبارات سابق في فرع الأمن بوزارة الخارجية، "تحصل غوغل على دعم من البيت الأبيض، ووزارة الخارجية. كما تتمتع بالتغطية الجوية. في الواقع، تفعل غوغل أشياء لا تستطيع وكالة المخابرات المركزية القيام بها".

وأنكرت شركة غوغل صحة مزاعم منتقديها. وقال مستشار المجلس الإدارة في شركة غوغل، إريك شميت، في حديثه مع مجلة "وايرد" الأميركية، "لا نشارك في تغيير النظام. نحن لا نفعل ذلك. ولكن، إذا اتضح أن تمكين المواطنين، من خلال الهواتف الذكية والمعلومات، يؤدي إلى تغيرات في بلادهم.. فإن هذا أمر جيد، ألا توافقني؟".

وأثار عمل "جيغسو" مع وزارة الخارجية موجة من الفضول والتساؤلات. لكن هذا العمل، وفق ياشا ليفين يعتبر مجرد لمحة بشأن المستقبل إذا ما حصلت غوغل على ما تريد. وبينما تعقد الشركة صفقات جديدة مع وكالة الأمن القومي وتواصل اندماجها مع الأجهزة الأمنية الأميركية، يرى مؤسسوها أنها ستلعب دورا أكبر في المجتمع العالمي.

سعودي تعددت إضاءاته فأثرت مهامه ورؤاه

تركي الدخيل

يستبدل حقيبة الدبلوماسي بمهمة الإعلامي وقلم الصحافي

عمر علي البدوي

❏ أثناء أداء سفراء العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز المعينين حديثا لدى عدد من الدول الشقيقة والصديقة القسم مطلع الأسبوع الماضي، وفي مكتبه بقصر اليمامة في الرياض، كان تركي الدخيل يعبر من مرحلة هامة في حياته إلى مرحلة ثانية وجديدة لا تقل أهمية عن سابقتها، بعد تعيينه سفيرا لبلاده لدى دولة الإمارات العربية المتحدة.

الإعلامي والصحافي الذي قضى ما يزيد على ثلاثة عقود في بلاط صاحبة الجلالة، وتنقل بين مساراتها المختلفة، وألف الكتب وأجرى الحوارات وأعد التقارير الميدانية، وأدار دفة إحدى المحطات العربية المنافسة في الفضاء التلفزيوني، يضع من يده قلم الصحافي ويمسك بحقيبة الدبلوماسية. صحيح أن المهمتين تلتقيان في الكثير من الوشائج الوظيفية والعملية، لكنهما تنفردان بما يختص به كل مجال منهما.

تحديات تواجه الإعلام السعودي

بدأ الدخيل المولود في مدينة الرياض عام 1973 حياته العملية بشكل مبكر، وارتبط كناشط بالإعلام وهو لا يزال في سن الـ16، قبل أن يحترف العمل الصحافي في العام 1994، ويضع بصمته في عدة مؤسسات صحافية.

> حجم التحديات التي تواجه الإعلام السعودي في الفترة الحالية، وسط ضجيج المنصات الإعلامية الناعقة بالتسييس والمرتهنة لمشاريع التوظيف والتعبئة الأيديولوجية، لا شك أنه يمثل مواجهة ستترك آثارها على شخص مثل الدخيل الذي صار في قائمة المستهدفين ممن توجه إليهم كل أنواع الاتهامات

درس الدخيل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية أصول الدين قسم السنّة. وحاصل على دورات تخصصية في التصوير والكتابة الصحافية وإدارة مواقع الإنترنت في أميركا. وكانت أطروحته في الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة المقاصد في بيروت. وكان آخر ما تولاه الدخيل من مهام في الإطار الإعلامي الذي شغف به وبذل له خلاصة طاقته ووقته، هو إدارة قناة العربية خلفا لمواطنه عادل الطريفي.

نجح الدخيل في الحفاظ على حضور القناة في الفضاء العربي، استطاع أن يفعل ذلك رغم التحولات الحادة في الحقل الإعلامي بعد أن دهمته تقنيات وأدوات الإعلام الجديد وغيرت الكثير في واقعه.

وبرغم ذلك حافظت العربية على وهجها وتأثيرها، وكان ذلك على حساب شخصه كإعلامي اعتاد عليه الجمهور وارتبط بأدائه الفريد. أطلّ لماما من الشاشة التي ألفته خلال الأربع سنوات كمدير للقناة لكن المسؤوليات الإدارية الملقاة على عاتقه بحكم موقعه أخذت منه جهدا حتى خارج العربية.

حجم التحديات التي واجهت الإعلام السعودي في الشهور السابقة، وسط ضجيج المنصات الإعلامية الناعقة بالتسييس والمرتهنة لمشاريع التوظيف والتعبئة الأيديولوجية، لا شك أنه يمثل مواجهة ستترك آثارها على شخص مثل الدخيل الذي صار في قائمة المستهدفين ممن توجه إليهم كل أنواع الاتهامات. أقلها التعثر في أداء المهمة ومحاولة الربط بين انتقاله للعمل الدبلوماسي في واحدة من أهم العواصم باعتبارات الرياض، ومغادرته إدارة قناة العربية.

فالدخيل الذي قاد تلك المواجهة، كان برنامجه "إضاءات" الذي قدمه على قناة "العربية" قد حصل في العام 2010 على جائزة أفضل برنامج حواري من قبل مهرجان الخليج للإذاعة والتلفزيون في البحرين، وهو الذي اختارته مجلة أريبيان بزنس ضمن أقوى 100 شخصية عربية في مرتين تفصلهما سنوات قليلة، ما يؤشر على نشاطه وحرصه على تطوير مهنته.

قبل ذلك وفي العام 2009 حصل الدخيل بالتصويت على لقب "أفضل مذيع سعودي" في استفتاء جريدة الرياض، وقبل ذلك بعامين حصل بالتصويت أيضا على لقب "سيد الحوار" في الاستفتاء الذي أجرته مجلة روتانا.

لذلك فإن "العربية" تحت إدارته، ظلت محافظة على صوتها، وتمكنت من توضيح الحقيقة قدر ما استطاعت، وسط ظرف صعب جدا، بعد أن انفجرت في وجه الرياض هجمة شرسة وممنهجة في سياق التحام مشروعين متنافرين، أحدهما يريد الخير والاستقرار للمنطقة تقوده السعودية وبقية العواصم العربية الحيّة، وآخر يريد أن يودي بها إلى المزالق والمهالك تقوده الدوحة ورعاتها في طهران وأنقرة.

علاقات استراتيجية

يأتي الدخيل سفيرا للرياض لدى أبوظبي في مرحلة مهمة من عمر العلاقة بين العاصمتين التي تشهد أكثر فتراتها ازدهارا وثراء. فالبلدان اللذان يجمعهما مجلس للتنسيق الاستراتيجي، يلتقيان في الكثير من الملفات والأدوار التي تضبط الفضاء العربي وتشكل مناخاته السياسية والاستراتيجية.

وبدوافع مشتركة تجمع الرياض وأبوظبي، سيزيد تعيين الدخيل، وهو الذي انتقل للعيش في العاصمة الإماراتية قبل ذلك بسنوات ويدير الكثير من مشاريعه الإعلامية والبحثية فوق أراضيها، الكثير من الفعالية والعمق والسلاسة في تجسير العلاقات وإثراء نتائجها.

فالسفير السعودي الجديد يمتلك تاريخا زاخرا بالتجارب، تنقل بينها برويّة، وأشبعها بما أوتي من الذهانة الاجتماعية والملكة الصحافية، مكنته هذه التجربة الواسعة من الإلمام بتفاصيل معقدة ودفينة في الإنسان الخليجي والسعودي على وجه الخصوص. وهو ما سيصب في صميم مهمته الدبلوماسية الحالية.

المشاريع التي أطلق لها العنان أو وضع لبناتها الأولى، أحدثت أثرا لافتا، وتركت طابعها الخاص في الحراك الثقافي والفكري للمنطقة. كان ذكيا بما يكفي ليسبق كل مرحلة بخطوة، مستثمرا في توفير ما يلبي حاجات العقول المفتوحة بالأسئلة والأذهان المنقدحة بالاستفسارات لمحاولة الفهم والاستيعاب. وهو ما يبرز كأكثر من دور إعلامي تصدّر الدخيل لمواجهته منذ البداية بمبادرة ذاتية منه، فكيف وهو اليوم تكليف رسمي.

فقد ساهم الدخيل في تأسيس موقع إيلاف الإلكتروني وأسس مجلة الإقلاع الإلكترونية وترأس تحريرها، وأسس موقع جسد الثقافة الذي يعنى بالأدب والفنون الكتابية والبصرية. كما أنه قدم استشارات إعلامية للعديد من الجهات، وساهم في تأسيس جائزة الشيخ زايد للكتاب، وكان عضوا في اللجنة العليا للجائزة حتى استقال في نهاية العام 2008. وهو عضو مجلس إدارة "أي ميديا"، التي تصدر جريدة الرؤية الاقتصادية، وهي صحيفة يومية تصدر من أبوظبي. وأسس مركز المسبار للدراسات والأبحاث في دبي، ودار "مدارك" للنشر. وجميع تلك المنعطفات تتجاوز الهم الإعلامي إلى ما هو أكثر استراتيجية.

مرحلة الصحافة العربية الجديدة

كان الدخيل حاضرا على توهجها. وبدأ بالميدان الذي شرب منه ألف باء المهنة العتيقة، إلى أعمدة المقالة الصحافية بشكل شبه يومي منذ العام 2000، وما مقاله الشهير مؤخرا عن خيارات الغضب السعودي تجاه السلوك الأميركي إلا شاهد عابر عن ملكته الشخصية.

كان الدخيل نجما وهو يمدد "جسد الثقافة" على تراب الوطن العربي، قبل أن يتململ هذا الجسد وينفضّ عنه الناس إلى سوق الفضائيات الزاهر، وكانت طاولة "إضاءات" محجا لرموز الثقافة والفكر والأدب العربي، فيما الدخيل يبرع في مهمته لتبسيط تلك القلاع الحصينة من المنتجات الفكرية العريقة وتلفزتها بمهارة فائقة.

جسر ثقافي

وعندما تفجرت ظاهرة الإرهاب ومخزنها الكبير من حركات وجماعات الإسلام السياسي، كان الألم شاخصا أمام خارطة واسعة ومتشعبة من الاتجاهات والتيارات، ولحماية المجتمع العربي والمسلم من التفسير الاستثماري الذي تنتهزه المراكز الغربية أو العربية الملوثة بالأيديولوجيا، انبرى الدخيل لتأسيس مركزه "المسبار للبحوث والدراسات"، واستقطب الأقلام الحصيفة والعارفة بالظاهرة، وأنتج العديد من المواد والمؤلفات والملخصات لتفكيك الظاهرة والمساعدة في فهمها وتفسيرها سبيلا إلى مقاومتها والحد منها.

ودعم المحتوى العربي، وقدم القلم الخليجي ومد ذراعه لجيل شاب متطلع إلى مصافحة مؤلفه الأول، وكان الدخيل وطاقم عمله ملاذه الآمن والضامن إلى الجمهور العربي عبر معادلة لا يتقنها أحد سواه، لمسة من التسويق تفعل الأعاجيب.

ويحتفظ الدخيل بدور في عدد من المشاريع الإعلامية والأدبية التي أثرت المنطقة العربية، وأججت الكثير من النقاش والجدل الصحي الذي لم تغيبه جيوش الشهرة المجانية ولم تضعفه ركامة المحتوى الذي جلبته منصات التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، وبقيت تلك المشاريع وصيّة على الكلمة الثمينة والفكر المسؤول.

ماذا يحمل في حقيبته الدبلوماسية؟

طرح الدخيل هذا السؤال على نفسه، وكتب في مقالة بهذه المناسبة "ماذا يمكن أن يقدم سفير، لعلاقة بين دولتين، يمكن اعتبارهما أقوى حليفين، لا في المنطقة، بل ربما في العالم؟". وأجاب بنفسه أيضا "يمكن أن يقدم الكثير، ولكن بالكثير من الجهد".

> المشاريع التي يعود الفضل للدخيل في إطلاقها أحدثت أثرا لافتا، وتركت طابعها الخاص في الحراك الثقافي والفكري للمنطقة. كان ذكيا بما يكفي ليسبق كل مرحلة بخطوة، مستثمرا في توفير ما يلبي حاجات العقول المفتوحة بالأسئلة والأذهان المنقدحة بالاستفسارات لمحاولة الفهم والاستيعاب

ينتظر من الدخيل الكثير من العمل في مهمته الجديدة، وبحكم العلاقة الأثيرة التي تربطه على المستوى الشخصي بين مسقط رأسه ومحل سكنه وعمله، سيكون لهذا انعكاس على علاقة البلدين وهما يمضيان في مشروع استراتيجي يلخص لحظة الخليج التي أجمع الخبراء والمحللون على جوهرها وحقيقتها، وفي القلب منها العاصمتان الخليجيتان الرياض وأبوظبي.

ومن واقع إلمام الدخيل بالمنعرجات الفكرية والسياسية التي أودت بالمنطقة إلى ما هي عليه اليوم من انهيار وانفلات تشهدهما كل الصعد، فإن مهمة الترميم التي تضطلع بها العاصمتان لاستقطاب الكفاءات الماهرة، ستؤدي إلى بث روح عميقة لتصحيح ورطة الإرث القديم وإصلاح الواقع.

وخلال مسيرته الطويلة، كان الدخيل ماهرا في النجاة من قذائف الإساءات وسياط النقد ومعلقات التنمر التي كانت تهطل عليه بلا توقف، عبر رحلته في مواجهة الفكر المتطرف، بعد أن انبرى مع ثلة من الكتاب والأقلام لمقاومة الأفكار المتشددة ونقض عش الدبابير. فصبت المنابر القطرية والإخوانية جام غضبها على الدخيل، ولفقت له التهم والأباطيل ضمن سعيها لإسقاط رمزيته وجهده في حماية المسار الذي اختارته السعودية لترميم الواقع وإصلاح مآلاته.

فكان الدخيل، إلى جانب كفه عن الإصغاء إلى ما تقذفه تلك المنابر من الشحنات السلبية، يلوذ بالنبل الذي يسكنه، والذي ينعكس في مواقفه الصادقة مع محيطه وأصدقائه، حدبه على زملائه، وسعيه في حاجاتهم، وفي صحبته لوالده الذي تربطه به كيمياء تجمع بر الأبناء بحِنوّ الآباء، وجرحه الذي لما يزل نديًا كأنما كَلمه البارحة بفقده لوالدته، التي كانت ستكون أسعد الناس بالمرتقى الكبير الذي بلغه فلذة كبدها ولا تزال تسكنه ولا تغادره.

● إلمام الدخيل بالمنعرجات الفكرية والسياسية التي أودت بالمنطقة إلى ما هي عليه اليوم من انهيار وانفلات تشهدهما كل الصعد، يدعم مهمة الترميم التي تضطلع بها الرياض وأبوظبي اليوم لاستقطاب الكفاءات الماهرة.

● تكليف الدخيل سفيرا للرياض لدى أبوظبي يأتي في مرحلة مهمة من عمر العلاقة بين العاصمتين التي تشهد أكثر فتراتها ازدهارا، وتلتقيان في الكثير من الملفات والأدوار التي تضبط الفضاء العربي.

بين الرسم والعمارة مسافة لا تُرى

دينا حدادين

فنانة تجريبية تنفتح على المستقبل

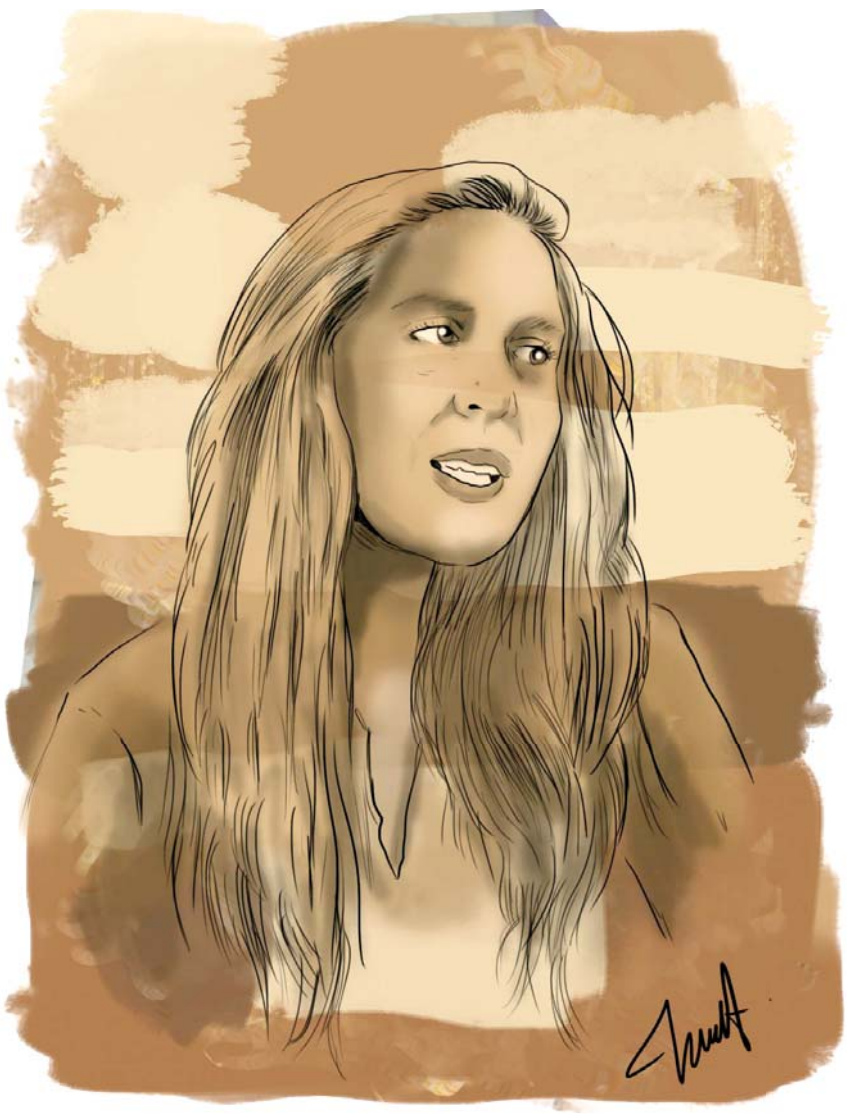

فاروق يوسف

❏ التصميم والعمارة يتداخلان. فنان يكمل أحدهما الآخر. يستضيفه ويستفزه جماليا ويقوي عزيمته. غير أن الرسم يحضر بينهما بقوة، لا باعتباره فنا خالصا بل باعتباره وسيلة للتعبير عن الطاعة.

الـ"باوهاوس" رفضت ذلك المنطق حين استجابت لخيال الرسم. وهو ما دفع رسامين كبار بمستوى بول كليه إلى أن ينتسبوا إليها من غير أن تفرض عليهم نوعا من الرقابة الوظيفية.

في الثناء على المكان

الأردنية دينا حدادين تشق طريقا لم يألفه المشهد الفني في العالم العربي انطلاقا من ثلاثية "الرسم والتصميم والعمارة". ذلك هو التسلسل الذي اعتمدته وهي تقدم ممارسة الرسم في سياق رؤية تعبيرية حرة على العقلانية التي تغلب على فني التصميم والعمارة.

> حدادين تمارس الرسم والتصميم والتركيب والتصوير الفوتوغرافي وصناعة الكتب إضافة إلى مهنتها باعتبارها معمارية، وتقدم صورة عن الفنان الذي يحمل إلى الفن أفكارا جديدة، لم يسبق تداولها على الصعيد المحلي

غير أنها لا تخفي، هنا، أنه ما كان بإمكانها أن تكون رسامة بشخصية أسلوبية مختلفة، لولا ما تعلمته من التصميم والعمارة. فما من شيء في عالمها الفني، إلا ويذكر بأسئلة الفنين اللذين يحتفيان بالمكان في كل لحظة إلهام.

حدادين لا ترى المحيط إلا من خلال عيني المهندسة التي تثق بعبقرية المكان، بكل ملحقاته وفي مقدمتها الفراغ. إنها تناور من خلال الرسم لكي تفهم العلاقة الخفية بين المكان والفراغ رغبة منها في التسلّل إلى منطقة "ما بعد الفراغ" وهو الواقع المتخيّل الذي سينتقل بها إلى الاهتمام بمساءلة الهوامش. سيكون من الصعب عليها في حالة من ذلك النوع أن تدير ظهرها إلى الإنسان الذي يذوب في المكان وبالقوة نفسها يكتشف ذاته في الفراغ.

هناك جغرافيا مفتوحة على متاهات متعددة، العامل المشترك بينها أنها تجمع بين ما هو حسّي وما هو روحي في إطار الدفاع عن القيمة الرفيعة التي يمثلها وجود الإنسان، صانع التاريخ وقبله مرآة الجمال.

حين حدثتني الفنانة الصديقة هيلدا الحياري عن حدادين بإعجاب لم أكن أتوقع أنني سأعثر على فنانة، سيكون عليّ أن أضمها إلى القلة التي أراهن عليها من جهة قدرتها على إنجاز الانتقال السلس والمرن من عصر الحداثة إلى ما بعدها.

"العوالم الخفية" التي تظهر في أعمال حدادين تتسع لحياة الناس العاديين، وهي فكرة مغامرة، تختصرها الفنانة من خلال الثناء على المكان الذي يُرى كما لو أنه يعيش حياة مختلفة.

تضعنا الفنانة وسط عوالمها الخفية لكي تقول لنا إن الحياة الحقيقية ستكون دائما في مكان مختلف.

ولدت حدادين في عمان عام 1983. وتخرجت عام 2006 من جامعة العلوم والتكنولوجيا بعد أن درست العمارة. ثم انتسبت إلى إحدى دورات الرسم في نيويورك. ومنذ ذلك الحين وهي تعمل في شركة للتصميم الهندسي بعمان.

أقامت معرضها الشخصي الأول عام 2010 وكان بعنوان "انتقال" بعده بسنة واحدة أقامت معرضها الثاني بعنوان "ما بعد الفراغ"، أما معرضها الثالث فقد أقامته عام 2012 وكان بعنوان "معالم: لجوء إلى الهوامش".

تملك الفنانة التي لم تدرس الرسم أكاديميا خفة في الانتقال بين ما هو هندسي قائم على تصور رياضي وما هو إنساني سائب بين الواقع والخيال لا يملكها الكثيرون ممن امتزجوا بخيال الطبيعة وبالجمال الذي تقترحه مفرداتها.

الفراغ الذي يتوارى

لقد نشأت حدادين على فكرة تجريبية هي واحدة من أهم الأفكار المدينية. تلك هي فكرة المكان الذي يمتلئ من غير أن يقع في خصام مع الفراغ الذي يتوزع بين مجالين. الأول يضمه برفق والثاني يستبعده بهدوء.

لقد اشتغلت على المكان في حالتيه "ممتلئا وفارغا" وهو ما يذكرني بمشاريع الأميركي خرستو على الورق بحساسية خطوطها التي لا تحيل إلى الرسم لذاته، بقدر ما تستثمر انطباعاته عن مكان هو قيد الإنشاء.

تفتح الفنانة ثغرة في جدار الكيان المعماري تطل من خلالها على روح المكان التي لا تزال عالقة في منطقة حائرة تقع بين السكون والحركة.

وإذا ما كان خرستو يغطي الكيان المعماري، مبنى أو جسرا أو كاتدرائية أو جزيرة، فإن حدادين من خلال رسومها تعري ذلك الكيان، رغبة منها في فهم ردة الفعل البصرية لدى مستعمليه.

حدادين التي تمارس الرسم والتصميم والتركيب والتصوير الفوتوغرافي وصناعة الكتب إضافة إلى مهنتها باعتبارها معمارية تقدم صورة عن الفنان الذي يحمل إلى الفن أفكارا جديدة، لم يسبق تداولها على الصعيد المحلي. ذلك لأنها تنقل التفكير الفني إلى مناطق تقع خارج حدود ما هو مكرس من تقاليد.

ثنائيات مرحة في عالم يتغير

تنظر حدادين إلى المشاهد التي تسعى لإعادة صياغتها بعين مختلفة عن تلك العين المتلذذة بما ترى. فهي عين تخترق ما هو مرئي لتكتشف ما يقع في الخفاء. إنها تبحث عن الممكنات التي تقع في الجانب الآخر من المشهد ولم يصل إليها أحد. وبسبب ذلك المسعى فإن الفنانة تقيم علاقاتها البصرية على متناقضات قائمة غير أن الشعور بها يتطلب خيالا مباغتا في حركته. ثنائيات تجمعها الفنانة كما لو أنها الشيء نفسه في تكامل تنبعث منه أشكال جمالية خلاقة.

تتحرّك بين البطء والحركة، العابر والمقيم. الزائل والثابت، الساكن والمتحرك، الأفقي والعمودي، المعلوم والمجهول وبذلك تتمكن من الحصول على طبقات متداخلة من مشهد لن يستعيد هيأته الأولى بقدر ما يخلص إلى نتائجه التي تقدمها الفنانة بأسلوب مفاهيمي كما لو أنها جزء من فيلم لا يزال قيد التنفيذ.

لقد تعلمت الفنانة من هندسة العمارة كيف تنمو الأشكال الحيوية من داخلها أو من خلال الإضافة الخارجية التي سرعان ما تمتزج بها. غير أن ما تراهن عليه الفنانة يبقى مرتبطا بالوجود الإنساني الذي يلقي بظلاله الكثيفة على المشهد الذي ينفتح تدريجيا على ما يخبئه من طاقة جمالية.

كما لو أنها ترسم خرائط لمتاهات الكائن الغريب، ترسم دينا حدادين أجزاء منتقاة من عالمها الذي تركّبه خياليا.

"فنانة من طراز مختلف" تليق تلك الصفة بحدادين. ما قدمته حتى هذه اللحظة يمثل انعكاسا لتربيتها الأكاديمية. غير أنه انعكاس خلاّق يشير إلى رغبة الفنانة في أن تتسع رؤيتها لما تمارسه من فن ولعلاقتها بالمحيط الذي يمزج أحلام الإنسان بالإنشاءات التي تستجيب لخياله وحاجته.

المستقبل باعتباره صناعة

تتسع جغرافيا الوهم الذي تحاول حدادين استحضاره باعتباره واقعا قابلا للعيش بحيث تعبر بطريقة تجريبية عن رغبتها في إحداث تغيير، لا في السلوك الفني وحده بل وأيضا في سبل الحياة من خلال اختراع وسائل للنهوض بالمجتمع جماليا وخلق جسور متماسكة بين الإنسان وحاجته إلى التغيير.

يمكن القول إن حدادين هي فنانة مستقبلية. غير أن ذلك المستقبل بالنسبة لها ليس غامضا ولا مجهولا. إنه يقع ضمن دائرة ما يمكن تخيّله والعمل على إنجازه باعتباره صناعة ممكنة.

فهي باعتبارها معمارية تعرف جيّدا أن الوصف لا يكفي لإنشاء مبنى على سبيل المثال. هناك سلسلة من الاحتمالات المتخيّلة التي يجب أن تتوفر لكي يكون ذلك المبنى ممكنا.

في مقدمة تلك الاحتمالات يقف الإنسان باعتباره صاحب الرؤيا، الشاهد الذي ينقل تجربته من الهامش إلى المركز. لذلك فإن تجريبية الفنانة تعتمد بشكل أساس على حضور الإنسان، كائنا يندفع في اتجاه المستقبل.

أسعدتني أعمال دينا حدادين بقدر ما أشعرتني بالقلق.

فنانة من نوعها قد يضيق بها المشهد الفني بقناعاته الجاهزة. غير أنني على يقين من أنها ستقدم ما يثبت انعتاقها من الرياضيات، وهو ما سينفعنا في فهم الحرية كما لم نعرفها من قبل.

> طريقها الذي تشقه لم يألفه المشهد الفني في العالم العربي انطلاقا من ثلاثية «الرسم والتصميم والعمارة». ذلك هو التسلسل الذي اعتمدته وهي تقدم ممارسة الرسم في سياق رؤية تعبيرية حرة

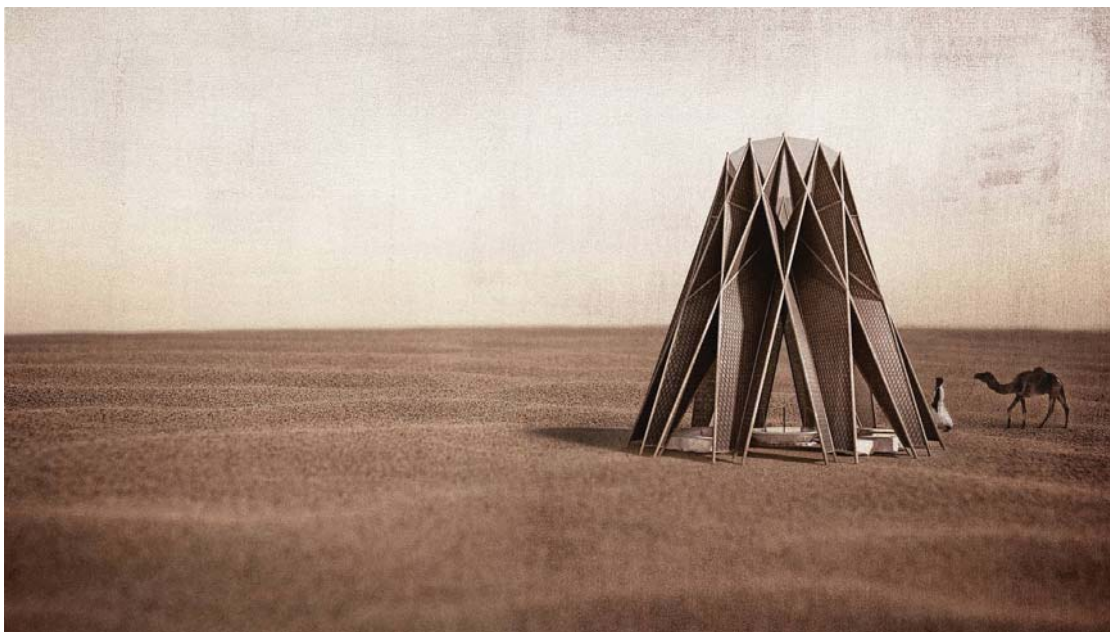

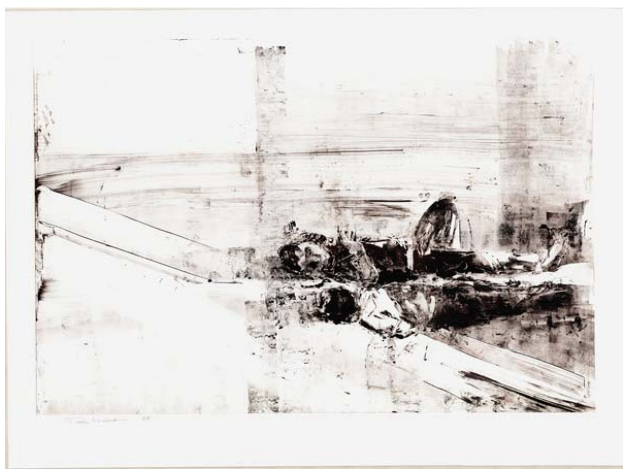

الفيلسوف الغربي الذي أسلم رأسه للطاغية الشرقي

كيف وقع ميشيل فوكو في فخ الجنون الإيراني

حميد زناز
كاتب من الجزائر

❑ في جدال عنيف حول ما كان يجري مع بداية الحركة الأصولية في إيران، انفجر أحد الطلبة المتأسلمين في وجهنا وكنا نرى في الخميني الدرويش مجسدا والشر قادما "هل أنتم أدرى وأذكى من ميشال فوكو، الفيلسوف الفرنسي الذي يرى في الأحداث فتحا ثوريا وسياسيا جديدا؟".

لا أحد محصنا ضد الأوهام.. مرت أربعون سنة وأبدت الأيام ما كان فوكو به جاهلا وبينت أن مخاوف الديمقراطيين كانت في محلها.

ما هي الأسباب التي جعلت عالم النفس المبجل في فرنسا وخبير الجنون يرى في جنون الخميني ومناصريه "روحانية" تفتقدها السياسة في الغرب؟ ما أذهله في إيران، يكتب الفيلسوف، هو عدم وجود نزاعات بين عناصر مختلفة، لقد رأى جبهة شعبية واحدة ضد الدولة المتسلطة.. هل يعقل أن يتم إنكار التمايز الاجتماعي والإثني والديني والسياسي بهذه السهولة من لدن عقل من أشهر العقول الغربية في القرن الماضي؟ ألا يمكن تصنيف موقفه ضمن نظرة بعض الغربيين الذين ينظرون إلى المسلمين والعرب- ببراءة أحيانا- نظرة تأحيدية: إله واحد، حزب واحد، شعب واحد، زعيم واحد وأربع زوجات!

كيف يمكن لرجل مثل فوكو أن يسقط في مناصرة حركة فاشيستية مثل الخمينية بمجرد أن ترفع لواء الدين وتعادي الأمر الواقع العالمي رغم معايشته المباشرة لأحداث طهران حيث كان مبعوثا صحافيا لجريدة "كوريير ديلا سيرا" الإيطالية والأسبوعية اليسارية الفرنسية "النوفال أوبسرفاتور"؟

يعترف من كان مشهورا بتحليلاته للسلطة والخطاب والسجون والمستشفيات والجنون، أنه لم يكن يعرف إلا الشيء القليل عن التاريخ والفكر الإسلاميين، وهذا ليس عيبا في حد ذاته بل ما هو غير مفهوم ذاك التسرع الذي أبداه في محاولة تبرير ما كان يرى بل أخطأ في تقدير المسار المحتمل للتطورات التي كانت تحدث أمام عينيه إلى حد بدا له فيه اللامعقول روحانية.

ألم يكن الرجل يبحث عن فسحة أمل فلسفية وسياسية بعيدا عن ضيق الأيديولوجيا وانسداد الآفاق في الغرب عموما تحت كابوس الحرب الباردة، ونهاية فترة البحبوحة في فرنسا خصوصا والمسماة فترة "الثلاثين المجيدة"؟ هل كان ذاك تصفية حساب ما مع "مخاطر الحداثة" وتوهم العثور على بديل لها وللنظام الرأسمالي خارج الغرب؟ لئن برّر وجوده كصحافي في إيران أيام التمرد رغم أنه لم يمارس الصحافة من قبل بقوله المشهور "لا بد من أن نوجد حينما تولد الأفكار"، فإنه لم ير الأفكار الفاشية الدينية وهي تولد، على الرغم من وجوده في عين المكان ومقابلته للخميني ذاته وللكثير من المتواطئين معه. لو ألقى نظرة ولو خاطفة على كتاب الخميني حول "الحكومة الإسلامية" — وهو ما يفعله أي صحافي جدي- لكان قد تنبه إلى الأخطار التي كانت تولد. ولكان قد أدرك السطو الذي كان يمارسه الملالي على حركة شعبية متنوعة المشارب ومصادرتهم إياها بالقوة.

هل حقّق الملالي حينما نصبوا أنفسهم أوصياء على الشعب الإيرانيّ وعاثوا في حقوق الإنسان فسادا بتكميم أفواه المعارضة وتكفين النساء في تشادورات وفرض أخلاقوية قروسطية على المجتمع ما كان يراه ميشال فوكو شكلا من أشكال "الروحانية السياسية" المفتقدة حسبه في أوروبا المعاصرة؟ هل صحيح أنّ ما شاهده وكتب عنه بإعجاب كان تمردا فريدا على النظم العالمية، كما كان يقول؟ هل كانت "الثورة الإيرانية" انتفاضة شاملة فعلا على السلطة كما كان يدّعي؟

ماذا كان يمكن أن يقول لو كان حيا يرزق عن الوضع "الروحاني" الذي آلت إليه بلاد القوميات المقموعة تحت عباءة ولاية الفقيه؟ ما هي الوصفة التي كان يمكن أن يهديها للإيرانيات لتهدئة غضبهن وللتخفيف من أوجاعهن اليوم من جراء ما أصابهن من

> حينما يأتي يوم تعاد فيه كتابة «تاريخ الجنون» بموضوعية، سيكون فيه لفترة «الجمهورية الإسلامية» نصيب وافر من الصفحات وسنقف على تفاصيل سقوط ميشال فوكو في فخ «التقية» الشيعي

ويلات تحت نير "السياسة الروحانية" التي بشر بها وتحمس لها آنذاك؟

لم يعر صاحبنا أدنى اهتمام للتحفظات التي أبدتها كثير من الجمعيات النسوية ومخاوفها المبكرة من المسار الخطير الذي كانت تنزلق نحوه تلك الحركة التي حولها الإسلاميون إلى حركة رجعية، والتي سميت زورا "ثورة".

ما هي النصائح التي كان يمكن أن يقدمها لإخوانه في الاختيار الجنسيّ، المثليين الإيرانيين المشيطنين في الجمهورية الإسلامية لكي لا يرجموا أو يُزجّ بهم في غياهب السجون بعد أن يغتصبهم "حرس الثورة" بكل روحانية؟ هل كان ولع فوكو بالموت وراء إعجابه بالمتطرفين الإسلاميين العاشقين للشهادة؟ تحدث فوكو عن "فتح بُعد روحي للسياسة"، فهل هذا الفتح المبين هو تلك المحاكمات المخجلة والإعدامات العلنية لليساريين والديمقراطيين وكل المعارضين لجنون آيات الله؟ هل فات صاحب "المراقبة والعقاب" أنّ الحكم الدينيّ مولع دوما بقطع الرقاب؟ نقرأ في نهاية مقالته "بماذا يحلم الإيرانيون؟" "ماذا يعني لسكان هذه الأرض البحث عن شيء قد يكلفهم حياتهم، البحث عن شيء نسينا إمكانية إيجاده منذ عصر النهضة وأزمة المسيحية الكبرى ألا وهو الروحانية السياسية".

ويضيف "أكاد أسمع الفرنسيين يضحكون، لكنني أعرف أنهم على خطأ". لا أحد يضحك اليوم بل العبارة تثير شفقة من يعرف ما يعانيه الإنسان في إيران.

حينما يأتي يوم تعاد فيه كتابة "تاريخ الجنون" بموضوعية، سيكون فيه لفترة "الجمهورية الإسلامية" نصيب وافر من الصفحات وسنقف على تفاصيل سقوط ميشال فوكو في فخ "التقية" الشيعي. هل كان موقف فوكو من الخمينية مجرد هفوة، أساء فيها فهم الأحداث أم أن القضية تتعدى إلى وجود صلة ما بكل كتاباته النظرية ورؤيته الفلسفية؟

ميشيل فوكو إبان الثورة الطلابية في باريس 1968

نهاية فكر

هيثم حسين
كاتب من سوريا

❑ يتمّ تداول بعض التعابير بنوع من التسليم بها، وكأنّها تضع نقطة النهاية وتختم الفكرة التي تعبّر عنها أو تشير إليها، ويكون التسليم مرادفا للعجز عن البحث أو تقبّل الأمر بصيغته من دون إعمال الفكر أو البحث عن بدائل أو إيراد تحفّظات بصيغة من الصيغ عليها.

يتكرّر في الأنباء تعبير نهاية صراع، أو نهاية فكر، أو نهاية ثورة، أو نهاية إعصار، وهنا يراد من المتلقّي أن يسلّم بما يسمع أو يقرأ، وكأنّه حقيقة مطلقة لا تقبل نقاشا أو جدالا، في حين أنّ الأمر لا يتعدّى توصيفا تسطيحيا لما لا يمكن البتّ به أو تأكيده بشكل قاطع.

لا ينتهي أي صراع بشكله المعهود، ولاسيما إذا كان دمويا وحربيا؛ نيران ومعارك واشتباكات واقتتال وتدمير، لأنّ الصراعات تتجدّد بطريقة أخرى أكثر شراسة ودموية، تفتح الباب على الانتقام، على مداواة الجراح، على ترميم الخراب، أي تظلّ فكرة متجدّدة وجمرة يمكن أن تستعر في أيّ وقت، بناء على ظروف خارجية أو داخلية، أو على تقاطع ظروف مختلفة.

وإذا ما قلنا إنّ فكر داعش انتهى مثلا، فمن المفترض أن يشير النبأ إلى القضاء المبرم على كيان إرهابي تحرّك في حيزٍ جغرافي وسياسي، في حين أنّ الفكر يظلّ حيّا متنقّلا عابرا للحدود الجغرافية، ويمكن أن يتجسّد في أمكنة بعيدة، أو يتجلى بصيغ منفردة، وعلى أيدي أناس يوصفون بالذئاب المنفردة التي تتبنى الفكر الداعشي، وتضخّه بما هو كارثيّ، تحاول إنباته في بيئة غير بيئته، والتجنّي من خلاله على محيط لا يتقبّله، ويقع ضحيّة جنونه.

لربّما يحتجّ أديب تناول الفكر المتطرّف بالتفكيك في عمل أدبي له بأنّ كثيرا من الناس الذين يفترض بأنّ العمل مكتوب عنهم ومتوجّه إليهم لا يلتفتون إلى القراءة ولا يولون أي اعتبار للأدب والفكر، بل يزدرونهما، ويجدون فيهما مفاتيح للمصائب التي تغرقهم، لكن من المفارقة أنّ الابتعاد عن تعرية أوهام المتشدّدين يمنحهم هامشا أوسع للتمدّد والتأثيم.

ولا يخفى أنّ الفكر يُجابَه بالفكر، ومن الغرابة أن يقال إنّ فكرا ما انتهى، أو تمّ القضاء عليه، لأنّه ينبعث من جديد في بيئات جديدة، لأنّ أيّ فكر، مهما كان متطرّفا، لا يعدم سبل إقناع بعضهم به، ويمكن أن تكون المغالاة من أبرز سمات من يعتنقه، فمثلا كان هناك إسلاميون راديكاليون، أو أحزاب دينية متشدّدة قامت بتفريخ مَن بالغوا في تشدّدهم وجهاديّتهم -كالفكر القاعدي مثلا- وتنقّلوا من أرض جهاد إلى أرض أخرى، مكفّرين أسلافهم، ومغالين في عنفهم، مسكونين بأحقاد تاريخية وكأنّهم هاربون من كهوف التاريخ نفسه.. ثمّ كان الفكر الداعشيّ خطوة متقدّمة على سابقيه المتطرّفين، بحيث لفت إلى أنّ الاشتغال على القتال والمحاربة بالعدّة الحربية التقليدية يفتقر إلى المواجهة الفكرية والتراكم المعرفيّ.

من الدارج أنّ الأفكار المتطرّفة تجد بيئات الجهل والتخلف مراتع مناسبة لها؛ تنتعش فيها، وتقود أتباعها كأنّهم قطعان، تعميهم بشعارات مضلّلة، تستغل الجهل والتخلف لتاليبهم على آخرين تختصر فيهم كلّ الاستعداء والإجرام وتدفع إلى الفتك بهم بشتى السبل، ويكون الإيهام بأنّ فردوسا ما يقبع هناك في عالم غائب لمخوب.

> يتكرّر في الأنباء تعبير نهاية صراع، أو نهاية فكر، أو نهاية ثورة، أو نهاية إعصار، وهنا يراد من المتلقّي أن يسلّم بما يسمع أو يقرأ، وكأنّه حقيقة مطلقة لا تقبل نقاشا أو جدالا

الذاكرة الشعرية والمكان

باسم فرات
كاتب من العراق

❑ تختلف وجهات النظر في العمل الإبداعي بعامة والشعر بخاصة، فهناك مَن يرى أن الشعر يجب ألا يطوقه المكان، أي أن يبقى عامًا في الزمان. ومعظم الشعر؛ إن لم يكن جميعه؛ مخاضه التجربة، حتى لا يكون العمل الإبداعي محض قوالب لغوية تم التلاعب بها، وهو ما نراه في معظم ما يُكتب، باستثناءات قليلة؛ هذه الاستثناءات ندعوها عملا إبداعيًا خلّاقا.

وكل تجربة تخلو من المكان ليست بتجربة، حتى التجارب الروحية التي يخوض غمارها المبدعون والمتصوفة والرهبان وغيرهم، لا بدّ للمكان من حضور وإن كان منزويا في المشهد الإبداعي، فالكائن الحيّ يُشكّل حيزا في المكان وتجاربه الروحية والمادية لا يمكنها أن تتشكل خارج نطاق المكان.

والإبداع هو الفيصل، فَمَن يخلو من مَلَكَة الإبداع إذا استحضر المكان في كتابته وجدنا المكان مستنسخا لا جديد فيه، مكانا التقطته أعين المارة والسابلة، بينما عين المبدع تقرأه بطريقتها التي لا تشبهها قراءة ثانية. إذ لا قيمة للعمل الإبداعي؛ لاسيما القصيدة التي من قواعد بنائها المحو والحذف والإدهاش؛ دون إضفاء الرؤية الإبداعية عليه.

كثيرا ما تعرضتُ لسؤال عن الأمكنة التي تناولتُها في قصائدي، وجوابي الذي لم أغيره "أنكم لو ذهبتم لهذه الأماكن فلن تستدلوا عليها عبر قصائدي، فهيروشيما التي كان لها حضورها الواضح في تجربتي الشعرية، هي هيروشيماي الخاصة، وليست هيروشيما الآخرين، والأمر ينطبق على الأمكنة الأخرى بلا استثناء".

لا أملك كاميرا تصويرية أو سينمائية؛ أنا المصور الفوتوغرافي منذ حداثة سني؛ ولولا التصوير الفوتوغرافي لكنتُ ضحية من ضحايا حرب عاصفة الصحراء التي كانت جشعة وشرهة في التهام جثث عشرات الآلاف من جيلي؛ إنما أملك عينَيْ شاعر حين أتعامل مع المكان شعريًا، تعضدني تجربتي في مجال التصوير الفوتوغرافيّ، لكن الكاميرا الفوتوغرافية تسقط من يدي حين أكتب قصيدة، ينهض الشعر، ويتوثب الشاعر الذي استوطنني منذ طفولتي.

في طفولتي البعيدة حين كان يقرأ معلمي في العمل؛ في صحيفة "طريق الشعب" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي- حيث كنتُ أعمل حذّاء وأنا في الثامنة من عمري- كانت تسري قشعريرة في روحي، لم تخرج حتى الآن، ومنذ ذلك الحين عرفتُ بأن الشعر خلاصي وحلمي ووطني الأبهى؛ الشعر الذي ليس من واجباته الوعظ ورسم الحياة بكلمات، إنما خلق لغة مختلفة وتأثيث المكان بأثاثي الخاص الذي لم يستطع سواي أن يصنع مثله.

تناول المكان شعريًا يختلف عن تناوله قصصيًا وروائيًا ومسرحيًا، فالسرد الروائي والقصصي يسمح بدرجات بالإسهاب، بينما السرد الشعري لا مكان للإسهاب فيه، وحين يخلو من الإدهاش والقطع الشعري فسيتحول إلى لقطات فوتوغرافية أو سينمائية كُتبت بكلمات وتنتظر مُخرجا ومصورا لتحويلها إلى حركة. وهذا مأزق وقع ويقع فيه كثير من الذين يقترفون الكتابة ويتوهمونها شعرا، لاسيما من يُطلق عليهم "شعراء قصيدة النثر"، وكأن منبرية وخطابية وشفاهية شعراء العمود والتفعيلة؛ تحولت عند "شعراء قصيدة النثر" إلى سرد تصويري وليس سردا شعريًا.

التحول الشعري مصطلح ربما تختلف تسميته عند النقاد، فعند بعض القدماء يُسمَّى "التهديم"، وعند بعض المحدثين يُسمَّى "الانحراف"، وما أعنيه بالتحول الشعري، هو الإتيان بجملة سردية؛ عادة تكون شفاهية؛ فتُقطع بكلمة غير متوقعة، لترتفع الجملة السردية إلى السرد الشعري، إذ كل جملة سردية في الشعر حين تخلو من هذا القطع المباغت للذاكرة وللشفاهية الشعرية (أي ما تعودته الأذن نتيجة تكراره عند الشعراء)؛ فحين تتكرر الجمل تباعا، وتأخذ نصف صفحة أو أكثر، حينها يُوأد الشعر، حيث لم تعد الكتابة شعرية بل سردية إخبارية أو تصويرية فوتوغرافية.

الحجر المتحرك وفلسفة العمارة

رضوى زكي تدرس الآثار الإسلامية في القاهرة

محمد الحمامصي
كاتب مصري

رسم استشراقي لمبنى دار العدل في القاهرة

❏ تستعرض الأكاديمية المتخصصة في الحضارة والآثار الإسلامية وتاريخ العمارة المصرية د.رضوى زكي خلال فصول كتابها الجديد "إرث الحجر سيرة الآثار المنقولة في عمارة القاهرة الإسلامية" سيرة الآثار المنقولة في العمارة الإسلامية في إطار تاريخي وأثري وتحليلي، بتتبع تلك العناصر المنقولة بدءا من عصر الدولة الأموية، مرورا بإنشاء مدينة القاهرة في العصر الفاطمي، ثم ما طرأ على المدينة من تغيرات سياسية وعمرانية خلال العصر الأيوبي، وحتى نهاية العصر المملوكي، وهو العصر الذي برزت خلاله ظاهرة استخدام الآثار المنقولة في العمارة الإسلامية بشكل أكبر وأوضح عن أي عصر مضى.

وعلى جانب آخر يعد الكتاب دراسة فريدة في مجال فلسفة العمارة الإسلامية من حيث الموضوع والمحتوى؛ حيث يلقي الضوء على تراث المعمار الإسلامي بالقاهرة من منظور أنثروبولوجي، ويعالج جانبا من جوانب علاقتها الوطيدة بوقائع التاريخ الاجتماعي والسياسي في مصر الإسلامية، ويسعى لتقديم منظور تاريخي شامل للتجربة الإسلامية-المصرية في البناء عبر توظيف الآثار المنقولة، ترتكز جغرافيا على مدينة القاهرة، وتتبع الظاهرة زمنيا على مدار فترة تقارب تسعة قرون؛ تُستهل مع الدخول العربي الإسلامي لمصر، مرورا ببناء مدينة القاهرة على يد الفاطميين سنة 358 هـ/ 969 م، وتنتهي بانقضاء العصر المملوكي في مصر على يد العثمانيين وحكمهم للديار المصرية بدءا من عام 923 هـ/1517 م، عُمرت مدينة القاهرة خلالها بشتى أنواع العمائر التي ظل جانب كبير منها شاهدا على عظمة تلك الحقبة من تاريخ مصر الإسلامية. حيث تعتبر فترة حُكم الفاطميين والمماليك لمصر من أزهى العصور الإسلامية التي ظهرت فيها نهضة معمارية كبرى، مازالت عمائرها الباقية تشهد بازدياد حركة العمارة والعمران، وهي أهم الفترات التاريخية التي استُخدمت خلالها آثار منقولة في المنشآت الإسلامية بمدينة القاهرة.

وأكدت د.رضوى زكي أن العمارة لم تكن يوما مع أحجار صماء.. بل هي كتاب منظور محمل بالأحاديث عن عصور مضت؛ أما القاهرة فكل حجر وركن فيها له أكثر من حكاية في ذاكرة التاريخ. وكانت ظاهرة استخدام الآثار القديمة في العمارة الإسلامية من الظواهر التي اجتذبتني إليها بشدة، لما تمثله من فلسفة مرتبطة بتاريخ المجتمع وعاداته وظروفه المختلفة، أكثر من كونها مجرد نقل لعنصر معماري من موضع لآخر. كما أنه يعد موضوعا شائكا وشيقا في آن؛ حيث يرفض بعض الباحثين الاعتراف بسلوك بعض حُكام المسلمين وأمرائهم المتمثل في دأبهم على هدم آثار السابقين وإزالتها أو محو اسم منشئها على الأقل، وهي إن كانت حالات فردية لا تمثل توجها رسميا للدولة، إلا أنها سادت المجتمع المصري مقترنة بزيادة حركة البناء والعمران في فترات تاريخية بعينها مثل العصر المملوكي، وبخاصة في عهد الناصر محمد بن قلاوون في فترة ولايته الثالثة والتي تعدت ثلاثين عاما، ونظرا لما عُرف عنه من محبته للعمارة والعمران، وكثرة تشييده للمنشآت بأنواعها المختلفة.

وقالت "حين شرعت في البدء في الإعداد لتلك الدراسة كنت أظن أن تلك الظاهرة في عمائر إسلامية معدودة، وما اكتشفته أن استخدام آثار منقولة من عصور أقدم، أو فترة معاصرة للبناء لم يكن بأي حال من الأحوال استثناء؛ بل هو أمر مألوف في عمارة القاهرة الإسلامية وفقا للمصادر التاريخية والأدلة الأثرية الباقية. وعبر الأعوام التي عكفت فيها على إنجاز تلك الدراسة كنت أمشي بين شوارع القاهرة متلفتة إما للأعمدة الرخامية المنقولة التي ترفع مجموعة هائلة من عمائر المدينة الأثرية، وإما أوجه ناظري إلى الأرض بحثا بين أعتاب المساجد والزوايا والخانقاوات عن عتب مصري ربما طمست نقوشه الهيروغليفية من مرور المصلين عليه. والقاهرة برغم كل ما تعانيه من مشكلات جسيمة لا تخفى على أحد؛ إلا أنها بقعة جاذبة لا مثيل لها، فلا توجد مادة مثيرة للإلهام والإبداع أكثر من حكايات أماكن القاهرة وعمارتها.. هي مدينة نشأت ليُكتب عنها، ويُرسم لها، وتُروى قصتها ذات الفصول المتلاحقة، مترابطة حينا، وأخرى تبدو متقطعة الأوصال، بينما هي في الحقيقة فصل سرمدي من فصول التاريخ في أرض الشرق. وهي، فضلا عن ذلك، العاصمة المصرية التي تحتفظ بأكبر عدد من الآثار الإسلامية، واتضحت فيها ظاهرة توظيف الآثار المنقولة بصورة واضحة.

ولفتت د.رضوى زكي إلى أنه في ضوء كتابات المؤرخين وشهادات الرحّالة اتضح ارتباط هذه الظاهرة بحركة العمارة والعمران التي شهدتها القاهرة في فترات ازدهارها وانحسارها، والأثر السلبي للتعدي على الأوقاف والمصادرات في العصر المملوكي واقترانه بشيوع نقل وإعادة استخدام مواد البناء والعناصر المعمارية المختلفة. وتبين أن العديد من الظروف السياسية في المجتمع الإسلامي والمصري مثل حروب المسلمين ضد التتار والصليبيين، وانقضاء عهد الدولة الفاطمية وبزوغ نجم الدولة الأيوبية ثم المملوكية، والصراعات المستمرة على العرش خلال عصري دولة المماليك كانت لها اليد الطولى في الكثير من الأحيان في استخدام عناصر معمارية منقولة بعينها أدمجت في أهم العمائر الإسلامية بقاهرة المعز مثل أسوار القاهرة وقلعة الجبل ومسجد الظاهر بيبرس ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون وغيرها من المنشآت.

واقتفت الباحثة نماذج من الآثار المنقولة في العديد من منشآت القاهرة بأنواعها سواء كانت أعمدة أو تيجانا، كُتلا حجرية وآثارا مصرية تحمل نقوشا هيروغليفية، وعناصر معمارية منقولة من منشآة صليبية أو منقولة من منشآة إسلامية لنظيرتها، سواء كانت هذه المنشآت قائمة أو مندثرة في ضوء ما يقرب من 60 منشأة بمدينة القاهرة، بخلاف أسوار وأبواب القاهرة الفاطمية والأيوبية.

وقالت د.رضوى زكي إنه في ضوء الدراسة التاريخية والأثرية لظاهرة استخدام الآثار المنقولة ومواد البناء بمدينة القاهرة؛ اتضحت عبر البحث والتحليل فلسفة استخدام المسلمين للعناصر المعمارية والآثار المنقولة في منشآتهم بالعاصمة المصرية؛ عبر إلقاء الضوء على أهم الآثار المنقولة ومواضعها المختلفة بالمنشآت والعمائر كالرخام والأحجار والأخشاب، ومصادر جلبها، وكيفية توظيفها وتكييفها في المنشآت التي نُقلت إليها. ويعد بحث أسباب ودوافع تلك الظاهرة لب تلك الدراسة وأهم جوانبها، بيد أن فهم أسباب تلك الظاهرة هو حجر الأساس في دراسات علم إعادة الاستخدام بوجه عام أو ما يطلق عليه Spolia Studies، وهو أحد فروع علم الآثار الحديث والذي مازال مجهولاً بشكل كبير في مصر والعالم العربي والإسلامي.

وأضافت أن أبرز الملاحظات التي اتضحت أن ممارسات الاستيلاء على الآثار المنقولة من منشآت إسلامية بوجه عام زادت بشكل ملحوظ في عصر دولة المماليك الجراكسة بالتوافق مع ما شهده المجتمع في تلك الفترة من انهيار اقتصادي وسياسي واجتماعي وزيادة مظاهر الفساد في العديد من أوجه الحياة وبخاصة الأوقاف. واختلفت بعض مواقف أرباب الوظائف الدينية اختلافا ملحوظا، مواكبة للتدهور الذي صاحب تلك الفترة، والحوادث والمِحن التي ألقت بظلالها على العمارة والأوقاف، وكانت داعيا لزيادة استخدام الآثار المنقولة، ومصادرة مواد البناء النفيسة. وقد كان الظاهر برقوق وابنه فرج مؤسسا الدولة المملوكية الثانية وأحد أكابر أمرائه جمال الدين الاستادار، وكل من السلطان المؤيد شيخ والسلطان الغوري أهم من أشارت إليهم المصادر التاريخية في العصر المملوكي الجركسي من ذوي السلطة، لما ارتكبوه من نهب واستيلاء على بعض العناصر المعمارية من عمائر قائمة لأجل بناء منشآتهم.

ورأت د.رضوى زكي أن الإسكندرية كانت واحدة من أهم مصادر الرخام والأعمدة القديمة الرومانية والبيزنطية الطراز التي دخلت في بناء بعض عمائر القاهرة الإسلامية كما شهدت بذلك بعض المصادر التاريخية، وأشارت إلى أعمدتها ورخامها الذي كان يغطي جانبا كبيرا من المدينة، للحد الذي دعا المؤرخين المسلمين لنسج أساطير خرافية عنها من فرط دهشتهم وإعجابهم بتراثها المعماري السابق على الإسلام حين كانت عاصمة مصر. وقد نُقلت بعض عمد الإسكندرية كذلك لمنشآت خارج مصر وأبرزها بعض الأعمدة التي استخدمت في عمارة المسجد الحرام بمكة وفقا لإشارة المؤرخ المقدسي (380 هـ/990 م) في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، مما يشير إلى جودة رخامها وكثرته.

ويقع الكتاب في 360 صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول، ويتميز بأنه يحتوي على عدد هائل من اللوحات القديمة والحديثة الملونة، بالإضافة إلى الخرائط والوثائق التي تفسر ما جاء مدونا في متن الكتاب.

رف الكتب

الآلة كوسيلة لسحق الإنسان

❏ "إتقان التقنية" كتاب للألماني فريدريخ جورج يونغر وضعه عام 1944 ردًا على أخيه إرنست يونغر الذي مجد في كتابه "العامل" السير المحتوم نحو آلية عامة، وبشر بقدوم عالم جديد. وخلافا لأخيه، يؤكد فريدريخ على الآثار الوخيمة التي سوف يخلقها تطور التقنية، لأنها في رأيه سوف تتبع منطقها الخاص القائم على بسط نفوذها التنظيمي وتطويره حدّ الجودة. فالمبدأ الذي تقوم عليه ليس اقتصاديا، لأن الاقتصاد يسعى لتحقيق الربح، أما التقنية فهي شرهة، مفسدة، لا تني تتلف الموارد، تتنامى على حساب استنزاف الأرض، تُنضب خصوبة هذا الكوكب لتؤكد قوتها إلى حدّ انقطاع الموارد، وزوال ما يمكن أن يغذي شراهتها. في هذا الكتاب، يؤكد يونغر الصغير أن إخضاع الأرض بواسطة التقنية ليس مصدر ثراء، وإنما هو توزيع فقر متنام على جمع متزايد، يتم حشده لهذا الغرض، وبذلك تكون البروليتاريا والآلة متصلتين ببعضهما بعضا بشكل لا رجوع فيه، ويكون الإنسان حلقة خاضعة للآلية التقنية التي تفرغ الوجود من معناه.

ما بعد اللائكية

❏ المعجزة قد تكون مدنسة وحديثة، تلك هي الملاحظة المدهشة للفيلسوف الهولندي هنت دي فريس. ففي رأيه أن المعجزة اليوم هي الحياة نفسها، لم تعد مسألة دينية بل صارت ناتجة عن تأمل النظام الطبيعي الذي يصيبنا بالذهول. ولكن التسليم بأن كل شيء من قبيل المعجزات قد يؤدي إلى اعتبار الخوارق أمورا معتادة. عندما تقدم لنا تكنولوجيات الاتصال مزيدا من الأحداث يوما بعد يوما، فإننا سوف نجد صعوبة في التمييز بين المكرر والجديد. لذلك، "قد تشترط الميكانيكا تصوفا" كما يقول برغسون، فنمسك عندئذ بأحد المفاتيح لفهم عودة الديني، الذي ينتج في جانب منه عن الحاجة إلى تصور الأحداث الخارقة غير كونها مجرد أحداث تتوارد في الزمان. والمؤلف يستحضر فيتغنشتاين وستانلي كافيل لتَصوّر عصر "ما بعد لائكي" يُحل الإعجاز موضعا يُتقبَّل فيه كأمر عادي، ليس لأثره سبب بالضرورة. يقول الكاتب "قد نعيش فترة ينبغي خلالها تعلم التفكير من جديد، وكذلك العيش، وقبول فكرة أن كل شيء ممكن."

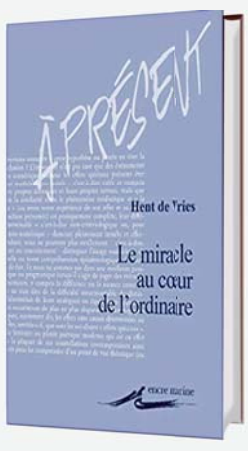

عن الحقيقة وما بعدها

❏ "ما بعد الحقيقة" ليس فقط مفهوما عابرا يشجب تهافت نظريات المؤامرة أو الـ"فيك نيوز" التي عششت في البيت الأبيض، بل هو جوهر مرحلتنا" بعبارة الفيلسوف الإيطالي موريسيو فيراريس في كتابه الأخير "ما بعد الحقيقة وألغاز أخرى"، مثلما كانت الرأسمالية جوهر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والميديا جوهر الأعوام الأخيرة من القرن العشرين. فـ"ما بعد الحقيقة" في رأيه هي لقاء بين نسبية فلاسفة ما بعد الحداثة الذين يؤمنون بأن كل شيء تأويل، وبين الإنترنت الذي يمنح كل شخص إمكانية نشر حقيقته التي تحوز تعريفا مبسطا: أقول الحق. وبذلك يتجاوز مفهومُ "ما بعد الحقيقة" الكذب بفرض "حجة الأقوى" غير عابئ بالوقائع. الجدة لدى فيراريس تتمثل في ربطه الميتافيزيقا الخالصة (عن طريق طرح أسئلة مريبة من نوع: هل هذه الطاولة موجودة خارج إدراكنا إياها؟ وهل صحيح أن الثلج أبيض؟) بنوع من التفكير التكنولوجي.

القارئ بلغتين والأدب بجينات جديدة

حسين عمر: الترجمة هي الوسيلة الوحيدة لمنح النصّ لغة عالميّة

همبرفان كوسه

❑ يشبّه البعض فعل الترجمة بالنظر إلى هطول المطر من وراء الزجاج؛ فمشاهدة تساقط المطر من وراء حاجز شفاف لن يشعر المشاهد بالبلل، ومن هنا تبدأ صعوبة هذا الفعل.

دون شك، لا تقتصر مهمة المترجم على النقل من لغة إلى أخرى بشكل حرفيّ، وضمن قوالب وأطر جاهزة، بل هي بث روح جديدة في نص مكتوب، في الأساس. إنها عمليّة استنساخ بجينات جديدة مبتكرة وإبداع حقيقيّ، لا يقتصر على استخدام المقابل اللغويّ فقط، بل عبر استخدام المعادلات الثقافيّة بين النص المصدر والآخر المنقول إليه.

حسين عمر، كاتب وصحافي ومترجم كرديّ. من مدينة ديريك/ المالكيّة في محافظة الحسكة بسوريا. مقيم في أربيل، عاصمة إقليم كردستان العراق. متخرّج من كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسيّة من جامعة حلب. ويعمل مديرا لقسم غربي كردستان وسوريا في شبكة رووداو الإعلاميّة الكرديّة- العراقيّة. له 29 كتابا مترجما من الفرنسيّة إلى العربيّة بين روايّة وأدب وسياسة، وترجمات من الكُردية إلى العربيّة، وصدر له كتاب بعنوان "نهاية الدولة الممركزة".

الروح التي يكتب بها حسين عمر

المترجم الألمانيّ المعروف هارتموت فندريش، أحد شيوخ صنعة الترجمة، ويعمل في ترجمة الأدب العربيّ إلى الألمانيّة، يقول عن المترجم إنّه حامل للنصّ من ضفة نهر إلى الضفة المقابلة. ويقول حسين عمر، عن الروح التي يضعها في ترجماته "تقع على عاتق المترجم مسؤوليّة إيصال النصّ إلى برّ الأمان في الضفّة المقابلة".

وبالنسبة لعمر فإنّ الحقيقة التي يجب أخذها في الحسبان هي أنّ لغة سكان الضفة التي حُمِلَ إليها النصّ تختلف عن لغة سكان الضفة الأولى. ولذلك، يجب أن يكون الهاجس الأوّل للمترجم هو بثّ روح اللغة المُترجَم إليها في النصّ وإضفاء جمالياتها عليه، حسبما يضيف.

ويكمل حديثه "فالترجمة ليست عملية نقل ميكانيكية لنصّ من لغة المصدر إلى لغة الهدف، وإنّما هي عملية خلق وإبداع جديدة. بالتأكيد، هذا لا يعني التخلّي عن روح النصّ المصدر، وإنّما وضع هذه الروح في جسد النص الهدف بطريقة إبداعيّة خلاقة. في هذه الحالة، لا تموت روح اللغة المُترجَم منها، وإنّما تتجدّد في اللغة المُترجَم إليها. وإلّا لما كان هناك حديث عن ترجمة جيّدة وأخرى رديئة. الترجمة تمنح أفقا جديدا للعمل الأصليّ، وهي وحدها الكفيلة بتحويله إلى نصّ عالميّ، لأنّ الترجمة هي اللغة العالميّة الوحيدة للأدب، بتعبير هوراس إينغدال. ويعرّف عمر المترجم بـ"قارئ بلغتين في آن واحد". ويعتمد على مبدأ "ترجمة ألف كلمة تبدأ بكلمة. وأترجم المبدأ إلى فعل، فلا أنام قبل أن أنجز ترجمة ألف كلمة". وعن ذلك يبيّن عمر "أعتمده ضمن قواعد التزامي بالعمل وحرصي على الإنتاج والإنجاز. فأنا لستُ متفرّغا للترجمة. خلال خمسة عشر عاما، ترجمتُ ثلاثين عملا، وألّفت كتابا، على الرغم من أنني لم أتفرّغ للترجمة حتى لشهر واحد. وأعتقد أنّ من صفات المترجم الناجح الصبر والقدرة على التحمّل والجديّة في العمل وعدم الركون للكسل والاستسهال. فرغم الرصيد الذي أمتلكه من الأعمال المُترجَمة، لا أزال أواصل الترجمة بنفس التلهّف والقلق والرهبة والحرص على الابتعاد عن الاغترار بالنفس عند كل عمل جديد، كما لو أنني أخوض تجربتي الأولى".

وكان حسين عمر قد ترجم أعمالا من اللغة الفرنسيّة، هي في الأساس، أعمال مترجمة من الإنكليزية والسويدية والإسبانية إلى الفرنسيّة. فعن تأثير اللغة الوسيطة في الترجمة، يُشير إلى أنه "ربّما لا يكون حكما حصيفا إن قلنا إنّه لا تأثير مطلقا على العمل حينما يُترجَم من لغة ثانية تُرجمت إليها من اللغة المصدر. لكن هذا يتوقّف على براعة المترجم الأوّل ونجاحه، ومن ثمّ عليّ كمترجم ثان. وهذه ظاهرة قديمة في عالم الترجمة. فقد قرأ قرّاء العربيّة أعمال عبقري الأدب الروسيّ فيودور دوستويفسكي الكاملة وكذلك بعض أعمال تولستوي وليرمنتوف وبوشكين بترجمة الأديب والناقد والمترجم السوريّ سامي الدروبي لهذه الأعمال من الفرنسية وليس من اللغة الروسيّة، اللغة المصدر لهذه الأعمال.

لغة هادي العلوي

ويوضّح عمر أنّ اللغة الكرديّة هي أوّل لغة تتبادر إلى ذهنه حينما يقوم بالترجمة، لأنّها بحسب قوله لغته الأمّ، وتستقر راسخة في وجدانه وبنيته الذهنيّة والنفسيّة. وعنها يقول "فهي اللغة التي بدأت بها كلمتي الأولى، وهي الّتي لم أتعرّف على سواها خلال السنوات الستّ الأولى من طفولتي، وهي اللغة التي لازمتني، ولا تزال، في تفاصيل حياتي اليوميّة. أحلم بها، وأؤدي بها مونولوجاتي الداخليّة. وأستخدمها، يوميا، في عملي الصحافيّ، أحرّر بها الأخبار وأعدّ تقارير إخبارية. كما أنّني ألّفت كتابي الوحيد، حتى الآن، باللغة الكرديّة، وترجمت منها مجموعة شعريّة إلى العربيّة".

ويتابع "لكن حينما يتعلّق الأمر بعملي في الترجمة من الفرنسيّة إلى العربيّة، أدخل في صومعة هاتين اللغتين. أغوص في عوالم "النصّ المصدر "ولغته الفرنسية، لأحوّل القدرات والكفاءات التعبيرية والجمالية التي يختزنها إلى "النصّ الهدف "ولغته العربيّة، ولكن بالمنطق والفلسفة الخاصّين باللغة العربيّة. فلغة القارئ للنصّ المُترجَم هي العربيّة، ووظيفتي كمترجم، هنا، هي الإفادة من القدرات والكفاءات التعبيريّة والجماليّة للغة العربيّة، لكي أقدّم للقارئ نصّا يتذوّق جمالياته، لا تعافه نفسه ويشعر بالاغتراب عنه. واللغة العربيّة، هي اللغة التي تلقيتُ بها تعليمي بمختلف مراحله، وقرأتُ بها روائع الأدب والفكر العربيين والعالميين. وقد كانت الوسيلة التي استخدمتُها في تأسيس وصياغة بنيتي الفكريّة والمعرفيّة، وهي، في هذا السياق، ليست غريبة عن وجداني". طبقا لإجابته عن السؤال الذي طرح عليه.

أمّا اللغة العربيّة، لا يجدها المترجم حسين عمر بعيدة عن وجدانه، لأنّها لغة جميلة وذات إمكانات وقدرات تعبيريّة وجماليّة هائلة. ويتوقّع أنّه "بترجمتي إلى العربيّة، أنا الكرديّ، أساهم في ردّ الإساءة عن هذه اللغة. إساءة الطغاة المتكلّمين بها إليها، إذ يستخدمونها أداة في قمع هويتي القوميّة والثقافيّة واللغويّة، أنا الكرديّ. فاللغة العربيّة التي أحبّها بعد لغة أمّي وأتقنها، بالنسبة لي، هي اللغة التي كتب بها هادي العلويّ رسالة تبرّؤه من جنسيته العراقيّة احتجاجا على قصف طاغيّة عربيّ لمدينة حلبجة الكرديّة بالأسلحة الكيميائيّة، وهي التي تغنّي بها فيروز لنستمتع أكثر بقهوة الصباح".

غيوم ميسو، وبعد

لا يميل حسين عمر إلى المفهوم الرسالي للترجمة، حسبما يُجيب على سؤال عمّ إن كان يودّ أن يكون من ناقلي رسالة غيوم ميسو إلى اللغات المختلفة؟

لكنّه في المقابل يجد أنّ "الترجمة هي ممارسة تُساهم في خلق حالة من التعارف والتقارب بل والتمازج بين ثقافات وحضارات، وخلق لغة مشتركة بين البشر المنتمين إلى هذه الثقافات وهذه الحضارات، وخلق فضاء تشاركيّ وتفاعليّ بينها، لكنّها في النهاية هي مهنة لها سوقها".

وعن سرّ ولعه بأعمال ميسو، يسرد عمر "يعود إلى تجربتي الأولى مع روايته ".. وبعد" وما تركته من أثر في أعماقي. هي، ربّما، حالة من التماهي بين المؤلّف والمترجم. نعم، عشت أثناء ترجمته حالة من التماهي ليس مع الكاتب وأسلوبه فحسب، بل ومع بطله الذي ظل يعيش يقين موته الوشيك. لمرّات عديدة، شعرتُ بحالات ضيق تنفّس وانقباض في القلب كما لو أنني ذاهبٌ مع بطل الرواية إلى الموت. وقد تحدّث الناقد الأدبي والفيلسوف الفرنسيّ رولان بارت عن التأثير الذي لا يمكن إنكاره لتماهي المترجم مع الكاتب".

الكتابة والترجمة من اللغة الأمّ

ردًا على استفسار حول التحوّل من الترجمة إلى الكتابة الإبداعيّة، يُفيد عمر، بأنّ "تجربة الكتابة تختلف عن الترجمة وهي تحتاج إلى أدوات أوسع، لا مجال للتفصيل والتوسّع في الحديث عنها الآن".

وكان عمر قد صدر له كتاب بعنوان نهاية الدولة الممركزة، والذي يعالج فيه، باللغة الكردية نشوء الدولة كظاهرة اجتماعيّة وكتجربة سياسية، وركّز من خلال الكتاب على تجربة إقليم كردستان العراق.

أمّا عن الترجمة من اللغة الأمّ إلى العربيّة، يقول المترجم حسين عمر، أنّ إقامته في إقليم كردستان العراق، وعمله في مؤسّسة إعلاميّة كرديّة بارزة منحته الفرصة للاحتكاك والتفاعل مع اللهجة السورانيّة بشكل عمليّ "فخلال الأشهر الأولى من عملي، كنتُ أقوم بترجمة مواد من اللهجة السورانيّة إلى الكرمانجيّة.

وبمرور الوقت، تعمّقت معرفتي باللهجة السورانيّة، الأمر الذي منحني الجرأة على خوض تجربة الترجمة هذه، وهي ترجمة مجموعة "سبعون نافذة متجوّلة". وقد استعنتُ بزملائي من المهتّمين بشعر شيركو بيكس، لأتمكّن من فهم الأبعاد الدلالية والرمزية لبعض مفرداته وجمله الشعرية. ولا شكّ أنّها أضافت بعدا جديدا لتجربتي كمترجم وأثرتها".

المترجم والناقد حسين عمر: الترجمة عبر لغة ثالثة ليست جريمة

أعمال حسين عمر تتوزع على ثلاث لغات

بابا نويل يُهدي الحياة إلى عرائس ديزني لاند في القاهرة

مسرحية «مدينة الثلج» تخاطب الأطفال بلغة رمزية وترصد تجمد البشر في عصر الآلات

لا يترك المسرح وترا إلا ويعزف عليه أنغامه السحرية التي تعبّر عن جماليات خاصة لا تتوفر سوى على خشبة "أبوالفنون"، وتكشف في الوقت نفسه أوجاع الواقع المعيش وأزمات الإنسان المعاصر. من هذه الأوتار النغمية الحسّاسة مسرح الطفل الاستعراضي، وإليه ينتمي عرض "مدينة الثلج" الذي شهدته القاهرة 18 فبراير الجاري، وفيه يصارع بابا نويل طواحين الهواء طويلا، إلى أن ينتصر على اليأس، ويوزع على الحاضرين هداياه وابتساماته وأحلامه.

شريف الشافعي
كاتب مصري

❏ لا يكتفي المسرح الراهن برسالة الإمتاع والتشويق والجمال المجرد، إنما يأخذ في اعتباره بوضوح الرغبة في التأثير على المتلقي، وإحداث قدر من التغيير الوجداني، وهذا ما أعلن عنه صراحة صُنّاع العرض المسرحي "مدينة التلج" (النطق العامي المصري لمفردة "الثلج")، إذ أشاروا في بطاقة المسرحية إلى أنها دعوة إلى "تغيير المود"، أي تحسين الحالة المزاجية للمتلقي، وهذا ما نجحوا فيه بالفعل عبر أبجديات مسرح الطفل المتطورة التي خاطبت أفراد الأسرة جميعا.

لم يتأتّ هذا التغيير النفسي من القتامة والحزن واليأس إلى التوهج والبهجة والتفاؤل فقط بسبب هدايا بابا نويل العينية التي بدا كأنه يوزعها على جمهور العرض على خشبة مسرح "تياترو آفاق" بالقاهرة، وإنما حدث التغيير الفعلي بسبب انتشار حالة الحب وتسلل روح الأمل إلى القلوب بفعل أحداث المسرحية.

مسرح العائلة

جاءت المسرحية في إطار تجربة جديدة تحت عنوان "مسرح اليوم الكامل للعائلة"، وقدم المسرح عرضين متتاليين؛ الأول "مدينة الثلج" للأطفال والناشئة، والثاني "شبابيك" للشباب والكبار، ومؤلف العرضين معا هو محمود جمال حديني، بينما هناك مخرجان؛ محمد جمال (مدينة الثلج) وعبدالخالق جمال (شبابيك).

بدا هذا التقسيم مراوغا إلى حد كبير، فالمسرحية الأولى لم تقتصر على استقطاب الأطفال حول مفرداتها الفنية وأفكارها المطروحة، وإن كانت تتوسل عناصر مسرح الطفل وأدواته، خصوصا الشخصيات الكارتونية من العرائس واللعب والأقنعة والاستعراضات المرحة وتبلور الأحداث حول شخصية طفلة صغيرة لعبت بطولة العرض، إلى جانب بابا نويل "كلمة السر" المفتاحية على مدار العرض.

حملت المسرحية لغة رمزية متطورة، لها ملامح الحاضر ورائحة المستقبل، على اعتبار أن طفل اليوم ليس هو الذي كانت تجري مخاطبته قديما بحواديت قبل النوم وحكايات "حبايبنا الحلوين"، بل هو طفل التكنولوجيا والإنترنت والمدارك الواسعة المطلعة، ومن ثم تعاملت المسرحية مع المتلقي عموما بوصفه واعيا مكتمل النضج والأهلية، يستشعر أوجاع ذاته، ويتفهم مشكلات مجتمعه وواقعه الإنساني.

انطلقت المسرحية من ذلك الصراع بين المادة والروح، الكتلة والطاقة، العرائس/اللعب/الروبوتات والبشر، الأرقام والمشاعر، دقات الساعة ونبضات القلوب، في محاولة لتدفئة الإنسان وتحريكه من جديد بعد تجمّده سنوات في عصر الآلات والأرقام.

لم يكن الأمر سهلا، فبابا نويل موزّع الهدايا لا يستطيع إيقاف كائن الموت أو تأجيله، لكنه من الممكن أن يصارع طواحين الهواء طويلا، ويساعد الراغبين في بلوغ المعنى الحقيقي للحياة، إلى أن يتمكنوا من قهر اليأس، واسترداد ذواتهم.

هذه الرسائل، جرى تمريرها وتفعيلها ونقل تأثيراتها وأصدائها إلى نفوس الحاضرين بسلاسة، من خلال حكاية طفولية بسيطة، تمثلت في استشعار فتاة صغيرة بأنها على وشك الموت، وتملك الحزن منها، الأمر الذي دفع بابا نويل إلى التعاطف معها لمساندتها، ليس بدرء الموت، فهذا ليس من سلطاته، وإنما بملء أيامها بالبهجة والتفاؤل والمعنى الحقيقي للحياة، فهذا بحد ذاته إطالة للعمر، ومد لإشعاعات الحياة، لدرجة أن الحيوية دبت في أجساد المحيطين بالفتاة جميعا.

سعى العرض إلى تفكيك الأسطورة لخدمة الواقع، وليس العكس، للإعلاء من قدرات الإنسان، وإذكاء ثقته بذاته، فبابا نويل ليس ساحرا يفعل المعجزات، لكنه رجل عادي يرتدي ملابس مبهجة، وهو "فكرة لا تموت"، كما قال عن نفسه في العرض، والأفكار ملك البشر.

وراح الشخوص، وعلى رأسهم الطفلة المريضة، يتحسسون تباعا الطريق إلى جوهر الإنسان، ولب الحياة، وتلك هدايا بابا نويل الحقيقية التي وزّعها عليهم خلال العرض، وعلى جمهور الحاضرين، وصارت لدى كل فرد القناعة بأن زمن التحنيط يجب أن ينتهي، ليعيش الإنسان تلقائيته وحريته وبهجته غير المشروطة في ظل إرادة كاملة غير منقوصة.

الحيلة التي ابتدعها بابا نويل لإسعاد الطفلة، التي سمّاها "هدية"، هي أنه ذهب بها إلى "مدينة الثلج"، التي يسكنها المتجمّدون من اللعب والعرائس، مشترطا عليها أن تكون هي لعبة أو هدية لهذه العرائس، وليس العكس، وعلى الطفلة هدية أن تختار أتعس العرائس لتكون هي هديتها، وأصبحت الطفلة بالفعل هدية للتمثال جيمي، ومن خلال علاقتهما معا، تكشفت تفاصيل عالم العرائس والتماثيل.

بابا نويل يقود ثورة التغيير

الإنسان المعاصر

رسم العرض صورة الإنسان المعاصر الغارق في التسليع والميكنة والمادية من خلال شخصيات العرائس، فهم مصطنعون زائفون، يولدون بلا أرواح، وتحكمهم البرمجيات والقوانين المحركة كالروبوتات، ومن خلال بهجتهم بلعبتهم الجديدة "الطفلة هدية"، بدأوا يستردون إنسانيتهم المفقودة تدريجيًا، ويتعرفون على الدموع والابتسامات ونبضات القلوب ومسار الزمن للمرة الأولى في حياتهم، وكذلك فهموا معنى الموت.

وبعد وصولهم إلى اكتمال إنسانيتهم، بكل مفردات الإرادة والتحرر والاستقلالية والقدرة على الحركة والتغيير، بلغت هدية وبابا نويل ذروة رحلة السعادة والنجاح، وفي الوقت ذاته دنت هدية من الموت، لكنها استطاعت أن تترك وراءها إرثا عظيما من الحيوات الكثيرة الخالدة، في عالم لن ينسى آثارها الباقية أبدا.

تناسقت فكرة العرض مع رشاقته وخفته من حيث الأداء، فهناك طفولية في التمثيل، بمعنى البراءة والتلقائية، لدى الطفلة هدية وبابا نويل، وكذلك العرائس، التي أبدعت في التعبير عن التغيرات المصيرية في شخصياتها، في مرحلة القولبة والآلينة والتحرك الهندسي المحسوب، ثم في مرحلة الآدمية والانطلاق والرقص والخطوات الحرة الجريئة.

ملأ الممثلون فضاء المسرح بالحركة والاستعراضات البصرية الجاذبة، واتسم الحوار بالدينامية وروح الفكاهة والدعوة الدائمة إلى الخصوبة والتفاؤل، وقدمت السينوغرافيا والأقنعة والملابس دلالاتها المرجوّة من حيث تصوير عالم مدينة الثلج الساكن البارد، الذي تسكنه شخصيات متنوعة، منهم الشاب جيمي والساحرة والجد العجوز والمهرج والرجل الأخضر والراقصة.

الحلم هو الهدية الحقيقية

وفي النهاية، زعم ممثلو العرض أن زلزالا قد حدث في المكان، وفي حين أن الشواهد لم تثبت حدوث زلزال فعلي، فإن الجميع أكدوا إحساسهم به، الأمر الذي يوحي برغبة العرض في فرض هزته الوجدانية على الحضور إلى أبعد مدى، ومد نطاق الخلخلة النفسية والحث على التغيير وتجاوز الواقع السيء إلى غد مشحون بالآمال، لا مكان فيه للثلج.

الدفء يزيح الثلج إلى غير رجعة

جوهر الإنسانية ومعنى الحياة

استعراضات رشيقة تواكب رهافة الفكرة وحساسية الأداء التلقائي

المدينة فضاء فني والجدران دفاتر الأزمنة

معرض باريسي يحتفي بالفنان الفرنسي جي أر وتجربته الجمالية متعددة الوسائط

أشباح المهاجرين وحكاياتهم المنسيّة في بيوتهم الأولى

عمار المأمون
كاتب سوري

❏ مازال الاسم الحقيقي للفنان الفرنسيّ جي أر–JR مجهولا بالرغم من شهرته العالميّة، وأعماله الجداريّة والمسرحيّة المُنتشرة في أنحاء العالم، والتي تتحرك بين فن الشارع والتصوير الفوتوغرافي وفن الأداء، فـ"جي أر" يرى في المدينة معرضًا واسعا، أما جدرانها ومكوناتها الماديّة فليست إلا مساحات تختزن داخلها احتمالات فنيّة، ويجب ألا تقتصر على الإعلانات التجاريّة والدعاية السياسيّة، فجدارياته الضخمة التي تمزج بين التصوير الفوتوغرافيّ وفن الشارع، تجعلنا أمام صروح تتحدى قوانين المدينة وشكلها الرسميّ، بوصفه يصنف ويعزل وينمذج ويعكس النظام العام بأشد أشكاله سكونا.

يقيم المنزل الأوروبي للتصوير الفوتوغرافيّ معرضا ضخما والأول من نوعه للاحتفاء بـ"جي أر" وأعماله تحت اسم "الإيقاع، ميكانيكيّة الحدث"، الذي يحيلنا إلى مفهوم الحدث الفنيّ بوصفه جُهدا جماليا يتجاوز حدود مساحة العرض الرسميّة كالمتاحف وصالة العرض ويوظف الفضاءات العامة، مُعيدا تكوّن خصائصها الرمزيّة والسياسيّة، لتقديم حكايات علنية مختلفة عن تلك الرسميّة، إلى جانب تغييره لإيقاع المكان، ذاك المرتبط بالحركة البشريّة وتدفق العلامات العلنية والإطارات التي تحويها، والتي تتجلى بشكلها "الطبيعي" في ما نراه عادة من إعلانات ورسومات "مسموح" بها، كونها لا تهدد التجانس الرمزيّ للمكان.

نتعرف في المعرض على بدايات جي أر، أولى الأعمال الصغيرة التي أنجزها، محاولة لتغيير الصورة النمطيّة التي روجت لها وسائل الإعلام عن سكان تلك الضاحية، بوصفهم خطيرين ومشبوهين، لتغزو بعدها هذه الصور جدران باريس والمدن المختلفة في فرنسا.

ذات الشيء نراه في مشروعه "بلا إطار" الذي يحاول فيه أن يحيي ذكرى "جزيرة إليس" في خليج نيويورك في الولايات المتحدة، فالجزيرة المجاورة لتمثال الحريّة، هي المحطة الأولى التي كان يصل إليها المهاجرون قبل دخولهم الولايات المتحدة، والمثير للاهتمام أنه عمل ضمن المستشفى الذي يحويه، والمهجور منذ عام 1954، إذ قام بإنجاز مجموعة من الصور وأعمال التجهيز، معتمدا على أرشيف من كانوا فيه وحكاياتهم، التي يحوّلها إلى علامات مرئيّة تصورهم نفسهم وكيفية تواجدهم في المستشفى الذي يبدو كأنه مسكون بأشباح، حزينة، كئيبة، تعكس المعاناة والتعب اللذين شهدهما المهاجرون الذين تركوا كلّ شيء وراءهم واتجهوا نحو الأرض الجديدة.

نشاهد في المعرض أحدث أعمال جي أر، تلك التي أنجزها بالتعاون مع مجلة "تايم" الأميركيّة، بعنوان "الأسلحة في الولايات المتحدة" والتي يمكن وصفها بفيديو جداريّ تفاعليّ، نشاهد فيه صورة 245 أميركيا ينتمون لطيف سياسي واسع يبدأ من المعارضة الشديدة لاستخدام السلاح وينتهي بأشد المدافعين عن الحق بحمل السلاح، وما يثير الاهتمام أن العمل الذي يمكن أيضا "تلقيه" عبر الكمبيوتر الشخصيّ، يتيح لنا الضغط على كل صورة– بورتريه، وسماع شهادة صاحبها ورأيه، سواء كان سياسيا أو جنديا أو صيادا أو ناشطا ضد حمل السلاح، فالعمل الذي صمم في الذكرى الخمسين لصدور قرار السيطرة على السلاح في الولايات المتحدة الأميركيّة، يسعى لجعل الرأي العام أشبه بصورة ناطقة، لا مجرد مجموعة مجزّأة من الآراء التي تتناولها وسائل الإعلام، وكأننا أمام صورة حيّة للمجتمع الأميركي.

يحوي المعرض أيضا مجموعة من أعمال التجهيز الصغيرة نسبيا التي أنجزها جي أر، إذ يتلاعب بأحجام الصور وألوانها والإضاءة حولها والظلال التي تنتجها، لتبدو كأنها تطفو في الهواء، مخلخلة الخصائص الماديّة للجدران وصلابتها، فصوره تحول المكان إلى فضاء مائع، هش، سهل الاختراق، سواء كان جدارا داخل معرض أو بناء ضخما في ريو دي جينيرو، وهذا ما يتضح لنا ضمن مجموعة الشرائط المسجّلة التي تشرح لنا آلية عمله وكيفية توظيفه للمكان ومكوناته في سبيل إنجاز أعماله المختلفة.

صور أبناء الضواحي تحدّق بالمارّة

الصعود من الماضي الى الحاضر

نقد سينمائي لاذع للجيش الإسرائيلي في سياق كوميدي

«مترادفات».. الفيلم المتوج بـ«الدب الذهبي» في مهرجان برلين

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ حصل الفيلم الإسرائيلي "مترادفات" Synonyms على الجائزة الكبرى "الدب الذهبي" في مهرجان برلين السينمائي كما حصل على الجائزة التي يمنحها الاتحاد الدولي للنقد والصحافة السينمائية، وهي المرة الثانية خلال عامين، التي يفوز فيها فيلم إسرائيلي ينتقد السياسة الإسرائيلية بقسوة وفي سخرية لاذعة، بجائزة رئيسية في مهرجان دولي كبير بعد فيلم "فوكس تروت" الذي حصل قبل عامين على الجائزة الكبرى للجنة التحكيم في مهرجان فينيسيا.

في البداية شاب يتحرك في شوارع باريس، وتتحرك معه الكاميرا في حركة دودية سريعة من زاوية منخفضة في لقطات متوسطة وقريبة تشي بحالة البارانويا والاختناق التي يشعر بها في أعماقه، يسير بطلنا "يواف" وكأنه تحت تأثير منوم، يردد كلمات محمومة عن رغبته في التخلص من هويته الإسرائيلية وأن يصبح فرنسيا تماما.

لا أحد يعرف بالضبط كيف وصل "يواف" الذي كان جنديا في الجيش الإسرائيلي، إلى هذه البناية البورجوازية في قلب العاصمة الفرنسية باريس، ولا كيف عثر على تلك الشقة الفخمة الفارغة تماما التي يتجرد فيها من ملابسه ويترك حقيبته الصغيرة التي كان يحملها فوق ظهره، لكي يغتسل، ثم يفاجأ بعد ذلك بأنه فقد حقيبته وملابسه أيضا وأصبح وحيدا عاريا عديم الحيلة في تلك الشقة، يتحرك من غرفة إلى أخرى عاريا بحثا عن ملابسه، وهو يرتعد من البرد ثم يهبط إلى الطابق الأسفل ليطرق الباب، ولكن لا أحد يفتح له ليصعد وينتهي الأمر به وقد استسلم للنوم من شدة التعب داخل "البانيو".

هذا المشهد يبدو وكأنه يدور بين الحلم واليقظة. فالشقة ليس من الممكن أن تكون واقعية، والإنقاذ الذي يأتي من الجيران غير واقعي لكنه "المستحيل الممكن" حسب أرسطو، الذي هو أفضل من "الممكن المستحيل". والمخرج الإسرائيلي "ناداف لابيد"، يتبع في فيلمه أسلوبا يصنع صورة تدور بين الواقع والخيال، بين الحاضر والذاكرة، وبين الماضي والحاضر. إنه يعتدي ويجرح ويهين ويحطم الكثير من المستقرات، وكأنه يرغب في تحرير الفيلم من فكرة الإيهام بالواقع من دون أن يتخلى تماما عن خلق صورته الخاصة عن الواقع، وهي صورة تنبع من داخل الشخصية الرئيسية (يواف). فالفيلم يكاد يكون بأكمله مصورا من وجهة نظره، وهو عندما يسير في شوارع باريس يخفض بصره إلى الأرض، يرفض أن يكون سائحا يتطلع في انبهار إلى معالم باريس السياحية الشهيرة التي تجتذب الملايين، لكنه جاء لكي يتخلى عن ماضيه، عن هويته الإسرائيلية، عن انتمائه العائلي والوطني، وأن يصبح مواطنا فرنسيا خالصا.

الثنائي الفرنسي

جيران يواف في المسكن الذي اقتحمه كما لو كان يعرف مقدما أنه خال، اثنان، شاب وفتاة، إميل وكاثرين. الأول يريد أن يصبح كاتبا وقد بدأ بالفعل في تأليف كتاب يشي عنوانه العجيب بحالته النفسية هو "ليل الكسل"، أما كاثرين فهي عازفة على آلة الأوبوا في فرقة سيمفونية. إنهما نموذجان مثاليان للطبقة الوسطى الفرنسية باهتمامها الكبير بالشكل، بالأناقة، بالتلاعب باللغة، بحي الاستطلاع والدهشة إزاء الغريب. الاثنان يعثران على يواف فيحملانه إلى شقتهما الفخمة، يتولياه بالرعاية إلى أن يستفيق ويسترد الحياة. يقول لهما إنه إسرائيلي جاء إلى باريس لكي يتخلص من هويته الإسرائيلية تماما وأنه يريد أن يجيد اللغة الفرنسية. يمنحه إميل مبلغا معتبرا من المال، وبعض الملابس وأهمها بالطبع المعطف الأصفر المميز الذي سنشاهده به طيلة الفيلم في تناقض لوني مثير للسخرية مع جميع المحيطين به خاصة في المشاهد الخارجية العامة (لهذا اللون تحديدا معنى خاصا في الذاكرة اليهودية). ينصرف يواف لكن العلاقة مع إميل وكاثرين ستظل متصلة.

أول ما يفعله يواف في باريس هو أن يذهب ويشتري قاموسا للغة الفرنسية ويأخذ في حفظ الكلمات والمترادفات ويرددها بشكل محموم أثناء سيره. وعندما يصف يواف لإميل إسرائيل التي هجرها، يستخدم الكثير من المترادفات التي تخرج من فمه مندفعة محمومة عنيفة مثل (مقرفة، كريهة، فجة، عقيمة، تافهة، شيطانية، فاقدة الروح.. إلخ). ويبدو "يواف" وكأنه يردد مونولوجا طويلا عدائيا رافضا لإسرائيل بحكم تجربته القاسية في الجيش تحديدا وهو ما سيتضح في ما بعد من خلال اللقطات والمشاهد التي تعبر ذاكرته ويسترجع من خلالها تجربته العبثية القاسية في الجيش.

ويستخدم المخرج الأغاني الأميركية الشائعة والرقصات للتعليق الساخر على هذه المشاهد ومنها مشهد التدرب على إطلاق النار.

هل يستطيع يواف أن يصبح فرنسيا في فرنسا وهو الإسرائيلي الذي تكوّن وعيه وشخصيته في النظام الإسرائيلي: الاجتماعي، السياسي، التعليمي، والعسكري؟ إن يواف نتاج الذكورية الخشنة الإسرائيلية، بينما جاراه الفرنسيان نموذجان لفرنسا "الأنثوية" الرقيقة الناعمة التي تريد أن تحتضنه أو بالأحرى، تلتهمه وتخنقه في ثقافتها.

من السيرة الشخصية

في الفيلم جانب مستمد من السيرة الشخصية للمخرج "ناداف لابيد" الذي هبط إلى باريس قبل نحو عشرين عاما وقضى هناك سنوات، قبل أن يرتد عائدا إلى إسرائيل. وهو يصف هنا تلك الحالة النفسية الشعورية العبثية التي تنبع من شخصية الغريب القادم من مجتمع ذي تكوين شديد الاختلاف إلى فرنسا، ساعيا للاندماج، ويلجأ في سبيل ذلك إلى هدم ما يعتبره الأساس الأول للهوية أي اللغة، فهو يقرر ألا يتحدث العبرية على الإطلاق مهما كانت الظروف، وأن يتعلم الفرنسية ويحفظ كلماتها ومترادفاتها، ولكنه في حاجة أيضا إلى العمل. يلتحق بالعمل كحارس أمن في القنصلية الإسرائيلية حيث يجد نفسه تحت إمرة ضابط مخابرات عنيف، وزميل له، كان الاثنان قد خدما من قبل في الجيش الإسرائيلي، وهما يمثلان نموذجا نمطيا للإسرائيلي الذكوري العنيف. يتلقى درسا في كيفية رصد أي شيء يتعلق بالعرب: الكلمات والأسماء، والصور والإشارات والملابس والأشكال.

إننا أمام نوع من الكوميديا العبثية التي تصل في بعض المشاهد إلى السيريالية في سياق أسلوب يتجاوز الحداثي ويقفز كثيرا إلى ما بعد الحداثي.. والفيلم يلعب على فكرة الأنماط الشائعة والقوالب، فإميل وكاثرين يعكسان ما هو مستقر في ذهنية "الآخر" عن الفرنسيين من خلال الأفلام والإعلام عموما: فهما ينتميان للطبقة البورجوازية الكلاسيكية، يعتبران "يواف" صيدا ثمينا، إميل يريده أن يزوده بذكرياته عن الفترة التي قضاها في الجيش لكي تساعده في الانتهاء من كتابه، وكاثرين تستولي عليه جسديا، بل ويلتصق به إميل حد الاستغلال الجنسي أيضا. أما الاستغلال الحقيقي المباشر الذي سيتعرض له فسيأتي على يدي مصور فرنسي في مشهد يتمادى في السخرية والنيل من الصورة الفرنسية المقولبة: إنه المصور الذي يصور يواف بعد أن يدفعه للتجرد من ملابسه تماما، ثم يطلب منه أن يتحسس جسده ويتلوى في حركات جنسية مثيرة وأن يضاجع نفسه بدس إصبعه في مؤخرته. يلجأ يواف لهذا العمل، كـ"موديل" في أفلام وصور جنسية مقابل المال. وهو لا يمانع من التعري والعبث بجسده لكن أكثر ما يصدمه ويقاومه ما يطلبه منه الفرنسي من ترديد عبارة من العبارات المثيرة بلغته العبرية التي قرر التخلي عنها. إنه يرضخ من أجل الحصول على المال، ولكنه يستخدم كلمات لا يفهمها الفرنسي بالطبع، مليئة بالشتائم والكلمات النابية التي يوجهها للفرنسي!

زميله ضابط الأمن في السفارة، مصاب بلوثة اسمها "العداء للسامية" ينتابه الشعور بأن العالم كله أصبح معاديا لليهود، وأن فرنسا هي قلعة العداء للسامية. وهو يقفز أمام الجمهور في إحدى محطات مترو باريس ثم يردد بطريقة عدوانية تشي بالتحدي: "أنا يهودي.. من إسرائيل"، وسط دهشة الجميع، وصدمة "يواف".. فهذا الحارس هو نقيضه، فبينما يرغب يواف في التخلص من يهوديته، يستعرض الثاني في استعلاء وتحدٍ هويته اليهودية الإسرائيلية بل ولا يجد غضاضة في ترديد النشيد الإسرائيلي.

فرنسا إذن تستغل يواف وتستخدمه ولا تريد الاعتراف بسهولة بأنه يمكن أن يصبح فرنسيا. وهو من جهته يرفض الفن الذي تقدمه كاثرين وفرقتها السيمفونية. وعندما يلتحق بمدرسة لتعلم اللغة الفرنسية وكيف يصبح مواطنا فرنسيا، وسط مجموعة من ذوي الأصول الأفريقية والصينية وغيرهم، يجد نفسه أمام نوع آخر من الشوفينية الفرنسية والاعتزاز الوطني بالقيم الفرنسية من خلال ما تقوم بتلقينه لهم المعلمة الفرنسية، بل يكتشف أن كلمات النشيد الوطني الفرنسي مليئة بالعنف والحض على القتال والتباهي بالانتصارات العسكرية. فهو يهرب من ثقافة العنف الإسرائيلية، ليجد نفسه مطلوبا منه ترديد أفكار مماثلة عن التباهي بالانتصارات العسكرية والحروب إن أراد أن يصبح فرنسيا.

في أحد المشاهد يقف يواف في الليل أمام كنيسة نوتردام الشهيرة ويتطلع إليها وهو يرفع يديه في ما يبدو كنوع من الاحتجاج على شعوره بالضآلة خاصة وأننا نراه من زاوية مرتفعة حيث يبدو قزما صغيرا أسفل المبنى الشاهق المهيب.

الولادة المستحيلة

الحبكة التقليدية مفقودة. أي أننا لسنا أمام قصة لها بداية وذروة ونهاية، بل مشاهد متفرقة تجمع بينها الحالة النفسية للبطل/ اللابطل، الذي يبدو وكأنه يريد أن يقاتل ضد ماضيه وحاضره بل وضد نفسه، ويتطلع إلى ولادة جديدة سيدرك في النهاية أنها مستحيلة، وأن الخروج من تحت جلد الذات أمر مستحيل لمن تكوّن وانصهر في أتون تجربة ذات طبيعة خاصة. ويمتزج النقد اللاذع في الفيلم بروح السخرية، وتتفجر الكوميديا، ليس فقط من خلال التعليقات اللفظية، بل أساسا، من المفارقات بين الشخصيات التي تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين، ومن التناقض بين شخصيات الإسرائيليين أنفسهم. وتقترب بعض المشاهد من السيريالية كما أشرت، ومنها على سبيل المثال مشهد يدور أمام القنصلية الإسرائيلية حيث يتجمع العشرات من الأشخاص وراء حاجز أمني، ثم يبدأ هطول المطر، ويرتبك رجال الأمن الذين يبذلون جهدا في إبعاد الناس عن مدخل السفارة، فيقوم يواف بإزاحة الحواجز ويترك الجميع يجتازون الحواجز الأمنية ويدعوهم أيضا للدخول إلى مقر القنصلية وكأنه يريدهم أن يحتلوا المبنى. وكأنه ينتقم من ذلك الهوس الأمني الإسرائيلي التقليدي.

ويصل المشهد الذي يدور في حجرة الدرس وتعلم كيف تصبح مواطنا فرنسيا إلى ذروة العبث عندما يقف "يواف" يردد نشيد "المارسييز" بصوته الجهوري ولهجته الفرنسية الخشنة، بطريقة استعراضية مسرحية ساخرة.

من أبرز الجوانب الفنية التي منحت الفيلم رونقه وسحره وقوته التعبيرية الهائلة أداء الممثل الجديد "توم مرسييه" الذي اكتشفه المخرج وتمكن من القبض على مفاصل الشخصية بتناقضاتها وعنفها الداخلي القابل للانفجار، مع مزيج من القلق والتوتر والاكتئاب المفاجئ والانبساط الذي يأتي أيضا فجأة، والنزعة الانطوائية الناتجة عن الشعور بالغربة، وفي النهاية، ذلك الحس الأبدي بالاغتراب عن النفس وعن العالم. وهذا الاغتراب ناتج عن التجربة الشخصية القاسية. إنه يؤدي أداء شديد القوة بجسده وقسمات وجهه وقدرته على التحكم في عبارات الحوار بالفرنسية، وإجادته التعامل مع المواقف المختلفة. هذا اكتشاف حقيقي دون شك بالنسبة لهذا النوع من الأفلام "الاحتجاجية" التي بدأت تكثر في السينما الإسرائيلية.

من المؤكد أن يثير الفيلم (وهو من الإنتاج المشترك مع فرنسا وألمانيا) مشاعر الغضب عند كل من الفرنسيين والإسرائيليين، فالفرنسيون سيجدونه غير منصف لثقافتهم بل ويسخر أيضا من قيمهم الوطنية التي يعتزون بها. والإسرائيليون سيجدونه منحرفا عن طريق "الولاء الوطني" يدين الدولة ويسخر من الجيش.

> من المؤكد أن يثير الفيلم (وهو من الإنتاج المشترك مع فرنسا وألمانيا) مشاعر الغضب عند كل من الفرنسيين والإسرائيليين، فالفرنسيون سيجدونه غير منصف لثقافتهم بل ويسخر أيضا من قيمهم الوطنية التي يعتزون بها. والإسرائيليون سيجدونه منحرفا عن طريق «الولاء الوطني» يدين الدولة ويسخر من الجيش

وكانت وزيرة الثقافة الإسرائيلية قد سبق أن وجهت اتهامات كثيرة وصلت إلى حد الاتهام بـ"الخيانة الوطنية والعمالة" إلى شموئيل ماعوز، مخرج الفيلم الإسرائيلي البديع "فوكس تروت" Foxtrot (الحائز على الجائزة الكبرى للجنة التحكيم في مهرجان فينيسيا السينمائي قبل عامين) بسبب نقده اللاذع للجيش الإسرائيلي. كما قاطعت الحكومة الإسرائيلية في العام الماضي، مهرجانا مخصصا للأفلام الإسرائيلية في باريس بسبب عرض "فوكس تروت" في الافتتاح.

التعرف على الساحل الصخري بونتا دا بيدادي

الساحل الغربي الأصلي لمنطقة الغارف يعد قِبلة لعشاق التجول وركوب الأمواج

الغارف تتيح لعشاق التجول التنقل بين الشواطئ والطبيعة الخلابة

وجهة برتغالية تدلل زائريها بأجمل الإطلالات البانورامية

السفر بالنسبة إلى الكثير من الناس ليس فقط مجرد انتقال من مكان إلى آخر والتقاط صور تذكارية بجوار المعالم الأثرية، بل هو امتياز أيضا يجددون من خلاله حيواتهم ويقتلون الروتين اليومي، لذلك يبحث البعض عن وجهات سياحية تكون مناسبة للتجول وركوب الدراجات، ولعل منطقة الغارف البرتغالية أحسن خيار للحصول على جولات رائعة ومناسبة.

❑ **الغارف (البرتغال)** – يجد الباحثون من عشاق التجول ضالتهم في أقصى جنوب البرتغال وتحديدا في منطقة الغارف التي تمتاز بالكثير من الشواطئ الخلابة والمناظر الطبيعية البديعة ودروب التجول، التي تحيط بها أشجار الأوكالبتوس ذات الظلال الوارفة.

وتعد هذه المنطقة الجنوبية من بين الوجهات السياحية الأكثر شعبية في البرتغال، وعدد سكانها يتضاعف خلال ذروة موسم العطلات وذلك بفضل تدفق أعداد كبيرة من السياح.

ويمكن لزائري الغارف الاستمتاع بجولات رائعة في هذه البقعة الساحرة من البرتغال. ويزداد انحدار مسار التجول بين قرية مونشيك الجبلية وبيكو دا فويا، والتي تعتبر أعلى نقطة في مسار سيرا دي مونشيك؛ حيث تبلغ نسبة الانحدار 12 بالمئة في بعض الأحيان، حتى أن المرشد السياحي ماركو غومز يتعين عليه الضغط على الدواسات بقوة للتغلب على المنحدر، ومن خلفه تكافح المجموعة السياحية المصاحبة له، ويعد هذا المسار من أكثر مسارات الدراجات الجبلية صعوبة في منطقة الغارف، إلا أن المغامرة تستحق هذا الجهد.

وينعم السياح بعد الوصول إلى القمة على ارتفاع 902 م، بإطلالة بانورامية رائعة على التلال، ويمتد المشهد في الأفق أيضا ليصل إلى ساحل البرتغال الغربي، كما تكثر في منطقة الغارف المنحدرات والخلجان الرائعة، وهناك الكثير من البدائع الطبيعية، التي يمكن مشاهدتها هنا، إلا أن غومز أوضح قائلا "للأسف هناك القليل من السياح الذين يعرفون مدى جمال المناطق النائية في الغارف".

ويقع مسار التجول سيرا دي مونشيك على مسافة 30 كلم تقريبا من المعقل السياحي بورتيماو، ويختلف الوضع هنا في الجبال عن الساحل؛ حيث يسود الصخب والضجيج بسبب الأفواج السياحية الكبيرة.

وتنتشر القرى الجبلية ذات المباني المطلية باللون الأبيض على قمة الجبال، ويتجلى ذلك بوضوح في منطقة كالداس دي مونشيك، التي تشتهر بينابيعها الساخنة، وفي هذه المحمية الطبيعية تعيش الحيوانات المختلفة مثل الثعالب والقطط البرية والأوشاق الإيبيرية المهددة بالانقراض، كما يمكن لعشاق التجول هنا الاستمتاع بشبكة كبيرة من مسارات المشي وركوب الدراجات، وعادة ما تمر مسارات ودروب التجول عبر غابات البلوط الفليني الكثيفة، التي لم تعبث بها يد الإنسان.

> «ريا فورموزا» محمية طبيعية في منطقة الغارف تستقطب هواة قوارب الكاياك، الذين ينعمون خلال جولات التجديف بمشاهدة مجموعة متنوعة من الطيور مثل الفلامنغو واللقالق البيضاء

وينجذب السياح من عشاق التجول بالدراجات عبر الدروب الجبلية إلى منطقة فيا الجارفيانا، حيث تتعرج بهم الدروب والمسارات لمسافة 300 كلم بمحاذاة الساحل، ويظهر المزارعون في حقول البرتقال والتين والزيتون والليمون واللوز والكروم، وتستغرق الجولة السياحية حوالي أسبوعين لقطع المسار من الكوتيم على الحدود الإسبانية إلى كابو دي ساو فيسينتي بالقرب من منطقة ساجريس، والتي تعتبر أقصى نقطة في جنوب غرب اليابسة الأوروبية.

وتوجد على غرار الكوتيم العديد من المواقع في منطقة فيا الجارفيانا، التي تفخر بماضيها العريق؛ حيث استقر هنا الفينيقيون والقرطاجيون والرومان والقوط، فضلا عن استقرار العرب المسلمين في هذه المنطقة لمدة 800 عام.

وخلال فصل الربيع يمكن للسياح، الذين يتجولون في منطقة فيا الجارفيانا، السير بمحاذاة الجدران الحجرية القديمة والاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة لحقول الزهور الملونة وبساتين البرتقال والليمون المثمرة، وتمر الرحلة بالعديد من القرى الهادئة التي تخلو من المتاجر ولا تتوفر بها شبكة اتصالات هاتفية جوالة.

وتظهر الغابات بالقرب من سيرا دي مونشيك، وبعد ذلك يتجه مسار التجول إلى الجنوب الغربي نحو ساجريس، حيث يشعر السياح بالاقتراب من المحيط الأطلنطي من خلال استنشاق الهواء المالح وظهور شجيرات الصنوبر، وتمر الرحلة في الكيلومترات الأخيرة في محمية كابو دي ساو فيسنتي وصولا إلى منطقة الرأس الشهيرة على مستوى العالم، والتي تنحدر عندها الصخور لمسافة 70 م في المحيط الأطلنطي.

أما بالنسبة إلى السياح الذين يرغبون في التجول لمسافات طويلة مع الاستمتاع بمنظر البحر في الوقت نفسه فيمكنهم تحقيق هذه الرغبة في منطقة الغارف البرتغالية؛ حيث يوجد في أقصى الغرب مسار تجول بطول 19 كلم في المحمية الطبيعية كوستا فيسينتينا، والذي يمر حول قرية كاراباتييرا.

كما توجد المحمية الطبيعية ريا فورموزا في أقصى الشرق لمنطقة الغارف، والتي تستقطب عشاق التجول وقائدي الدراجات وهواة قوارب الكاياك، الذين ينعمون خلال جولات التجديف بمشاهدة مجموعة متنوعة من الطيور مثل الفلامنغو واللقالق البيضاء.

الرأس الشهيرة.. كانت منطقة كابو دي ساو فيسينتي في وقت سابق

وتزخر منطقة الغارف بالكثير من الشواطئ الرائعة لعشاق الاستجمام، علاوة على وجود الكثير من مسارات التجول بين الشواطئ المختلفة، وإذا قام السياح بالتجول على الطريق الساحلية بين ساليما ولاجوس والممتدة لمسافة 20 كلم، فإنهم يصلون إلى الخلجان والشواطئ الرائعة مثل بوكا دي ريو.

وبدءا من منطقة بونتا دا بيدادي تنتهي العزلة؛ حيث يكثر السياح على الساحل الصخري في منطقة الغارف، وكثيرا ما يلتقط السياح الصور التذكارية.

وأشارت يولاندا تاي إلى أن المنظر يكون أكثر روعة عندما يتم تصوير الصخور من البحر، وتشارك المواطنة البرتغالية، المنحدرة من مدينة لشبونة، في جولة بقوارب الكاياك عبر الكهوف والأنفاق. وأكدت أن الصخور تبدو هنا مثل الجبن السويسري، علاوة على وجود خليج للراحة والاستجمام لا يمكن الوصول إليه إلا من البحر، وينعم السياح هنا بالأجواء الهادئة والمياه الصافية الرقراقة.

❑ أحدث اتجاه لعالم سيارات الكارافان يقودها أكثر فأكثر إلى أن تكون منزل عطلات متنقلا، حيث قدمت شركة فولكسفاغن الموديل "كادي بوش"، الذي يشتمل على كراسي استلقاء وخيمة خارجية.

جولة سياحية تتعقب الجرائم من عائلة مانسون إلى بابلو إسكوبار

❑ **مكسيكو** – تشمل جولة تتعقب الجرائم زيارات لمواقع البعض من أبشع الجرائم في الولايات المتحدة، وتبلغ تكلفة تذكرة هذه الجولة التي تستمر أربع ساعات حوالي 75 دولارا.

وأوضح تيري بولو، المرشد السياحي بشركة هلتر سكلتر السياحية، قائلا "نحن نتوجه إلى موقع الجريمة ونطلع على كل شيء بشأن القتلة الوحشيين من خلال تسجيلات صوتية ومرئية"، مضيفا أنها قصة "مُستغربة ومروعة"، لكنها أيضا جزء من تاريخ لوس أنجلس.

وتشمل هذه الجولة تعقب الجرائم التي ارتكبتها "عائلة مانسون"، وهي في المجمل قتلت سبعة أشخاص خلال عمليات القتل التي تمت بتحريض من زعيم العصابة تشارلز مانسون.

وتكون الجولة التي وضعها سكوت مايكل، الخبير في شؤون عائلة مانسون، غالبا مكتملة العدد، ويعرف الأشخاص الذين يشاركون في الجولة باسم "السياح المظلمين"؛ وهم الأشخاص الذين يحبون زيارة الأماكن المرتبطة بالموت والدمار.

وابتكر هذا المصطلح الباحثان البريطانيان في مجال السياحة جون لينون ومالكولم فولي في عام 1996.

وأفاد بيتر هوهنهاوس –أحد منظمي الرحلات المظلمة، وهو يدير موقعا يتضمن معلومات ومقاصد محتملة للأشخاص الذين يفكرون مثله– بأن "السائح المظلم" المهتم كثيرا بوجهته سيقرأ عنها مسبقا.

وفي بعض الأماكن لا يوجد الكثير لتذكير البشر بالمعاناة التي وقعت هناك، فكل ما تبقى في الضيعة السابقة الخاصة بتاجر المخدرات الكولومبي السيء السمعة بابلو إسكوبار هو حديقة حيوان وحديقة ألعاب مائية ترفيهية، إلا أنّ هناك متحفا صغيرا يعرض الفظائع التي تم ارتكابها في عهده.

وأضاف هوهنهاوس، على موقعه الإلكتروني، أن أحد الأسباب التي قد يختار الأشخاص بناء عليها زيارة مثل هذه المواقع، هو المواجهة التي تقدمها لكوابيسهم، متابعا أنها "تجعلهم يفكرون في كيف سيتصرفون خلال حدوث كارثة".

العلاج بالتكنولوجيا أحدث طريقة لترميم الانكسار النفسي

مواقع التواصل الاجتماعي تساعد البشر على التكيف مع توترات أنماط الحياة الحديثة

محمد اليعقوبي

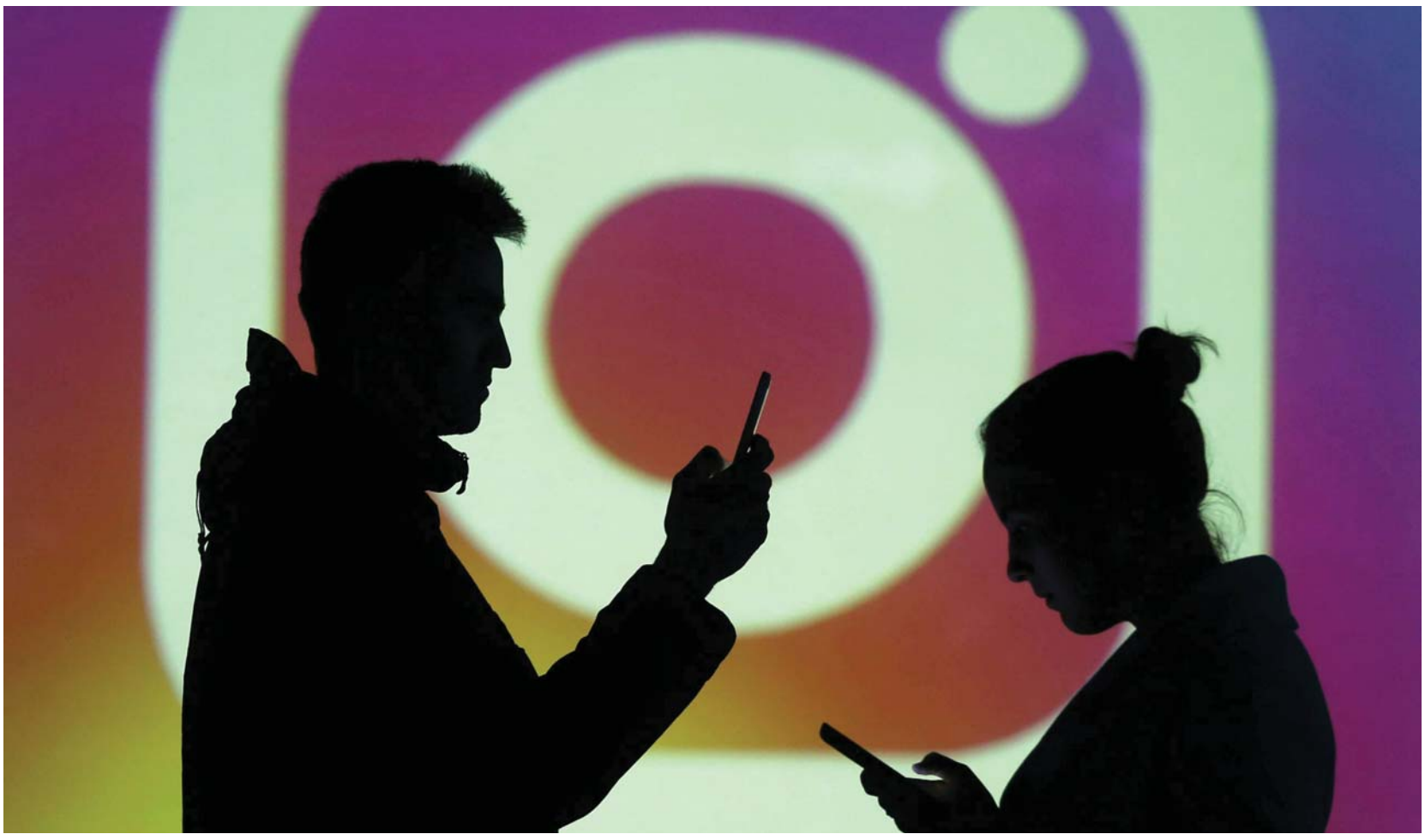

التواصل الاجتماعي رحل إلى الفضاءات الافتراضية

❑ يجمع علماء النفس على أن التعبير عن الحزن والتنفيس عن الإحباط الداخلي أمران مهمان، حتى يكون بمقدور المرء تجاوز الأوقات العصيبة والتركيز بشكل مثمر على الخطوات اللاحقة في حياته.

وقد وجدوا مؤخرا أن الكتابة التعبيرية على مواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن تقدم أفضل الحلول في معالجة التوترات النفسية، بدل الحلول التقليدية من أجل تفادي الانفعالات المنفلتة مثل الصراخ أو تحطيم الأشياء أو الاعتداء على الآخرين!

ويأتي هذا التحول، في وقت تنتشر فيه التقارير والدراسات التي تتحدث عن الآثار السلبية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الأفراد والمجتمعات، لتؤكد أنها يمكن أن تعيد التوازن إلى الأشخاص من خلال خلق بديل للعلاقات الاجتماعية التي مزقتها أنماط الحياة الحديثة وخاصة في المدن الكبيرة.

وبدأ بعض الخبراء يصفون وسائل التواصل الاجتماعي بأنها "وباء صحي" رغم إقرارهم بأنها يمكن أن تؤدي إلى مشكلات نفسية وعقلية لدى بعض الشباب، بسبب الاستخدام المفرط الذي يصل إلى الإدمان.

وأكدوا أن هذا الأفق الاجتماعي الذي تقدمه التكنولوجيا يحمل أيضا في فضاءاته علاجات وحلولا لما يعانيه البعض من أمراض وضغوط نفسية. ويعني ذلك أن وسائل التواصل الاجتماعي لها جانب مشرق يستحق التأمل قد يضاهي جميع ما يذكر عن مخاطرها.

وتنسجم هذه الآراء الجديدة مع الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي، حيث يصل عدد مستخدمي فيسبوك لوحده إلى أكثر من ملياري شخص، ناهيك عن العشرات من المواقع الأخرى.

ويمكن لأي مستخدم لتلك المواقع أن يقدر ببساطة أن الغالبية العظمى لأولئك المستخدمين منسجمة تماما مع دور وسائل التواصل الاجتماعي في حياتها بدليل مواظبتها على استخدامها، في مقابل نسبة صغيرة تؤثر عليها تلك الوسائل بشكل سلبي.

آراء المستخدمين

تحفل المواقع يوميا بآراء الملايين من المستخدمين التي تثني على وسائل التواصل الاجتماعي في إدامة تواصلهم مع أصدقائهم وعوائلهم بعد تباعد المسافات، وهو ما يؤكد دورها المحوري الإيجابي في حياتهم.

وفي العديد من الدراسات الحديثة في السنوات الأخيرة، انصب تركيز علماء النفس وفرق الباحثين على تحليل ظواهر الفضاءات الإلكترونية على سلوك المستخدمين، في محاولة للبحث عن إجابات على الكثير من الأسئلة الجديدة التي تقدمها أنماط الحياة الحديثة بشأن الصحة النفسية للأفراد والشعوب.

برايديان أوديا:
مواقع التواصل الاجتماعي تقدم الكثير من الدعم للأشخاص الذين يعانون من ضغوط وتوترات نفسية

Pew Research Center

مركز بيو للدراسات:
النساء يشعرن بالتوتر والضغوط النفسية أكثر من الرجال عند استخدام مواقع التواصل الاجتماعي

ونجحت بعض التجارب العملية التي شملت وراقبت سلوك أعداد كبيرة من المستخدمين في التمييز بين الأشخاص المعرضين للإصابة بالاكتئاب والأمراض النفسية عن غيرهم بدقة عالية.

كما تمكن الباحثون من رصد العلامات الأولى لإمكانية الإصابة باضطرابات نفسية لدى تسع من بين نحو عشر حالات قبل ظهور وتشخيص تلك الحالات النفسية فعليا بفترة طويلة.

وركز العلماء في أبحاثهم على المفردات الإيجابية والمفردات السلبية بشكل خاص، كونها من أقوى المؤشرات للتنبؤ بإمكانية الإصابة بالاكتئاب وأمراض نفسية أخرى، إضافة إلى مؤشرات أخرى مثل زيادة عدد الكلمات في المنشورات والتغريدات بشكل مبالغ فيه.

وتشير نتائج الأبحاث إلى أن إمكانية الكشف عن مظاهر الإصابة بالأمراض النفسية في الحالات التي تتطلب العلاج قبل فوات الأوان، تعد ميزة إضافية تتيحها وسائل التواصل الاجتماعي ويصعب بلوغها من دونها.

ويؤكد الباحثون أن الفائدة الكبرى لوسائل التواصل الاجتماعي تكمن في أنها قدمت أثرا إيجابيا هائلا على الصحة العامة والعقلية، تتمثل في عملية التنفيس عن الآلام والمشاعر المكنونة في النفوس.

وذكروا أنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من دورة حياتهم اليومية من خلال الكتابة ونشر الصور والمناسبات والأحداث الاجتماعية. وأكدوا أنها توفر لمعظم المستخدمين قدرا كبيرا من الراحة النفسية.

وسيلة لتخفيف التوتر

يرى البعض من المعالجين النفسيين أن التعبير عن الحزن والتنفيس عن الإحباط الداخلي أمر مهم، حتى يكون بمقدور المرء تجاوز الأوقات العصيبة والتركيز بشكل مثمر على الخطوات اللاحقة في حياته.

ويقولون إن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت متنفسا يقلل من تراكم الاحتقان وانفجاره في انفعالات قاسية مثل الصراخ أو تحطيم الأشياء أو تصعيد المواجهات مع الغير إلى حد استخدام العنف.

وأكدوا أن اللجوء إلى الكتابة التعبيرية أصبح يعد من أحدث طرق العلاج النفسي، لأن بإمكانها أن تنفس الكبت والمعاناة التي يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية.

كما يمكنها تخليص الذين يعانون من التوتر ومن شأنها أيضا تخليصهم من الشحنة الانفعالية الزائدة، وربما تفوق أهميتها كوسيلة لتنظيم المشاعر، أهميتها كوسيلة لحل المشكلات التي وقعت في الماضي.

ولا يعد هذا التوجه جديدا في علم النفس، حيث يعود إلى عام 1986، حين توصل أستاذ علم النفس الاجتماعي الأميركي جيمس بينبيكر إلى اكتشاف مدهش دفع من خلاله جيلا من الباحثين إلى إجراء العشرات من الدراسات.

وتمحورت فلسفة بينبيكر على حث الطلاب على أن يكتبوا لمدة 15 دقيقة عن أكبر صدمة تعرضوا لها في حياتهم، أو أصعب وقت مروا به إذا لم يكونوا قد تعرضوا لصدمة كبيرة من قبل.

ونصح الطلاب بأن يطلقوا العنان للأفكار الدفينة، ويعبروا عنها على الورق، حتى لو لم يكونوا قد باحوا بتلك الأفكار لأحد من قبل. وطلب منهم تكرار تلك الطريقة من الكتابة على مدار أربعة أيام.

واكتشف بينبيكر أن الطلاب الذين أفصحوا عن مكنون مشاعرهم عن طريق الكتابة، انخفض عدد زياراتهم إلى الأطباء في الأشهر اللاحقة بشكل لافت للنظر.

ومنذ ذلك الحين، تحاول بعض الدراسات النفسية دراسة العلاقة بين ما يعرف بالكتابة التعبيرية والأوقات العصيبة في حياة الناس، إلا أن الملفت للنظر، في ظل الثورة الرقمية التي شهدها القرن الحادي والعشرين، أن فضاءات التواصل الاجتماعي قد عوضت الورقة والقلم اللذين كانا حتى وقت قريب الوسيلة الوحيدة للتعبير.

آثار سلبية

أظهرت عدة أبحاث أن موقعي فيسبوك وتويتر ليسا مجرد منصتين لنشر الصور والمنشورات، بل من الممكن أن يستخدما كميدان واسع للعلماء والباحثين لدراسة وفهم بعض أسرار السلوكيات البشرية.

في عام 2015 سعى باحثون في مركز "بيو" للدراسات ومقره العاصمة الأميركية واشنطن، إلى معرفة ما إذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي تزيد من حدة التوتر لدى المستخدمين أكثر مما تخففها.

وأظهر الاستطلاع الذي أجراه المركز، وضم عينة تتكون من نحو 1800 شخص، أن النساء عبرن عن شعورهن بالتوتر والضغوط النفسية أكثر من الرجال، عند استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

وتوصل الباحثون أيضا إلى أن موقع تويتر يعد مساهما قويا في ذلك الشعور، لأنه يزيد من وعي المستخدمين بالتوتر الذي يتعرض له أشخاص آخرون، لكنهم وجدوا كذلك أن موقع تويتر يمكن أيضا أن يكون وسيلة للتكيف مع التوتر والقلق، وبالتالي يساعد في التخفيف منهما.

وأظهرت النتائج أنه كلما تواصل استخدام النساء للموقع أكثر، كلما تراجعت حدة التوتر، لكن نفس الأثر لم يُسجل لدى الرجال. ورجح الباحثون أن الرجال أقل ارتباطا بمواقع التواصل الاجتماعي مقارنة بالنساء.

وإجمالا، انتهى الباحثون في هذا الاستطلاع إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي ترتبط بمستويات أقل من التوتر الذي يشيع الحديث عنه.

وفي النمسا توصل فريق من الباحثين في عام 2014 إلى نتائج أكثر إيجابية تؤكد أن المنشورات السعيدة على مواقع التواصل الاجتماعي تُحدث تأثيرا كبيرا وقويا. وأظهرت النتائج أن كل منشور إيجابي يلهم في المعدل نحو 1.75 منشور إيجابي آخر ما يؤدي تدريجيا لاتساع ذلك الأثر.

ورغم كل تلك النتائج فإن فكرة أن مواقع التواصل الاجتماعي قادرة على إحداث تغيير إيجابي وحقيقي في الحالة المزاجية للمستخدمين، مازالت غير قطعية.

انقسام آراء الباحثين

لا يوجد حتى الآن إجماع بين علماء النفس والباحثين والمرضى على أن التفاعل والتغريد على منصات التواصل الاجتماعي، يمكن أن يساعدا في رفع مزاج الأشخاص ممن يعانون من توترات ومشكلات نفسية.

وتؤكد برايديان أوديا الباحثة في مجال الصحة العقلية في معهد "بلاك دوغ" الأسترالي، على وجود تفسير علمي دقيق أو ارتباط مباشر بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والميول الانتحارية والمشكلات النفسية التي يعاني منها بعض الشباب.

لكنها في المقابل لا تعتقد أن الرأي الشائع الذي يشير إلى ضرورة أخذ استراحة من مواقع التواصل الاجتماعي لتحسين الحالة النفسية، صحيح بنسبة كبيرة على الإطلاق.

وأكدت أوديا وجود فوائد لما ينشره الأشخاص على مواقع التواصل الاجتماعي، بما في ذلك المنشورات والمشاركات والصور، وذلك من ناحية التعامل مع التوترات والمشكلات النفسية المحتملة.

وشددت في الدراسة التي أجرتها في عام 2017 على أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تكون مرهقة في بعض الأحيان، إلا أنها تقدم الكثير من الدعم النفسي والحيوي لأي شخص يعاني من ضغوط وتوترات ومشكلات تتعلق بالصحة النفسية.

ولكن سواء كانت تلك المواقع إيجابية وتساهم في تحسن الصحة النفسية أو كانت سلبية وتؤدي إلى اضطرابات سلوكية، فإن التواصل الإنساني الحقيقي وليس الافتراضي والفضفضة المباشرة وليس على الشاشات ستظل عملية صعبة لا تقدر بثمن. ويرى الكثير من الباحثين أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت حاجة حتمية تملأ فراغا كبيرا بعد أن تقلصت مساحة اللقاءات الاجتماعية التقليدية بسبب أنماط الحياة الحديثة في المدن المزدحمة. ورغم كل الحديث عن المشكلات النفسية الناجمة عن الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، فإن ذلك لا يعني أن تلك الحالات لم تكن موجودة قبل عقدين من الزمان، بل إنها أصبحت بادية للعيان أكثر من أي وقت مضى.

وجود آثار نفسية سلبية لاستخدام مواقع التوصل الاجتماعي قد لا يعني سوى أنها أظهرت تلك الأمراض التي كانت خافية عن الرصد والمتابعة

تمارين الضغط تقوي العضلات والقلب

التدرب بانتظام يعزز نشاط الدورة الدموية

القدرة على أداء تمارين الضغط مؤشر على صحة القلب

تعد تمارين الضغط من التدريبات الشاقة ويتطلب إتمامها قدرة جسمانية عالية، لكن لا يعني ذلك أنها حكر على ذوي اللياقة العالية، حيث يمكن للمبتدئين التدرب على أدائها بشكل تدريجي وبشدة منخفضة حتى تكتسب أجسامهم القوة اللازمة لممارستها.

❏ **برلين** – كشف عدد من مدربي اللياقة والأطباء أن القدرة على إكمال تمرين الضغط 40 مرة تعني امتلاك قلب قوي لا يمرض.

وتوصلت دراسة حديثة، نشر نتائجها موقع دويتشه فيله الألماني، إلى أن القدرة على ممارسة تمرين الضغط تعتبر مؤشرا على صحة القلب والأوعية الدموية. واعتمدت الدراسة على تقييم بيانات اختبارات اللياقة البدنية للعديد من الأشخاص في فترة زمنية طويلة.

يقول خبراء في مجال الطب الرياضي إن القدرة على القيام بتمرين الضغط من عدمها يمكن أن تصبح مؤشرا على قياس صحة القلب بالخصوص. وأوضحوا، في تقرير نشر في صحيفة إندبندت البريطانية، أن الرجال في منتصف العمر الذين لا يستطيعون إكمال عشرة تمارين ضغط يرتفع خطر إصابتهم بأمراض القلب والسكتة الدماغية.

> الذين يمارسون نشاطا بدنيا مرة واحدة في الأسبوع على الأقل يكونون أكثر سعادة من الذين لم يمارسوا أي نشاط

وربطت الدراسة الصادرة عن جامعة هارفارد بين القدرة على القيام بتمرين الضغط لأكثر من أربعين مرة خلال دفعة واحدة وبين انخفاض خطر التعرض لأمراض القلب والأوعية الدموية بنسبة 96 بالمئة خلال السنوات العشر المقبلة.

واعتمدت النتائج على تقييم بيانات من اختبارات اللياقة لأكثر من ألف رجل تتراوح أعمارهم بين 21 و66 عاما في ولاية إنديانا الأميركية، وذلك في الفترة الممتدة بين سنتي 2000 و2007، إذ تم استخدام السجلات الطبية لهؤلاء الأشخاص بهدف معرفة صحة القلب والشرايين.

وقال المشرف على الدراسة جاستن يانغ، من كلية هارفارد للطب، إن النتائج التي تم التوصل إليها في الدراسة توضح أن القدرة على ممارسة تمارين الضغط ربما تساعد على تقييم مخاطر أمراض القلب والأوعية الدموية.

كما تشير الكلية الأميركية للطب الرياضي إلى أنه يمكن للإنسان البدء بملاحظة التقدم على حجم عضلاته وقوتها واختلاف شكل جسده عند ممارسة تمارين الضغط التقليدي من بين مجموعتين إلى أربع مجموعات، بشرط أن تتراوح عدد التكرارات في كل مجموعة ما بين الـ8 والـ15 تكرارا، وبالطبع يمكن زيادة المجموعات أو التكرارات، بحسب القدرات الرياضية لكل شخص.

وكانت دراسة سابقة نشرتها مجلة "السعادة" (ذو جورنال أوف هابنيس)، قد توصلت إلى أن أولئك الذين يمارسون نشاطا بدنيا مرة واحدة في الأسبوع على الأقل يكونون أكثر سعادة من الأشخاص الذين لم يمارسوا أي نشاط بدني.

وأضافت الدراسة نفسها الصادرة عن جامعة ميتشغان أن ممارسة الرياضة ترفع من مستوى الصحة النفسية الإيجابية للناس، فضلا عن مساهمتها في التقليل من بعض المشاعر السلبية مثل الاكتئاب والقلق.

تساهم تمارين الضغط في تحديد وتقسيم عضلات الجسم، خاصّة في منطقة البطن والأكتاف، وكذلك لدى الأشخاص الذين يريدون بناء عضلات اليدين والأكتاف، حيث أن تمرين الضغط يساعد في تقوية عضلات اليدين والبطن والصدر، وبناء الأجسام عند الرياضيين.

ويعتمد تمرين الضغط على الاستلقاء على البطن بشكل مستقيم، مع الحفاظ على حياد واستقامة العمود الفقري، ثم يقوم المتدرب بالنزول على البطن بالاعتماد على الذراعين والضغط عليهما، ما يولد زخما كبيرا في تلك المنطقة، ويزيد من قوة تلك العضلات في منطقتي الذراعين والكتفين والصدر والظهر أيضا.

كما تساعد تمارين الضغط على تقوية العضلة ثنائية الرؤوس وعضلات أسفل الظهر، وتقوية عضلات الركبتين، وتقوية أوتار الركبة والعضلات الرباعية.

وتزيد تمارين الضغط وزن الجسم بسبب تأثيرها الإيجابي على الدورة الدموية وعملية التمثيل الغذائي، حيث يساعد هذا النوع من التمارين في تنشيط عمل الرئتين وتسريع دوران الدم في الأوعية الدموية حاملا معه كميات أكبر من الأوكسجين والغذاء إلى الخلايا، الأمر الذي يسهم في نموّ الخلايا وانقسامها بشكل أفضل وأسرع، والزيادة في حجم العضلات في مختلف مناطق الجسم.

كما أنّ ممارسة تمارين الضغط تزيد من ضخ هرمون النمو في الجسم، وهو الهرمون المسؤول عن نمو العضلات، أما الزيادة التي تحدث في الوزن هنا فتكون زيادة في كتلة العضلات المشكّلة للجسم، أي زيادة في الكتلة العضليّة للجسم وليست زيادة في نسبة دهون الجسم، لذلك فهي تعد زيادة وزن صحية، ويمكن ملاحظتها من خلال زيادة حجم العضلات ووضوح خطوطها وتقسيماتها.

يقول مدربو اللياقة إن هناك الكثير من التقنيات التي يمكن إضافتها إلى تمارين الضغط لتجعلها أكثر فاعلية وقوة، ومن بينها:

- استخدام الكرة في تمارين الضغط، وذلك بوضع كل يد على حدة على الكرة أثناء ممارسة تمرين الضغط والقيام بأداء التمرين بيد على الأرض والأخرى فوق الكرة ثم تغيير مكان الكرة إلى اليد الأخرى والقيام بنفس عدد التكرارات.
- تمرين اليد الواحدة وهي طريقة تتناسب مع المحترفين دون غيرهم وتعد الأقوى والأصعب على الإطلاق والأكثر فاعلية بالنسبة إلى عضلات الساعدين والصدر والكتف وخاصة عضلات الذراع.
- تمرين رفع الساق وهي طريقة يتم فيها رفع الساق إلى الأمام ولها عدة مميزات، فهي تستهدف عضلات الفخذ الخلفية وعضلات الظهر السفلية والساقين وتمدد أوتار الركبة، كما أن الوضع المنحني إلى الأمام للجسم يزيد الضغط وصعوبة التمرين على عضلات الصدر والكتف إلى جانب عضلات الذراع، وهو ما يحقق نتائج أفضل.
- تمرين الضغط مع التصفيق ويقتضي في كل مرة أن يرتفع المتدرب ثم يصفق ويعيد يديه إلى الأرض مجددا، وبالتأكيد سيحتاج إلى المزيد من التوازن والتركيز للرجوع إلى وضع البداية من جديد.

جدير بالذكر أنه رغم الفوائد الكثيرة لتمارين الضغط تظل هذه التدريبات خطرة بعض الشيء على الذين لم يقوموا ببعض التمارين الإحمائية وللمبتدئين الذين يجهلون سبل السلامة عند ممارستها.

التمارين المتقطعة تحرق سعرات أكثر من الركض

❏ **لندن** – تشير مراجعة بحثية إلى أن ممارسة مجموعة متنوعة من التمرينات الرياضية المكثفة مع الحرص على فترات راحة وجيزة تتخللها، ربما تساعد على خسارة الوزن أكثر من الركض بوتيرة ثابتة على جهاز المشي أو ركوب الدراجة الثابتة في صالات الألعاب.

وغالبا ما ينصح الأطباء من يحاولون خسارة الوزن بالتركيز على خفض السعرات الحرارية وزيادة نشاطهم البدني. لكن باحثين كتبوا في الدورية البريطانية للطب الرياضي يشيرون إلى أن النموذج الأمثل للتمرينات والقدر الكافي منها للوصول إلى الوزن المثالي ليس واضحا.

وفي إطار بحثهم الحالي، فحص الباحثون بيانات 41 دراسة أصغر قارنت نتائج خسارة الوزن بعد ما لا يقل عن أربعة أسابيع إما من التمرينات الرياضية المتقطعة أو البرامج التدريبية المستمرة ومتوسطة الشدة، مثل الركض أو ركوب الدراجات أو السير بخطى حثيثة.

وانخفضت أوزان الرجال والنساء المشاركين في الدراسات كما تراجعت الدهون في أجسامهم بفضل هذين النوعين من النشاط البدني بغض النظر عن وزنهم عند بدء ممارسة التدريبات.

وقال باولو جنيتل كبير الباحثين في المراجعة وهو من الجامعة الاتحادية في جوياس بالبرازيل "لا تتعلق خسارة الوزن بعدد السعرات الحرارية التي تحرق خلال التمرينات فحسب ولكن أيضا برد فعل الجسم خلال الساعات والأيام التي تلي التمرينات".

وأضاف في رسالة بالبريد الإلكتروني "وجدنا أن التمرينات المتقطعة تزيد من خسارة الدهون وأن تمرينات السرعة المتقطعة ربما تكون فعالة للغاية في هذا الصدد".

واستمرت جلسات التمرينات المتقطعة 28 دقيقة في المتوسط مقارنة بـ18 دقيقة فقط لجلسات تمرينات السرعة المتقطعة و38 دقيقة من التمرينات المستمرة المتوسطة.

وتتنوع برامج التمرينات الرياضية، لكن أكثرها شيوعا هي التمرينات المكثفة المتقطعة التي يستغرق كل منها أربع دقائق وتتخللها فترات راحة لمدة ثلاث دقائق.

وخلال الستينات، قام طبيب القلب الأميركي فوجن سمودلاكا بتطبيق التمارين الرياضية المتقطعة على عشرات من مرضاه فجاءت النتائج إيجابية وخالية من الإصابات، تماما مثل التمارين الرياضية المستمرة، بل اتضح أن ممارسة الرياضة المتقطعة تعدّ أكثر فاعلية.

وفي عام 2012 حملت دراسة دولية مشتركة، جمعت باحثين من فرنسا وكندا وسويسرا، معطيات تقول إن التمارين الرياضية المتقطعة العالية الشدة هي الأكثر ملاءمة لمرضى القلب لأنها تحسّن استهلاك الأوكسيجين، وتجعل الشرايين أكثر مرونة، وتعزز قدرة القلب على ضخ الدم وسريانه في الأوعية.

ولا تفيد التمارين الرياضية المتقطعة أصحاب القلوب المصابة فقط، فالذين يشكون من أمراض الرئة الانسدادية، مثل مرضى الربو والتهاب القصبات المزمن وتغبّر الرئة، والذين لا يتحملون التمارين الرياضية طويلة الأمد، يمكنهم ممارسة الرياضة المتقطعة، مع معاناة أقل من اللهاث والإجهاد.

وحول تأثير علاقة الرياضة بأرقام ضغط الدم، كشف مدير مركز البحوث الخاصة بأنماط الحياة في جامعة أريزونا الأميركية، الدكتور غلين غيسير، أن ممارسة الرياضة المجزأة لفترات قصيرة في اليوم الواحد لها أثر طيب على الصحة العامة ومعدلات التوتر الشرياني.

> ممارسة الرياضة المجزأة لفترات قصيرة في اليوم الواحد لها أثر طيب على الصحة العامة ومعدلات التوتر الشرياني

ويستطيع مرضى الداء السكري أن يجدوا منفعة كبيرة من ممارسة التمارين الرياضية المتقطعة التي تساعد على زيادة حساسية الخلايا تجاه هرمون الأنسولين وعلى رفع قدرتها على استهلاك الأوكسيجين وحرق المزيد من السعرات الحرارية. ولفتت دراسة دانماركية إلى أهمية هذه التمارين في ضبط مستوى السكر في الدم.

كما كشف باحثون بولنديّون أن التمارين الرياضية المتقطعة تفيد المصابين بداء باركنسون الذين يعانون صعوبات في تحريك أذرعهم وأرجلهم. وقد لاحظوا أن القيام بهذه التمارين 3 مرات أسبوعيا على مدى 8 أسابيع يحسّن وظائف أعضاء الجسم السفلى والعليا.

ووفقا لدراسة أجراها باحثون أستراليون، فإن التمارين الرياضية المتقطعة تساهم في تخليص الجسم من الدهون وفي السيطرة على كميات الطعام المستهلكة، وقد تم تفسير النتائج بأن هذا النوع من التمارين يقلل مستوى الهرمونات المحفزة للجوع.

الراحة والإحماء عاملان أساسيان لتجنب إصابات الغولف

❏ **دبي** – يتعرّض لاعبو الغولف للكثير من الإصابات في مناطق أسفل الظهر والمرفقين والقدمين والكاحلين والكتفين وكلما اتبعوا نظاما غذائيا جيّدا وحصلوا على قسط كاف من الراحة، وحرصوا على الالتزام بالعملية الإحمائية، قل تعرضهم للإصابات التي قد تكون شديدة العواقب.

وعلى الرغم من أن لعبة الغولف لا تتطلب مجهودا كبيرا إلى حد ما، لا يزال لاعبو الغولف يتعرضون لإصابات. والمناطق الأكثر عرضة للإصابة هي أسفل الظهر، والتي تمثل أكثر من 18 بالمئة من إصابات الغولف، والمرفقين (أكثر من 17 بالمئة)، والقدمين والكاحلين (حوالي 13 بالمئة)، والكتفين (حوالي 12 بالمئة) والمعصمين.

وقال سيباستيان جروس، لاعب الغولف المحترف وأحد عناصر فريق الغولف الفرنسي، أثناء زيارة قام بها مؤخرا إلى مركز نانو أم، وهو مركز تقييم صحي مستقل "الغولف رياضة ممتازة لجميع الأعمار ولكن، مثلها كأي رياضة أخرى، يكون اللاعبون فيها عرضة لخطر الإصابة".

وأضاف سيباستيان "يمكن لكل إصابة أن تؤدي إلى إصابة أخرى؛ فإذا أصيبت ركبتك، فقد تؤثر هذه الإصابة أيضا على الفخذين. لذلك من المهم إجراء تحليل شامل لتحديد جميع المناطق التي بها مشكلات".

وكان برفقة سيباستيان مدربه ومديره الرياضي فرانك لورنزو فيرا، ولاعبو الغولف المحترفون: غاري ستال، وفيكتور ريو، وبنيامين هيبرت، وفريديريك لاكروا، والمدرب الرياضي والشخصي بينجامين أنورغا.

> رغم أن لعبة الغولف لا تتطلب مجهودا كبيرا إلى حد ما، لا يزال لاعبو الغولف يتعرضون لإصابات كثيرة

يقدم مركز نانو أم خدمة إجراء تقييم شامل لكل إصابة رياضية. وعندما يقوم الخبراء بتقييم لاعبي الغولف، فإنهم يبحثون عن صلابة العضلات والأوتار والمفاصل. ويمكن لمعمل تقييم الأداء الرياضي والحيوي المتطور الموجود في مركز نانو أم أن يساعد بالكشف عن المشكلات الطبية القائمة والمحتملة.

وقال الدكتور هيرفيه أوانيزار، استشاري جراحة العظام في مركز نانو أم "الغولف رياضة رائعة، ولكن أغلب لاعبي الغولف المحترفين والمستقبليين قد يتعرضون لإصابة في مرحلة ما من حياتهم المهنية. وتكمن المشكلة الأكبر في أنهم لا يدركون حاجتهم إلى مرونة وقوة جيدة من أجل تجنب الإصابة".

وأضاف الدكتور أوانيزار "لاحظنا أن معظم اللاعبين الذين تحدث لهم إصابات لا يتبعون نظاما غذائيا صحيا، وهم لا يحصلون على قسط كاف من الراحة ولا يمارسون تمارين الإحماء؛ فالإحماء عامل مهمٌ للغاية في ممارسة أي رياضة، فهو يقلل من خطر التعرض للإصابة.

ويحظى عامل الراحة بنفس القدر من الاهتمام؛ فالرياضيون المحترفون عادة ما يأخذون يومين للراحة".

ومن العوامل الأخرى التي يمكن أن تسهم في حدوث إصابات عند ممارسة رياضة الغولف هي ضعف ميكانيكا التأرجح، والإفراط في ممارسة الرياضة، وإمساك المضرب بشكل غير صحيح.

ولتجنب إصابات الغولف، يوصي الدكتور أوانيزار بتمارين الاستطالة؛ ففي رأيه، يجب على الناس الذين يرغبون في لعب هذه الرياضة بشكل جيد ممارسة تمارين الإحماء مع التناوب بين الفخذين والأطراف العلوية والجزء العلوي من الجسم وحركات الرسغ.

تجدر الإشارة إلى أن رياضة الغولف تتمتع بشهرة عالمية؛ فوفقا لإحدى الدراسات، فإن أكثر من 50 مليون شخص من مختلف الفئات العمرية يمارسون هذه الرياضة التي لها أثر إيجابي على الصحة العقلية والجسدية، ومن شأنها زيادة قوة التحمل العضلي والقدرة على التحمل لدى اللاعبين.

نزيف الأدمغة يفرغ المغرب من الطاقات الشابة

البرامج الحكومية فشلت في استعادة الطلاب بعد إيفادهم للدراسة

يعتبر المغرب من أكثر الدول التي تعاني من نزيف الأدمغة الشابة، حيث يرفض غالبية الطلاب الذين يدرسون في أوروبا وأميركا الشمالية العودة للبلاد في ظل انعدام الأفق فيها بالنسبة إلى الكفاءات وحملة الشهادات العليا، فيما تبدو خطط الحكومة لاستقطابهم وإدماجهم في القطاعات المختلفة خجولة ولا ترقى لطموحاتهم.

المغرب يفتقد شبابه المؤهل

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

❏ يقول فيصل (32 عاما)، الذي فضّل عدم الكشف عن اسمه كاملا، ويعمل مهندسا في إسبانيا "بعد أكثر من عشر سنوات قضيتها في إسبانيا، شهدتُ خلالها التطور في مختلف مجالات الحياة، يصعبُ عليّ اتخاذ قرار العودة إلى بلدي، لاسيما أنني في كل إجازة صيفية أرى أن الأمور لم تتطور قيد أنملة، بل على العكس يزداد الوضع سوءا، ولا أرى أي أمل في المستقبل القريب لتحسن الأوضاع .

ويضيف "لا مكان لتكافؤ الفرص ولا للمساواة أو العدل أو العمل، أي كل ما كنا نحلم به في المغرب".

وفيصل هو واحد من آلاف الشباب المغاربة الذين ذهبوا للدراسة خارج البلاد في أوروبا والولايات المتحدة، وقرروا عدم العودة للعمل فيها، حتى باتت ظاهرة عامة ومشكلة في المغرب تستنزف الطاقات الشابة المؤهلة لرفع عجلة التنمية وتؤرق المسؤولين.

ومؤخرا باتت هجرة الأدمغة المغربية الشابة مثار جدال ونقاش موسع داخل الأوساط الثقافية والإعلامية وعلى مستويات رسمية بعد ازديادها وتفاقمها، حيث كشفت دراسة حديثة أن المغرب أصبح ثاني بلد في شمال أفريقيا والشرق الأوسط يعرف أعلى معدل لهجرة الكفاءات.

برنامج فينكوم

في محاولة لوقف استنزاف الأدمغة المغربية أطلقت الحكومة المغربية برنامجا يسمى "فينكوم" منذ عام 2007 يرمي إلى استقطاب الشباب من الخارج، ودمجهم في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي والأعمال في المغرب.

وأكد سعيد أمزازي وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، أن المغرب يعمل جاهدا على تنفيذ مجموعة من الإستراتيجيات لوقف هذا النزيف، منها برنامج "فينكوم" كفضاء دولي للكفاءات المغربية المقيمة بالخارج.

ويشكّل برنامج "فينكوم" أداة لربط علاقات مؤسساتية مع الكفاءات المغربية بالخارج وخلق قاعدة معطيات عن الكفاءات المغربية، وكذلك عن القطاعات العمومية والخاصة بالمغرب لدعم البحث والتنمية والتكوين، ونقل التكنولوجيا والمعرفة العلمية، والمساعدة بالخبرة في بلورة إستراتيجيات قطاعية للتنمية وتقييم مشاريع وبرامج البحث وجذب الاستثمارات وشراكات العمل.

وهذه الظاهرة لفتت انتباه أعلى سلطة بالمغرب، حيث أشار العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطاب ثورة الملك والشعب في أغسطس 2018، إلى أن العديد من الشباب، خاصة من حاملي الشهادات العليا العلمية والتقنية، يفكرون في الهجرة إلى الخارج، ليس فقط بسبب التحفيزات المغرية هناك، وإنما أيضا لأنهم لا يجدون في بلدهم المناخ والشروط الملائمة للعمل، والترقي المهني، والابتكار والبحث العلمي".

وأضاف "أنها نفس الأسباب التي تدفع عددا من الطلبة المغاربة بالخارج لعدم العودة للعمل في بلدهم بعد استكمال دراستهم".

كشفت الدراسة التي نشرتها الجامعة العربية العام الماضي أن حوالي 50 ألف طالب مغربي يواصلون دراستهم في الخارج، وأن هناك حوالي 200 ألف خبير مغربي في مجالات مختلفة اختاروا العمل خارج بلادهم.

وذكرت دراسة أخرى أجراها مؤخرا موقع "روكريت"، الرائد في مجال التوظيف، أن 91 في المئة من الخريجين المغاربة يحلمون بمغادرة البلد والعثور على فرصة مهنية في الخارج، لأنهم يعتقدون بأن الهجرة من المغرب ستساعدهم في الارتقاء والتطور في مسارهم المهني.

وفي هذا الإطار يقول هشام معتضد، الأستاذ والباحث في العلوم السياسية والإستراتيجية في كندا، في تصريح لـ"العرب"، إن الحكومة المغربية تتعامل بنوع من الاستخفاف مع ظاهرة هجرة الأدمغة، خاصة وأن المغرب اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، يجب أن يحرص على الحفاظ على الكفاءات الوطنية وعلى إعطائها المكانة التي تليق بها بتهيئة المناخ المهني والاجتماعي، لأنها تشكّل عماد الآليات القطاعية التي ستدفع بالمغرب لرفع التحديات الراهنة على كافة المستويات. وطالب معتضد الحكومة المغربية بأن تتعامل بمسؤولية وطنية للحد من ظاهرة هجرة الأدمغة، وشدد أن "عليها العمل بجدية لجلب الخبراء والكفاءات المغربية المقيمة بالخارج لإدماجها والمساهمة في الدفع بعجلة التنمية. فالرأسمال البشري يعدّ أساس التنمية المجتمعية والاقتصادية للبلدان وخزان الذاكرة المشتركة الذي يشكّل استمرارية النواة الفعلية لأي ازدهار وطني".

مستقبل البلاد بيد الشباب الأكاديمي

واعتبر فريق الاتحاد المغربي للشغل، داخل البرلمان أن البرامج الحالية لم تفلح بعد في وقف أو التقليل من هذا النزيف، وذلك بسبب ما لخصه في عدم مواكبة الخريجين وضعف غياب الإرادة السياسية وضعف الأجور، بالإضافة إلى تفشي المحسوبية والاحتقان الاجتماعي والتضييق على الحريات.

مسؤولية مشتركة

وأكدت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، أن هجرة الكفاءات المغربية نحو الخارج تعدّ مسؤولية مشتركة بين عدة قطاعات وزارية، تقتضي المزيد من التعبئة الوطنية للارتقاء بالنسيج الاقتصادي وإنجاح النموذج التنموي الجديد الذي تسعى البلاد إلى تحقيقه.

ووفقاً لإحصائيات الفيدرالية المغربية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والأوفشورينغ (FMTI)، فإن المعاهد المغربية تقوم بتخريج حوالي 8000 خبير في مجال تكنولوجيا المعلومات كل عام، لكن ما بين 10 و20 بالمئة منهم يهاجرون إلى الخارج، حتى إن كان سوق العمل بالمغرب في أمسّ الحاجة إليهم.

وقال الوزير أمزازي إن ارتفاع عدد الكفاءات المغربية المصدرة إلى الخارج وتصنيف المغرب كثاني بلد في شمال أفريقيا والشرق الأوسط يصدّر الكفاءات، مؤشر جيد يعكس "جودة التكوين والتعليم" الذي مكننا من تكوين مهندسين وأطباء وباحثين تتهافت الدول عليهم. ما جعل البعض يقول إن هذا تشجيع للكفاءات نحو الخارج".

هذا التصريح دفع الوزارة للتوضيح أن سعيد أمزازي حين اعتبر أن هجرة الأدمغة والكفاءات المغربية إلى الخارج مؤشر على جودة التعليم بالمغرب، لم يسعَ بتاتا إلى تشجيع الكفاءات الوطنية على الهجرة، وإنما كان القصد من كلامه هو أن الإقبال على هذه الكفاءات من قبل دول أوروبا وأميركا وآسيا، يعكس جودة التكوينات التي تتوفر عليها، ولو لم يكن مشهودا له بالكفاءة والجودة في التكوين لما ازداد الطلب والإقبال عليها".

ويرى معتضد أن هجرة الأدمغة تؤثر على المغرب في العمق على مستوى هيكلة المنظومة التربوية المتعلقة بتأطير ورش التعليم من المستوى الأولي إلى التعليم الجامعي. ففشل السياسات العمومية والإستراتيجيّات الحكومية في هذا القطاع أدى إلى خلل كبير في تدبير قطاع قادر على تزويد سوق الشغل بقطاعيه العام والخاص بمنتوج واقعي يتماشى ومتطلبات التطور السريع لرفع التحديات الراهنة.

بشكل عام يمكن تشخيص الأسباب الحقيقية بخصوص هجرة الأدمغة المغربية، وفق ما ذكر معتضد في تصريحاته لـ"العرب"، في السعي إلى تحسين الوضع الاجتماعي الشخصيّ والأسَري، بالإضافة إلى البحث عن سبل تطوير الذات والمسار المهني، من خلال الأفاق المهنية التي قد تغري الفئة التي اختارت مسار الهجرة لرفع مستوى المردودية المهنية.

وتهاجر الكفاءات المغربية بشكل مكثّف إلى الدول الأوروبية ومنها فرنسا، فعدد الأطباء والمهندسين الذين يقدّمون استقالاتهم ويغادرون بشكل نهائي نحو أوروبا يعدّ بالآلاف، ورغم أن المغرب بأمس الحاجة إلى كفاءاتهم، لكنهم يفضلون البحث عن مكان آخر يؤمّن لهم الحياة الكريمة والمكانة الاجتماعية والحقوق التي يستحقونها، ويحتلّ المغرب المرتبة الثالثة عالميّا من حيث تصدير الأدمغة إلى أوروبا وأميركا الشمالية.

توفير العمل يضمن بقاء الكفاءات

ويؤكد معتضد، أنه إذا كان المغرب لديه رصيد مهمّ من الأطر العليا والكفاءات المهنية ذات المقاييس الدولية، فإن غياب العدالة المهنية على مستوى تكافؤ الفرص في تحمل المسؤولية، وغياب الشفافية التنافسية على المستوى المهني، قد يدفع الخبراء والمهنيين المغاربة إلى اختيار باب الهجرة.

هشام معتضد

المغرب اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، يجب أن يحرص على الكفاءات الوطنية

أضاف معتضد أن الهجرة أصبحت كمنفذ يتيح لهم نوعا من الآمال على مستوى تحقيق الأهداف المهنية، في بيئة قد تضمن على الأقل أدنى مستويات الاستحقاق في تحمّل المسؤوليات وتدبير القطاعات.

يوم المهاجر

نظرا إلى عدد المهاجرين المغاربة الكبير في الخارج، تحيي الوزارة المكلّفة بالمغاربة المقيمين بالخارج وشؤون الهجرة، اليوم الوطني للمهاجر في العاشر من شهر أغسطس من كل سنة، وكان شعار العام الماضي "أي أدوار للكفاءات المغربية المقيمة بالخارج في تنمية الاقتصاد الوطني".

وقالت الوزارة في بيان أنه نظرا إلى الدور الذي يلعبه مغاربة العالم للمساهمة في الاقتصاد الوطني وفي التنمية بمختلف أبعادها، فقد وقع الاختيار على موضوع دور هذه الفئة، وخاصة منها الكفاءات، في اقتصاد البلاد.

وكانت فرصة للوقوف على ما تم إنجازه في مجال تشجيع مغاربة العالم على المساهمة في تنمية الاقتصاد الوطني، إلى جانب إطلاعهم على أهم الفرص المتاحة أمامهم والمجالات ذات الأولوية في مجال الاستثمار، وذلك من أجل الخروج بمقترحات عملية متوافق حولها، من شأنها تسهيل أداء الكفاءات المغربية بالخارج لأدوارها كاملة في التنمية الواسعة للاقتصاد الوطني.

نساء النهضة الجدد يحملن لواء الدين والمدنية معا

الحديث عن الحريات مناورة أم أن الهوية التونسية غلبت على القيم الوافدة

يدفع تجاوز بعض القيادات النسوية من الجيل الجديد لحركة النهضة لأدبيات الحزب الإسلامي المحافظ إلى التساؤل: هل أن النهضة تناور لإقناع الرأي العام المحلي والدولي أنها باتت حركة مدنية حتى تطمئن على تواجدها السياسي، أم أن نساء النهضة الجدد هن في الحقيقة علمانيات بغطاء رأس ومرد ذلك غلبة الهوية التونسية على القيم الوافدة من حركة الإخوان، وهي مرجعية لكل تيارات الإسلام السياسي بالعالم؟

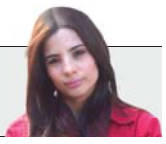

آمنة جبران
صحافية من تونس

❑ **تونس** – جذب الحضور النسوي لحركة النهضة الأنظار إليه منذ انخراط الحركة في الحكم رسميا أعقاب ثورة يناير 2011. واللافت للنظر خصوصا هو الجيل الجديد (جيل ما بعد الثورة)، والذي يبدي انفتاحا وتحررا من قيود المرجعية الدينية التي يحتكم إليها الحزب وصقوره المتشددون.

أربكت الحركة الرأي العام عندما ترشحت سعاد عبدالرحيم، غير المحجبة، لانتخابات 23 أكتوبر 2011 كرئيسة قائمة النهضة في دائرة تونس الثانية الانتخابية، ثم زاد الجدل في الانتخابات البلدية لسنة 2018، عندما ظهرت طبيبة الأسنان سليمة بن سلطان، رئيسة قائمة حركة النهضة بسيدي بوسعيد بجينز ممزق على مستوى الركبتين.

لكن، بين هذين النموذجين، يوجد نموذج آخر، وهو الغالب، والذي يمثل نساء النهضة، ويقدم صورة أكثر إرباكا من شيخة مدينة تونس سعاد عبدالرحيم أو طبيبة الأسنان التي ترتدي أحدث صيحات الموضة، هذا الجيل هو جيل المحجبات اللاتي يدافعن عن قيم الدولة المدنية ومدونة الأحوال الشخصية بما في ذلك رفض تعدد الزوجات، كما أنهن لا يمانعن مصافحة الرجال ولا حديث لهن عن الضوابط الشرعية أو توظيف آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، على غرار "شيوخ" الإسلاميين.

يشبه البعض نساء النهضة بنساء حزب العدالة والتنمية التركي، حيث هناك تشابه في الثقافة التعليمية التي نشأ عليها الطرفان. فأغلب المنتميات إلى حركة النهضة اليوم درسن وفق النظام التعليمي الذي أرساه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، ونشأن في كنف الدولة المدنية التي أرسى قواعدها؛ وبالمثل نشأت الأجيال الجديدة من نساء حزب العدالة والتنمية التركي على المبادئ الأتاتوركية.

ويجد البعض في هذه النشأة مبررا لحالة التناقض الظاهرة في نشوء النهضة وكيف أن الهوية التونسية غلبت على القيم الوافدة، في إشارة إلى المبادئ التي رسختها أدبيات الحركات الإسلامية. وطرح هذا الأمر حالة من الجدل في الشارع التونسي، الذي صدرت إليه الفضائيات إسلاما مختلفا عن ذلك الذي تربى عليه، كما أثار جدلا في الأوساط الإسلامية "الذكورية" الخارجية، وأيضا جدلا آخر في صفوف المعارضين لحكم الإسلاميين والذين يصنفون هذا الجيل النسائي ضمن الآلة الدعائية للحركة الإسلامية.

ومن الأمثلة التي أثارت هذا الجدل، زيارة محرزية العبيدي، القيادية في حركة النهضة والنائب السابق لرئيس مجلس نواب الشعب (البرلمان)، إلى أحد أهم مصانع الخمور في تونس.

ودافعت العبيدي، حينها، وهي أبرز الوجوه النسائية للنهضة، عن زيارتها بالقول إن "هذه المعصرة تمثل نشاطا اقتصاديّا، ومن واجبي أن أزورها وأقدم الدعم لها كمشروع فلاحي هامّ". وكان للناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي رأي آخر، حيث اتهموها بازدواجية الخطاب "باعتبارها قيادية في حزب إسلامي وما قامت به يخالف مبادئ حزبها".

وكشفت أغلب نساء النهضة الجدد عن محدودية ثقافتهن الدينية، أو ربما هو الدور الذي سطر لهن داخل الحركة، حيث يكنّ درجة ثانية، ودورهن لا يتجاوز إضافة الألوان على صورة الحركة الإسلامية في بلد حقوق المرأة فيه مقدسة. ونتيجة لذلك، تعرضت تصريحات البعض من النهضاويات لانتقادات وسخرية في مواقع التواصل الاجتماعي لسطحيتها.

ورصدت "العرب" آراء شخصيات نسائية من حركة النهضة ومتابعين للشأن العام للإجابة عن التساؤل حول هذا التناقض وهل أن نساء النهضة الجدد إسلاميات متدينات أم هن علمانيات بغطاء رأس.

تونسيات قبل كل شيء

قدمت القيادات النسوية للجيل الجديد لحركة النهضة نموذجا مغايرا عن الصورة النمطية للمرأة السياسية التي تشارك بحركة إسلامية لسبب رئيسي وهو طغيان النمط المجتمعي التونسي على سلوكهن ومظهرن، فهن ينتمين سياسيا لحركة لكن ليس بالضرورة يقتدين بتوجهات الحركة المحافظة.

وقد يكون النمط التونسي غرس فيهن بشكل عفوي لنشأتهن في بلد عرف باعتداله وانفتاحه منذ استقلاله، فالوجوه النسائية الجديدة بالحركة من أجيال وهي فترة كرست الاهتمام بحقوق النساء وغلب عليها الطابع الحداثي.

وتقر القيادية البارزة بحركة النهضة محرزية العبيدي لـ"العرب" بأن "النمط التونسي طاغ على نساء النهضة كما أن مسألة الحجاب أيضا لم تعد تعني حزبا معينا". وتضيف "نحن تونسيات في طريقة ارتدائنا للحجاب وسنبقى دوما تونسيات منفتحات على الآخر في طموحنا وعملنا وحرصنا على التواجد في الحياة العامة".

وتقول العبيدي "لدينا عدد لا بأس به من المنخرطات بالحركة من غير المحجبات، لكن نلتقي معهن في الفكرة والمشروع".

وأكدت أن "الحركة توسع في قاعدتها النسائية لأنها حزب في دولة مدنية"، مؤكدة بقولها "نشتغل حسب مشروع ورؤية ولا نمثل فئة معينة لذلك هناك انفتاح على المجتمع بفئاته النسوية".

ويتسق رأي العبيدي مع رأي النائبة عن حركة النهضة يمينة الزغلامي، التي قالت لـ"العرب"، إن "نساء النهضة يمثلن النمط التونسي الزيتوني المعتدل والمنفتح على الآخر". وأشارت إلى أن "الحركة تطورت وهي ملتزمة بالدفاع عن المرأة الكادحة. نحن كقيادات نسوية دافعن عن حقوق النساء في مؤتمر الحركة الأخير"، لافتة إلى أن "الثورة سمحت لنساء النهضة بالمشاركة أكثر بالشأن العام". وظهر انفتاح الحركة على النساء غير المحجبات في الانتخابات المحلية في مايو الماضي، ورشحتهن في قوائمها كمستقلات في خطوة عرضتها لانتقادات واسعة، إذ بدت وكأنها تستغل صورة المرأة المتحررة لاستقطاب الناخب في حين أنها تتمسك بمرجعياتها المحافظة.

> تقر القيادية بحركة النهضة محرزية العبيدي بأن «النمط التونسي طاغ على نساء النهضة كما أن مسألة الحجاب أيضا لم تعد تعني حزبا معينا». وتضيف «نحن تونسيات في طريقة ارتدائنا للحجاب وسنبقى دوما تونسيات منفتحات على الآخر في طموحنا وعملنا وحرصنا على التواجد في الحياة العامة»

وعلى العكس، تقول سناء مرسني، النائبة عن حركة النهضة لـ"العرب" إن "مفهوم الانفتاح غير مرتبط بنمط تونسي أو غيره، فالجيل الجديد من شابات النهضة يعشن اليوم زمن الانتقال الديمقراطي، وهن منفتحات ليس لأن النمط التونسي فرض ذلك ولكن لأنهن منفتحات بطبيعتهن وهذا لا يعني أن هناك جيلا قديما منغلقا".

ورغم صعوبة فترة الانتقال الديمقراطي التي تمر بها تونس بعد الإطاحة بنظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي في يناير 2011 على مستوى سياسي واقتصادي واجتماعي، لكنها تميزت في المقابل بانتعاش مناخ الحريات العامة والفردية أمام تزايد ملفت للمرأة على الشأن العام وانخراطها في العمل الحزبي.

وتضيف المرسني قائلة "أنا على الأقل عايشت مرحلة تأسيس دستور الجمهورية الثانية في يناير 2014 لم أكن من المنخرطات القدامى في حركة النهضة. ترشحت على قائمتها في 2011 و2014 ومن خلال تجربتي أعتبرها أكثر حزب منفتح تنتمي إليه شرائح متنوعة من النساء المحجبات وغير المحجبات".

والمثير للانتباه أن حضور النساء بكتلة حركة النهضة الإسلامية فاق بقية الأحزاب الأخرى في مرحلة الانتقال الديمقراطي، فمن مجموع 49 امرأة كان للحركة 42، فيما توزّعت النائبات الـ7 على بقية الكتل البرلمانية. لكن لا يعني انفتاح الحركة على النساء أنها تراجعت عن مبادئها المحافظة.

ولا تنكر المرسني أن "داخل الحركة توجد بعض الأفكار المحافظة والمحافظة جدا في قضايا مجتمعية معينة لكن التشبيب الذي يتم داخلها حاليا والانفتاح على فئات أخرى من المجتمع يسمحان بتحولها وتغيرها لتصبح أكثر ما يمكن حركة تونسية مئة بالمئة".

وتلفت النائبة عن حركة النهضة حياة العمري، وهي قيادية شابة لا ترتدي الحجاب، في تصريحها لـ"العرب" إلى أن "النهضة تريد أن تستوعب كل الأطياف التونسية، وأن نساء الحركة يعملن في مناخ ديمقراطي".

قواعد متشددة

أمام الضغوط التي تواجهها حركات الإسلام السياسي، ومن بينها النهضة، دوليا ومحليا، تجد النهضة نفسها مطالبة بالتسويق لنموذج حزبي جديد. ويتوقع المتابعون أن يكون هناك اهتمام بالعنصر النسائي داخل حركة النهضة للتسويق لهذا النموذج وإظهار انفتاحها.

لكن، هذا "الانفتاح" ليس محل إجماع داخل قواعد الحركة؛ وسياسة الاعتماد على العنصر النسائي بشكل أكبر ليست بمنأى عن الانقسامات الداخلية للحركة وصراع الأجنحة. وتشرح الباحثة والمحللة السياسية شيماء عيسى لـ"العرب" ذلك بقولها إن "هناك أكثر من تيار داخل الحركة: التيار المتشدد مثل القيادية ليلى الوسلاتي وقيادات نسائية أخرى معتدلة تحمل لواء الدين ولواء الحقوق والمدنية أيضا".

وتضيف أن "القيادات النسوية مختلفة في مسائل المساواة والميراث مثلا ولكن نسبيا.. هناك من يدعن الحريات وهناك من ترى أن هذه المسألة ليست أولوية حاليا".

وتوضح أن "هناك مرجعيات مختلفة داخل الحركة ليس فقط الشق المتشدد بل هناك جيل من النهضويات اشتغلن في المجتمع المدني، خارج تونس، (خلال فترة زين العابدين بن علي) وبعودتهن وجدن صعوبات لانتقادهن بشكل متواصل من الداخل". وتعتقد عيسى أن النمط المجتمعي يفرض نفسه على عموم التونسيين وليس فقط على نساء حركة النهضة.

وترى الباحثة التونسية أن محاولات التغيير تصطدم بقواعدها المتشددة، موضحة أن "القيادات محكومة بالقواعد التي مازالت متمسكة بالمرجعيات القديمة".

وانتقد مراقبون استعمال النهضة للحجاب وإضفاء بعد حزبي عليه منذ مشاركتها في الحكم، إذ أنه أفرز تفرقة بين التونسيات، وهو ما جعل الحركة تراجع نفسها وتحاول أن تنفتح على النساء غير المحجبات وتحفزهن على الانخراط ضمن الحركة لكسب ثقة وتأييد شعبيين.

وتشير راضية الجربي رئيسة الاتحاد الوطني للمرأة التونسية في تصريحها لـ"العرب"، إلى أن "النهضة بدأت في مراجعة نفسها عن طريق بعض أصوات المحجبات اللاتي يحملن فكرا نيرا ومستنيرا تقدميا". وتذكّر بـ"الثنائيات والتمييز الذي ظهر مع بروز النهضة في الحكم بين النساء المحجبات وغير المحجبات وهي تفرقة دخيلة على الثقافة التونسية". وتضيف "بعد الثورة أصبح للحجاب بعد سياسي في حين لا علاقة له بالتحزب".

وتستدرك بقولها إن "هناك قيادات من حركة النهضة لهن مواقف تقدمية ومتحررة وأثرت إيجابيا على قيادتها"، لافتة إلى أن النمط المجتمعي يسيطر على الجيل الجديد من النهضة لأنه نمط معتدل ولذلك طغت على الكثيرات منهن مظاهر الوسطية.

ورغم محاولات الحركة تبديد مخاوف الرأي العام بأنها لن تهدد علمانية الدولة ففي كل مرة تبدو على استعداد لاسترضاء شركائها في الحكم والشارع على حد السواء بأنها تسير على خطى المدنية أملا في الحفاظ على موقعها في السلطة، يشير بعض المتابعين إلى أن ما تبديه بعض نساء الحركة من تطور جزء من براغماتية الحزب ومناورة سياسية.

ويقول المفكر التونسي يوسف الصديق لـ"العرب" إن "الحركات الإسلامية ككل لا تتحدث إلا عن المناورات إذ أن كل ما يتصل بالمسرح السياسي تناور لأجله حتى تكون صاحبة مشروع قوي". ويضيف "من التكتيك العادي إلى التكتيك التأويلي.. هذا التيار دائما مناور". وفي معرض تعليقه عن الجيل النسوي الجديد من الحركة يعتقد الصديق أنه "ينقصهن عنصر مهم جدا وهو التفكير في ما يقدم لهم من نصوص ووقائع".

ويشرح وجهة نظره قائلا "لا أعتقد أن النصوص الدينية تؤثر على السياسة لذلك لا بد من إخلاء الفضاء العام من السياسة حتى يتحقق الأمن والسلم الاجتماعي".

وعن رأيه إذا كانت الحركة فعلا تطورت أم لم تتطور، يقول الصديق إنها "لم تتطور بعد بسبب مشكلاتها الداخلية.. والمطلوب من الحركة أن تصبح مدنية فقط.. فأن تقول إنها حزب سياسي ثم تناقش مسألة المساواة في الميراث فذلك ليس من مشمولات الحزب السياسي".

التغيير يكون بالجوهر لا بالمظهر فقط

شيماء عيسى:
تحدي النهضة الكبير في قواعدها المتمسكة بمرجعياتها القديمة

يوسف الصديق:
نساء النهضة ينقصهن عنصر مهم وهو التفكير فيما يقدم لهن من نصوص

راضية الجربي:
بعد الثورة أصبح للحجاب بعد سياسي في حين لا علاقة له بالتحزب

غياب سينما الأطفال خطر يهدد المجتمعات العربية

أطفال يعيشون الاغتراب بسبب القيم التي تروج لها السينما الغربية

يفتقد الطفل في المجتمعات العربية لسينما تعكس واقعه وثقافته وتقدم سيناريوهات تشبه حكاياته ومشاغله وتنسجم مع تكوينه وحتى مع خياله. غياب السينما العربية الموجهة للطفل فرض على الأسر العربية وعلى أبنائها متابعة السينما الغربية والنهل من الثقافة التي تروج لها حتى وإن كانت واقعيا لا تناسب بيئتهم ونشأتهم وتكوينهم وقد تأتي بأفكار لا تنسجم حتى مع ثقافتهم وخياراتهم التربوية.

حازم خالد

القاهرة - يرى مختصون في مجال السينما وفي الطفولة عموما أن غياب سينما عربية مخصصة للأطفال، يعبر عن أزمة ثقافية وفنية مرشحة للاستمرار خلال السنوات القادمة. وتتعدّد أوجه الأزمة المستمرة لسينما الأطفال في العالم العربي، حيث لا يوجد حتى الآن ما يمكن اعتباره صناعة سينمائية موجهة للأطفال قائمة بنفسها أو لها ملامح، بل إن أزمة سينما الأطفال في الدول العربية تمتدّ إلى ما هو أعمق من هذا بكثير.

وتطال هذه الأزمة الإطار النظري الذي يعمل القائمون على بعض التجارب السينمائية الموجهة للأطفال ضمنه، حيث يختلط الأمر على العاملين في بعض التجارب السينمائية القليلة الموجهة للأطفال إذ يعتقدون أن السينما الموجهة للأطفال هي السينما التي يقوم أطفال ببطولتها أو التمثيل فيها، وهو مفهوم غير علمي وغير عملي، ولا يتطابق على أرض الواقع مع بعض التجارب العربية القليلة في هذا المجال.

ويتعرّض الأطفال إلى مخاطر متعددة الأبعاد نتيجة لغياب سينما أطفال احترافية ومستقلة في العالم العربي، من أهمها أن تعرضهم لسينما غربية تتضمّن قيما وأفكارا ومبادئ غريبة عنهم ومن بين العدد الكبير من الأفلام السينمائية الغربية فإن تلك التي تستهدف الأطفال العرب تعد قليلة ونادرة.

ونتيجة لغياب أفلام سينمائية عربية موجهة للأطفال يتعرّض أطفالنا لموجات من التأثير، وتنقل لهم قيم غريبة عنهم عن طريق الأفلام السينمائية الغربية التي تحمل مضامين وثقافات وقيما تخالف القيم العربية والإسلامية، وهو ما يعرّض الصغار في نفس الوقت لشكل من أشكال الاغتراب نتيجة تأثرهم بما يعرض عليهم من أفلام غربية تستهدفهم، وتسبّب لهم تضاربا وحيرة بين ما يتلقونه من قيم ومبادئ وأفكار في بيئتهم المحلية، داخل أسرهم وفي مدارسهم وفي الأوساط الاجتماعية المحيطة بهم، وبين ما يتعرّضون له من أفكار غريبة عنهم وعن المجتمع الذي يعيشون فيه والتي تقدمها السينما الغربية.

ويطالب الناقد السينمائي محمود قاسم بتوفير فرصة لكي تنتعش صناعة سينما الأطفال، ويقترح على سبيل المثال أن يتم رفع قيمة أسعار شراء أفلام الأطفال من جانب الفضائيات.

ويحذّر من التأثير الخطير لأفلام الأطفال الأجنبية على الأطفال العرب، معتبرا أن مثل هذه الأفلام تنشر بين الأطفال العرب أفكارا وثقافات ومبادئ غريبة عن الثقافة السائدة في العالم العربي القائمة على المبادئ والقيم العربية والإسلامية.

كما يلفت في نفس الوقت إلى الخلط الواضح لدى القائمين على ثقافة الأطفال بين الأفلام التي يقوم الأطفال بالتمثيل فيها وبين أفلام سينما الأطفال، ويقول "من الممكن أن يقوم الأطفال بالتمثيل في أفلام موجهة للكبار، والعكس أن يمثل الكبار في أفلام موجهة للأطفال".

وتشير الناقدة زينب حسن الإمام إلى إحدى أهم الصعوبات التي تعرقل صناعة السينما الاحترافية للأطفال في العالم العربي، وهي أنه لا يوجد على وجه الدقة من يعرف أو يدرك كيف يفكر الأطفال أو ما هي القضايا التي تشغل بالهم؟ كما أن من يحاولون العمل في مجال سينما الأطفال لا يفكرون كما يفكر الأطفال، وهو ما يعكس حالة من عدم الاتساق بين القليل الذي ينتج من أفلام موجهة للأطفال، وما يريده هؤلاء الأطفال فعلاً.

وتشير الإمام إلى ضرورة الاهتمام بالبحوث التي تقيس اتجاهات الأطفال، وتقترح إنشاء هيئات خاصة لإنتاج سينما الأطفال، وتؤكد أن هناك من يفهم خطأ أن الأطفال يريدون من السينما الموجهة لهم أن تضحكهم، ولكن في حقيقة الأمر الأطفال على صغر سنهم لهم مشاعر وقضايا وهموم، وهم يريدون من يعبر عن هذه القضايا والمشاعر والهموم من خلال سينما خاصة بهم، بالإضافة إلى المعرفة التي من الممكن أن يشعروا بها أو يستفيدوا منها من خلال مثل هذه الأفلام.

> إحدى أهم الصعوبات التي تعرقل صناعة السينما الاحترافية للأطفال في العالم العربي، هي أنه لا يوجد على وجه الدقة من يعرف أو يدرك كيف يفكر الأطفال أو ما هي القضايا التي تشغل بالهم

ويتفق أستاذ علم النفس التربوي سعيد منصور مع رأي الناقدة الفنية زينب الإمام حول عدم معرفة القائمين على صناعة سينما الأطفال بما يفكر فيه هؤلاء الأطفال، ويعتبرها إشكالية أخرى، بجانب عيوب البحث العلمي في ما يتعلّق باستطلاع آراء الأطفال في الأعمال المخصّصة لهم، خاصة ما يتعلّق بمسألة التأكد من صدق الإجابات التي يدلي بها الأطفال في استطلاعات الرأي المخصّصة لهم، ليس لأن الأطفال كاذبون، ولكن لأن الأطفال قد يفهمون الأسئلة بطريقة مختلفة في ضوء خبراتهم، وبالتالي يقدمون عنها إجابات لا تتفق مع الأغراض التي وضعت هذه الأسئلة من أجل قياسها، كما أن بعض الأكاديميين قد يغرقون في الأكاديمية بما لا يناسب طبيعة تفكير الأطفال.

ويطالب منصور بضرورة الاهتمام بسينما الأطفال من ناحيتين؛ زيادة عدد الأفلام المخصّصة لهم، وكذلك التعاون بين الباحثين والأكاديميين بفعالية لتقديم أعمال فنية مفيدة وموجهة، ولا تخضع لمجرد المصادفة.

ومن جانبها، تؤكد أستاذة علم النفس الاجتماعي بجامعة حلوان، سلوى عبدالباقي أنها من خلال العديد من الدراسات التحليلية التي قامت بها واستمرت لأكثر من عشر سنوات، اكتشفت أن الأطفال يستطيعون استيعاب العديد من المضامين الثقافية التي قد ينظر البعض إليها على أن فهمها صعب عليهم.

وتوضح أنه من خلال أكثر من دراسة أجريت على أطفال من مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية ظهر التقارب الشديد بين أسلوب تفكير وتطلّعات هؤلاء الأطفال، بالرغم من تباين مستواهم الاقتصادي والاجتماعي، مؤكدة في نفس الوقت أن الأطفال في العصر الحالي لا يمكن خداعهم أو تقديم مضمون لا يرغبون فيه، ودفعهم إلى التفاعل مع هذا المضمون.

وتؤكد عبدالباقي على ضرورة الاهتمام بتوجيه صناعة السينما لتكون مثمرة ومجدية في حياة الطفل وبديلا له عن التعرّض للأفلام الغريبة عن ثقافة ومجتمع الطفل العربي، وهي أفلام تقدّم مضامين وثقافات وقيما لا تتناسب مع البيئة العربية والإسلامية.

منجذبون لعالم مختلف

المكان.. رمز أسري واجتماعي فارق

محمد خديمي

ترسّخ في ذهني الذي أثقلته الذكريات مثل شعبي يفقهه الكبير والصغير "الوكر وكري ولو كان على عود يابس"، والوكر في اللغة هو مرادف لعشّ الطائر، والمعنى الرمزي للمثل الشعبي يتجلّى في الرابط الوجداني الذي يجمع البشر بموطنهم أو وطنهم. وبهذا المعنى يتنصّل المكان من معناه السطحي الواقعي ليتحوّل إلى إيحاء ورمز وجداني شديد الخصوصية.

هذا التعلّق بالمكان -مسقط الرأس أو الوطن- بدأ يخفت توهّجه شيئا فشيئا، عرفت ذلك من خلال سؤال وجّهته لبعض المتمدرسين في معاهدنا عن الأماكن التي تنحدر منها عائلاتهم، فصدمتني إجابة بعضهم بأن أصولهم تعود إلى مناطق يسمونها ولكنهم يعلنون بأنهم لا يعرفونها بشيء من الرضا بل يتعمدون ذلك تنصلا منها ومن الانتماء إليها.

الأمر الثاني الذي استفزني للتطرق للموضوع استحضار بعض المهاجرين من العائلة الموسعة الذين "انبتوا" انبتاتا كليا وأفنوا أعمارهم في الغربة مع عدم وجود أي عائق مادي أو معنوي يحول دون زيارتهم لأوطانهم في أي وقت شاؤوا.

المسألة لم تعد تنحصر في الإمكان أو الاستحالة بل غدت عقلية يقودها الانبتات بمعنى التنصّل من الجذور الثقافية والحضارية بما فيها المكان. أسرنا ومجتمعاتنا انشغلت بالمظاهر المادية خاصة في المدن الكبيرة، وأهملت المقومات التي تعقد الصلة بين الإنسان والمكان باعتباره حافزا لمفهومي الوطنية والمواطنة معا.

من الصعب جدا استحضار المكان كدلالة واقعية مجسّدة، ولكن المكان يحضر في شكل ذكريات تحددها العلاقات الاجتماعية أساسا، علاقات عاطفية أو أسرية أو اجتماعية عامة. فلم يكن الوقوف على الأطلال في القصائد الجاهلية والعربية القديمة مجرّد سنة شعرية ولكنه دلالة على التشبث بالحياة في المكان والزمان المحددين.

أعود باستمرار لزيارة موطني الريفي ومنزل والدي، الذي أضحى طللا، ويشدني الحنين لأيام الصبا حين كنا نلهو في أحضان الطبيعة وتحيا الذاكرة وتتقد وتصبح الأمكنة الفرعية كالجدار المتهدّم في الباحة وشجرة الزيتون التي شاخت كما شخنا بفعل الزمن، البيدر وسور التين الشوكي وغيرها.. كلها رموز رافقت بدايات العشق ومعرفة كنه الحياة.. حتى الأصوات أتذكرها بحرقة، صوت أبي وهو يزمجر ويأمر ثم يحنو ويرق قلبه، أما صوت والدتي فكأنه يناديني الآن وترسم بشفتيها اللتين أرهقهما الزمن قبلتها على الجبين.

إن التشبث بالمكان هو تشبث بالحياة، فأي ماض مهما كانت مواقفنا منه هو جزء مهم في تكوين شخصياتنا، فهناك من الناس من انقطعت صلتهم بموطنهم الأصلي، وأصبحوا من أهل الحاضرة يقطنون المدن الكبيرة بحثا عن العمل والرزق، ويرفضون بيع قطع صغيرة من الأراضي الفلاحية يمتلكونها في بلدانهم الأصلية وهم في أمس الحاجة لثمنها، ويقولون باستمرار "أرض الوالدين والأجداد من العيب التفريط فيها، إننا نشم من خلالها رائحة من غادرونا رحمهم الله".

يسألني أولادي: كيف كان جدي، وجدتي، وطريقة لعبكم ودراستكم وعيشكم؟

لا أجيبهم ولكنني أتجشم مشقة الطريق وأحملهم إلى موطننا الأصلي، وأطلعهم على المكان بجزئياته وتفاصيله الصغيرة، ثم أروي لهم أحداثا تجود بها الذاكرة بعد ترهلها. هنا كان البيدر بما يعجّ به من سنابل القمح والشعير، وهناك كانت شجرة المشمش العملاقة تظللنا في الصيف الحارق حيث كنا نلهو بالحيوانات الصغيرة التي نصطادها. أما هذا الجدار المهدم فهو بقايا بيت الضيافة التي كان جدكم يستقبل فيها ضيوفه.

كانوا يستمتعون بسماع رواياتي ويلحون عليّ بمزيد التذكر لإتحافهم بما غاب عنهم، بهذا العمل أعتقد بأنني أسهم في ترسيخ معنى الهوية والمواطنة في أذهان أطفالي، فمن لا ماضي له لا مستقبل له.

يعتقد بعض المهاجرين أن الوطن عاقبهم لأنه لم يوفر لهم ما كانوا يصبون إليه من حفظ لكرامتهم النفسية والمادية، ولذلك عندما يهاجرون يقيمون مفاضلة غير متكافئة، مادية في جوهرها، بين أوطانهم الأصلية ويلصقون بها كل الصفات السيئة كالفقر والجحود والتخلف وبين أماكن هجرتهم التي يمدحونها بأنها خلصتهم من جهلهم ومن بؤسهم، ولكن المشكلة ليست في التوصيف بل في الانبتات والتنصل من مقومات الهوية وفي نفس الوقت لا يستطيعون الاندماج الفاعل في المجتمعات الغربية الحاضنة.

فالمسألة في جوهرها لا بد أن تقرأ ضمن نسق التربية والمرجعيات ومقومات الثقافة، الأفراد كما الأسرة والمجتمع كلهم مسؤولون عن تجذير وتأصيل معنى المكان بصفته موطنا ووطنا وأمة، يختزل الوجود الإنساني في أبهى تجلياته.

طبق اليوم

سمان محشي بالأرز

المقادير

- ربع كيلو أرز.
- 2 سمان.
- 2 حبات بصل مفرومتين.
- حبتان جزر وكرفس وورقتان غار أو القليل من إكليل الجبل.
- علبة زبادي طبيعي مع زيت لتحمير السمان.
- ملعقتان خل وقليل من الليمون.
- بهارات: ملح وفلفل أسود وقرفة مطحونة.

طريقة الإعداد

- ينظف السمان جيدا ثم ينقع في الخل والليمون والملح ثم يشطف جيدا.
- نأخذ القليل من البصل المفروم ونمزجه مع الفلفل والبهارات ثم نوزعه داخل السمان.
- نضع القليل من الزيت النباتي في وعاء الطبخ، نضيف له بقية البصل المفروم، ونقليه جيدا ثم نضيف له الأرز المنقوع بعد تجفيفه من الماء.
- نقلب الأرز في الزيت والبصل ثم نضيف البهارات حسب الذوق نمزج كل المكونات حتى تتجانس ثم نضيف الماء الساخن حتى يغطى الأرز ليغلي فيه قليلا.
- عندما يصل الأرز إلى نصف الاستواء نتركه حتى يبرد.
- نأخذ السمان المتبل بالبصل ثم نضع في داخله الأرز وكذلك نوزعه في الأجناب وتحت الجلد.
- نقفل السمان المحشو ثم نربط ساقيه.
- نضع الماء في إناء عميق للطهي ونضع الجزر والبصل والكرفس والغار والإكليل لتغلي ونضيف لها البهارات ثم نضع وسطها السمان بعد لفه في ورق الألمنيوم لكي يستوي على نار هادئة.
- بعد أن يستوي السمان ننزله من النار ونزيل ورق الألمنيوم وندهنه بصلصة الزبادي والزيت جيدا وندخله للفرن حتى يكتسب اللون الذهبي.

موضة

المرجاني والبيج يعتليان عرش موضة الربيع

يتربع المرجاني والبيج على عرش الموضة النسائية في ربيع/صيف 2019 من أجل التمتع بإطلالة ساطعة تشيع بهجة وإشراقا.

قالت خبيرة الموضة الألمانية آنيته هيلبيش إن المرجاني يمثل نجم ألوان الموضة النسائية هذا الصيف، ليمنح المرأة إطلالة مبهجة تشع طاقة وحيوية، مشيرة إلى أنه يطل بطيف لوني واسع يمتد من الوردي القوي إلى الأحمر المائل للبرتقالي.

وأضافت هيلبيش أنه يمكن الحصول على إطلالة صارخة تخطف الأنظار من خلال تنسيق المرجاني مع الأخضر القوي أو البنفسجي، في حين يمكن الحصول على إطلالة هادئة من خلال تنسيقه مع الرمادي أو البيج.

ومن جانبها، أشارت خبيرة الموضة الألمانية ليديا ماير إلى أن البيج يمثل أحد الألوان الرائجة بقوة هذا الموسم، موضحة أنه يعد لونا محايدا وهادئا يطل بدرجات باردة ودرجات دافئة.

وأضافت ماير أن درجات البيج الباردة تميل إلى الرمادي، وتداعب المرأة صاحبة البشرة الفاتحة، في حين تميل درجات البيج الدافئة إلى الذهبي، وتغازل المرأة صاحبة البشرة الداكنة. وبدورها، أشارت مستشارة المظهر الألمانية إنكا مولر فينكلمان إلى إمكانية الحصول على إطلالة مفعمة بالرقة والأنوثة من خلال تنسيق البيج مع الوردي، في حين يمكن الحصول على إطلالة فخمة من خلال تنسيقه مع الأزرق الملكي الساطع.

كما يمكن للمرأة تنسيق البيج مع الأبيض للحصول على إطلالة صيفية بسيطة ذات طابع كلاسيكي أنيق.

وأشارت فينكلمان إلى إمكانية تنسيق درجتي بيج مع بعضهما البعض، كدرجة بيج فاتحة للقطعة الفوقية ودرجة بيج داكنة للقطعة التحتية، خاصة مع القوام الممتلئ.

ميزان كلاسيكو الأرض.. يتأرجح بين الصورة المثالية والوجه القبيح

برشلونة يراهن على نجاعة ميسي وريال يتسلح بفاعلية بنزيمة

يترقب محبو الساحرة المستديرة متابعة كلاسيكو الأرض، بين برشلونة وريال مدريد، المقرر إقامته، الأربعاء المقبل، على ملعب سانتياغو برنابيو، في إياب نصف نهائي كأس إسبانيا. وسيكون عشاق الكرة حول العالم، مع موعد جديد لمتابعة الكلاسيكو، في الثاني من مارس المقبل، على نفس الملعب "سانتياغو برنابيو"، في إطار الجولة 26 من عمر الليغا. وانتهت مباراة الذهاب في نصف نهائي الكأس، بالتعادل الإيجابي بين الفريقين على ملعب الكامب نو.

معركة النجوم تحدد ملامح «كلاسيكو الأرض»

❏ **مدريد – ترك فريقا برشلونة وريال مدريد الباب مفتوحا أمام كل الاحتمالات بتعادلهما 1-1 في ذهاب نصف نهائي كأس إسبانيا. وسيحل الفريق الكتالوني ضيفا على غريمه الملكي الأربعاء، آملا في الوصول إلى المباراة النهائية للعام الخامس على التوالي والمرة 41 في تاريخه بالبطولة. أما ريال مدريد فيطمع للإطاحة بالبارسا حامل اللقب في السنوات الأربع الأخيرة، والصعود إلى نهائي الكأس للمرة 40 في تاريخه، آملا أيضا في الفوز باللقب الغائب عن جدرانه منذ 5 سنوات، ليحققه للمرة الـ20 في تاريخه.**

ولن تتحكم أرقام الماضي فقط في تحديد مصير كلاسيكو الكأس، بل هناك تفاوت ملحوظ في القوة الهجومية بين الفريقين هذا الموسم، والتي تشهد تفوقا ملحوظا لبرشلونة بفضل تواجد الأرجنتيني ليونيل ميسي. في المعسكر الكتالوني، يبقى ليونيل ميسي الأهم والأخطر والأكثر فاعلية، حيث سجل 30 هدفا في 31 مباراة بكل البطولات الموسم الجاري، إلا أن النجم الأرجنتيني يواجه تحديا نفسيا بعدم نجاحه في هز شباك الفريق الملكي طوال مباريات الفريقين ببطولة الكأس.

ورغم تراجع مستواه في الفترة الأخيرة، فإن لويس سواريز يعد قوة لا يستهان بها في صفوف البارسا، حيث سجل 16 هدفا في 33 مباراة، يليه في الأهمية الجناح الفرنسي الشاب عثمان ديمبلي بإحرازه 13 هدفا في 30 مباراة. أما فيليب كوتينيو فيعد الأكثر مشاركة في المباريات مقارنة بزملائه في الخط الأمامي، حيث شارك في 35 مباراة، سجل خلالها 8 أهداف فقط ووضح عدم تأقلمه بعد مع مهام الجناح الأيسر، بينما سجل مواطنه البرازيلي مالكوم 3 أهداف في 14 مباراة، ويبقى هدفه في ريال مدريد بمباراة الذهاب البصمة الأبرز له منذ الانضمام من بوردو مطلع الموسم الجاري.

مهمة ثقيلة

على الجانب الآخر يحمل الفرنسي كريم بنزيمة مهمة ثقيلة على عاتقه هذا الموسم بعد رحيل البرتغالي كريستيانو رونالدو إلى يوفنتوس الإيطالي، إلا أن بنزيمة أثبت أنه على قدر المسؤولية، حيث يعد السلاح الأقوى بين مهاجمي الملكي هذا الموسم بتسجيله 19 هدفا في 39 مباراة. أما الويلزي غاريث بيل فلم يستغل رحيل رونالدو بالشكل الأمثل بل ضربته إصابات عديدة، وتراجع معدله التهديفي إلى 12 هدفا في 30 مباراة.

كما لا تعد باقي المفاتيح الهجومية لسانتياغو سولاري مدرب الميرنغي بالتأثير الفعال بالنظر إلى عطائهم طوال الموسم الجاري، حيث أحرز إيسكو 4 أهداف في 25 مباراة، بينما سجل ماركو أسينسيو 5 أهداف في 30 مباراة، وفينيسيوس جونيور 3 أهداف في 24 مباراة، ولوكاس فاسكيز 5 أهداف في 34 مباراة. أما ماريانو دياز الذي تسلم تركة ثقيلة بارتداء القميص 7 الخاص بالهداف التاريخي لريال مدريد، فلم ينجح في إثبات قدراته سواء على مستوى المعدل التهديفي أو المشاركة في المباريات، حيث سجل هدفين فقط في 14 مباراة.

في المقابل أصبح نادي ريال مدريد مهددا بفقدان خدمات لاعبه الويلزي غاريث بيل، في مباراة الإياب، بسبب احتفاليته في مباراة أتلتيكو ما قبل الأخيرة بـ"الليغا". وقالت صحيفة "سبورت"، إن الاتحاد الإسباني سيبت في احتفالية بيل، أمام جماهير الغريم، والتي كانت مستفزة في حقهم، وفي حال تسليط عقوبة الإيقاف لأزيد من مباراتين، سيكون أبرز الغائبين عن إياب نصف نهائي الكأس أمام الفريق الكتالوني. وتسبب بيل، بجدل كبير بين أنصار الأتلتيكو، التي اعتبرت الأمر مبالغا فيه، وغير رياضي، في انتظار ما ستقرره اللجنة المختصة التابعة للاتحاد الإسباني لكرة القدم، خلال الساعات المقبلة.

بينما انتهت مباراة الدور الأول في الليغا بانتصار برشلونة بنتيجة 5-1، وهي النتيجة التي أطاحت بالمدرب جولين لوبيتيغي من منصبه كمدرب للفريق الملكي. وبالنظر لتاريخ مواجهات الفريقين في آخر 8 مواسم، نجد أن التفوق كان متكافئا بين الطرفين، في السنوات التي شهدت منافسة مزدوجة بينهما، وتقابلا فيها معا في الليغا والكأس. وفي موسم 2010-2011، تقابل ريال مدريد مع غريمه التقليدي برشلونة في نهائي كأس ملك إسبانيا، على ملعب الميستايا.

ونجح ريال مدريد في حسم اللقب المحلي لصالحه، بالفوز بهدف دون رد، حمل توقيع كريستيانو رونالدو في الدقيقة 103. وفي نفس الموسم بالليغا، حقق برشلونة فوزا ساحقا على ريال مدريد بخماسية دون رد، في مباراة الدور الأول على ملعب الكامب نو. وحملت خماسية الفريق الكتالوني، توقيع تشافي هيرنانديز وبيدرو رودريغيز وجيفرين سواريز وديفيد فيا "هدفين". وفشل ريال مدريد في الثأر خلال مباراة الدور الثاني بالليغا، وانتهى الكلاسيكو بالتعادل الإيجابي 1-1 على ملعب سانتياغو برنابيو.

وفي موسم 2011-2012، تقابل ريال مدريد وبرشلونة في دور الثمانية بكأس ملك إسبانيا، ونجح برشلونة في العبور إلى نصف النهائي، بعد فوزه ذهابا خارج الديار بنتيجة 2-1، وتعادله إيابا بنتيجة 2-2. وفي نفس الموسم بالليغا، تفوق برشلونة في موقعة الدور الأول بنتيجة 3-1، ليثأر ريال مدريد من الخسارة وينتصر إيابًا بنتيجة 2-1 في الكامب نو.

وفي موسم 2012-2013، اصطدم ريال مدريد بنظيره برشلونة في نصف النهائي، وانتهت مباراة الذهاب بالتعادل الإيجابي 1-1 على ملعب البرنابيو، قبل أن ينتصر الفريق الملكي خارج الديار بنتيجة 3-1 في مباراة الإياب. وفي نفس الموسم بالليغا، انتهى كلاسيكو الدور الأول بالتعادل الإيجابي 2-2 على ملعب الكامب نو، قبل أن يتفوق ريال مدريد على أرضه في مباراة الدور الثاني بنتيجة 2-1. وفي موسم 2013-2014، وصل الفريقان إلى نهائي كأس إسبانيا، والذي حسمه ريال مدريد لصالحه بنتيجة 2-1، من توقيع أنخيل دي ماريا وغاريث بيل. وفي نفس الموسم بالليغا، حقق برشلونة، التفوق ذهابا وإيابا، في الليغا بواقع 2-1 على ملعب الكامب نو، و4-3 في البرنابيو.

الوجه القبيح

إذا كنت من عشاق كلاسيكو الأرض، بين العملاقين الإسبانيين ريال مدريد وبرشلونة، وتستمتع بالأداء الجمالي في الملعب والتشجيع المثالي في المدرجات، فيجب، لاكتمال الصورة لديك، أن تلقي نظرة أيضا على الوجه القبيح لمواجهات الغريمين التقليديين.

هناك واحدة من الوقائع المثيرة في تاريخ مواجهات كلاسيكو كأس الملك عمرها 51 عاما، عُرفت باسم "نهائي الزجاجات الفارغة"، وهي حلقة من سلسلة العداء التاريخي بين الناديين. تحديدا في 11 يوليو من عام 1968، وقد وصل العملاقان إلى نهائي كأس الملك، في معقل الملكي "سانتياغو برنابيو"، حيث تأهل الريال على حساب سيلتا فيغو، فيما صعد البارسا من بوابة طرف مدريد الآخر أتلتيكو.

بدأت الأزمة قبل المباراة بأيام قليلة، وتحديدا مع إعلان إسناد اللقاء للحكم أنطونيو ريغو، والذي اتهمه المدريديون بالتحيز للبارسا، إذا أدار لهم 13 مباراة من أصل 30 خلال ذلك الموسم، بما فيهم مباراة البلوغرانا أمام أتلتيكو مدريد في الدور نصف النهائي. ولم تلق اعتراضات الملكي أي صدى وأقيمت المباراة بقيادة ريغو، وسط حضور أكثر من 100 ألف مشجع مدريدي في معقله.

سيناريو اللقاء لم يخدم الملكي كثيرا، إذ إنه بعد مرور 6 دقائق فقط، أهدى مدافع الريال فرناندو زنزونيني، هدف اللقاء الوحيد للضيوف من خطأ قاتل. انقلبت الأمور وحدث ما لا يحمد عقباه، عندما اشتدت أحداث اللقاء ولم يحتسب ريغو ركلتي جزاء في لعبتين للريال، لحساب الثنائي فيرناندو سيرينا وأماشيو فاريلا، لتشتعل المدرجات هجومًا على حكم اللقاء، واتهموه بتعمد إهداء الكأس لفريقه المفضل.

ومع إطلاق أنطونيو ريغو، صافرة النهاية معلنا تتويج برشلونة باللقب في قلب مدريد، لم تتحمل الجماهير الملكية رؤية غريمها يحمل الكأس أمامها، ومع امتعاض أنصار الفريق الملكي من الحكم، بدأوا في إلقاء سيل من الزجاجات الفارغة على اللاعبين والحكم في مشهد مؤسف. واضطرت تلك الواقعة الاتحاد الإسباني لكرة القدم، إلى إصدار قرار بحظر دخول زجاجات المياه إلى ملاعب الكرة منذ ذلك اليوم، تفاديًا لتكرار تلك الواقعة.

وعقب مرور العشرات من السنوات، تحديدًا في 2007، تحدث الحكم أنطونيو ريغو، عن النهائي المثير، وذلك قبل وفاته بعامين. وقال ريغو، عند سؤاله حول حقيقة انتمائه للبلوغرانا "لا، لم أكن من محبي برشلونة. ولست كذلك اليوم، لكن بعد نهائي 1968 تحولت إلى واحد من أشد أعداء الملكي، أشد حتى من عشاق برشلونة".

> رغم تراجع مستواه في الفترة الأخيرة، فإن لويس سواريز يعد قوة لا يستهان بها في صفوف البارسا، حيث سجل 16 هدفا في 33 مباراة، يليه في الأهمية الجناح الفرنسي الشاب ديمبلي بإحرازه 13 هدفا في 30 مباراة

وأضاف "عقب اللقاء عرفت جيدا مدى قوة ونفوذ ريال مدريد، الذي تقدم بشكوى ضدي رفقة 7 أندية من بين تلك التابعة لسيطرة الفريق الملكي آنذاك، وكانت عواقب الشكاوى وخيمة على حياتي، لذلك كنت دائما أريد الأمور السيئة لهم". وتحدث ريغو، عن الحالتين المثيرتين للجدل في اللقاء، قائلا "لم أرَ أي عقوبة في حالتي سيرينا وأماشيو فاريلا، الثنائي حاول خداعي وتظاهر بالسقوط على الأرض، لذلك لم أحتسب شيئا".

ومع ذلك، حصل برشلونة على انتقامه بعد 25 عاما من واقعة الزجاجات، وتحديدًا في مباراة الإياب لكأس السوبر 1993 في "كامب نو". واستطاع الريال أن يخطف الكأس من معقل كتالونيا، حيث تعادل بنتيجة (1-1)، بعد أن كان متقدما في "سانتياغو برنابيو" بنتيجة (3-1)، ليفاجئ جمهور الكتلان نجوم الملكي بوابل من الزجاجات، بعد إطلاق صافرة النهاية. وأجبر لاعبو الملكي، على تسلم كأس السوبر "خفية" في غرفة الملابس، لإنقاذهم من هجمات جماهير برشلونة، وحاصر التتويج قوة ضخمة من الشرطة الإسبانية، رافقتهم حتى خارج المدينة.

> أرقام الماضي لن تتحكم فقط في تحديد مصير كلاسيكو الكأس، بل هناك تفاوت ملحوظ في القوة الهجومية بين الفريقين، والتي تشهد تفوقا ملحوظا لبرشلونة بفضل تواجد ميسي

مانشستر سيتي يتربص بتشيلسي حول أول ألقاب الموسم

لقب كأس رابطة المحترفين يحدد مصير ساري مع البلوز

وسط جدل هائل حول مستقبل ماوريسيو ساري المدير الفني لفريق تشيلسي، يخوض الفريق مواجهة حاسمة على أول ألقاب الموسم الحالي في كرة القدم الإنكليزية عندما يلتقي مانشستر سيتي، الأحد، في نهائي كأس رابطة المحترفين، الذي يسعى الأزرق السماوي للفوز به للمرة الثانية على التوالي والرابعة في آخر ستة مواسم.

❑ **لندن** – تبدو مهمة تشيلسي ومديره الفني الإيطالي ماوريسيو ساري، الأحد، في غاية الصعوبة أمام مانشستر سيتي الذي يأمل في الدفاع عن لقبه بمسابقة كأس رابطة المحترفين من ناحية وحصد أول ألقابه في أربع بطولات ينافس فيها هذا الموسم.

وتمثل مباراة الأحد على ملعب "ويمبلي" العريق في العاصمة لندن أكثر من مجرد نهائي قد يمنح تشيلسي أول ألقاب الموسم الحالي بإنكلترا، حيث تبدو المباراة بمثابة طوق النجاة لساري.

وكان تشيلسي خرج صفر اليدين من بطولة كأس الاتحاد الإنكليزي بالهزيمة (صفر- 2) أمام مانشستر يونايتد، الاثنين الماضي، في الدور الخامس (دور الستة عشر) للبطولة.

وشهدت المباراة صافرات استهجان وهتافات عدائية من الجماهير ضد ساري، كما أشارت وسائل الإعلام البريطانية إلى أن مصيره مع الفريق قد يكون مرهونا بالفوز على مانشستر سيتي.

> مانشستر سيتي يسعى للدفاع عن لقبه في كأس رابطة المحترفين، وتشيلسي يأمل في تجاوز الهزيمة المذلة بسداسية كاملة التي مني بها أمام السيتيزن منذ أسبوعين

وبعد هذه التقارير الإعلامية، ظهرت تقارير أخرى تشير إلى أن مسؤولي نادي روما الإيطالي تواصلوا مع ساري لتولي تدريب الفريق الإيطالي بداية من الموسم المقبل، ولكن ساري نفسه نفى هذا الخبر.

وقال ساري، في تصريحات إعلامية بعد الفوز على مالمو، الخميس، في إياب دور الـ32 للدوري الأوروبي "أرتبط بعقد مع تشيلسي لموسمين مقبلين، ولهذا، من المستحيل أن أرتبط بعقد آخر".

وجاء هذا الفوز على مالمو ليمنح الفريق وساري بعض الارتياح والطمأنينة قبل المواجهة الثأرية التي يخوضها الفريق، الأحد، لاسيما وأن آخر مواجهة مع مانشستر سيتي انتهت بفوز كاسح (6 – صفر) للأخير في العاشر من فبراير الحالي.

وقاد ساري فريقه للفوز (2 – صفر) على مانشستر سيتي في لقاء الدور الأول بالدوري خلال ديسمبر الماضي، والتي كانت أول هزيمة لمانشستر سيتي في الدوري هذا الموسم.

وقال ساري "من السهل للغاية أن يكون مانشستر سيتي في أذهاننا، التقينا قبل أسبوعين.. والآن يمكننا حل هذه المشكلة".

ويسعى مانشستر سيتي إلى الدفاع عن لقبه في كأس رابطة المحترفين ليكون أول فريق ينجح في الدفاع عن لقب البطولة منذ أن نجح جاره مانشستر يونايتد في هذا عام 2010.

وإذا أحرز الأزرق السماوي اللقب الأحد، سيكون هو الرابع له في البطولة في آخر ستة مواسم، وقد يصبح اللقب الأول له في رباعية تاريخية غير مسبوقة هذا الموسم، حيث ينافس مانشستر سيتي أيضا على ألقاب الدوري الإنكليزي وكأس إنكلترا ودوري أبطال أوروبا.

ويرى برناردو سيلفا، لاعب خط وسط مانشستر سيتي، أن تكرار نتيجة الفوز بالستة ليس مرجحا، وقال اللاعب "الحقيقة أننا يجب أن ننسى مباراة الفوز (6 – صفر) لأنها لن تتكرر.. لا ننتظر نفس النتيجة في مباراة الأحد".

وأوضح "نخوض المباراة أمام أحد أفضل الفرق في العالم، حتى وإن كانت نتائجه في الآونة الأخيرة ليست في أفضل حالاتها.. علينا أن نلعب بنفس القوة وأن نسعى للفوز بلقب آخر". وأضاف "لم ننجح من قبل في الدفاع عن أي لقب.. ولهذا، فإن الدفاع عن هذا اللقب يعني الكثير، إنه من أهم أهدافنا".

ويخوض مانشستر سيتي مباراة الأحد بمعنويات مرتفعة بعد الفوز (3 – 2) على مضيفه شالكه الألماني منتصف الأسبوع الماضي في ذهاب دور الستة عشر لدوري أبطال أوروبا.

وكان مانشستر سيتي متأخرا (1 – 2) حتى آخر خمس دقائق من المباراة، حيث شهدت الدقائق الأخيرة هدفين رائعين للفريق. وأثارت هذه المباراة سعادة الإسباني بيب غواردیولا بعدما شاهد كفاح فريقه من أجل العودة في المباراة وقلب النتيجة لصالحه.

طموحات متباينة

ويأمل غواردیولا في أن يستفيد فريقه من هذه التجربة خلال مباراة الأحد، وقال "ربما نستفيد من هذه التجربة في المستقبل وفي مباراة تشيلسي يجب أن تمر بمثل هذه المواقف".

ويخوض السيتيزن مباراة، الأحد، بمعنويات مرتفعة، وذلك بعد أن أعلن النادي، الجمعة، أن مدافعه الفرنسي إيمريك لابورت مدد عقده معه لعامين إضافيين، ما يتوقع أن يبقيه في صفوفه حتى نهاية موسم 2024 – 2025.

وانضم قلب الدفاع البالغ 24 عاما لصفوف سيتي في يناير 2018 قادما من أتلتيك بلباو الإسباني، في صفقة قياسية في حينه بالنسبة للفريق الإنكليزي الشمالي، وصلت قيمتها إلى 57 مليون جنيه إسترليني (74 مليون دولار).

ويشكل لابورت عنصرا أساسيا في تشكيلة المدرب الإسباني بيب غواردیولا التي لا تزال تنافس على ألقاب أربع مسابقات هذا الموسم.

وكان اللاعب الذي نشأ في صفوف الفئات العمرية لبلباو، محط اهتمام من قبل سيتي في العام 2016، إلا أنه آثر البقاء في إسبانيا والعمل على تطوير أدائه قبل الانتقال إلى الدوري الإنكليزي.

وقال مدير كرة القدم في سيتي الإسباني تشيكي بيغيريستاين "إيمريك موهبة هائلة والتزامه بتمضية أفضل أعوامه معنا، هو أمر يدعونا للاحتفال".

ويرى الفرنسي أوليفيه غيرو مهاجم تشيلسي أن أداء فريقه في مواجهة مالمو السويدي، الخميس، سيساعده على نسيان الهزيمة الثقيلة التي مني بها أمام مانشستر سيتي قبل أسبوعين.

وقال غيرو "إنه أمر جيد يعزز ثقتنا بأنفسنا.. ستكون مباراة مختلفة تماما على أستاد ويمبلي"، وأضاف "إنها مباراة نهائية ونحتاج إلى خوضها كنهائي، أثق في أننا سنرد جيدا على مباراتنا في الدوري".

الأزرق في قلب العاصفة

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ اختيار خاطئ و"كاستينغ" فاشل في بيت تشيلسي الإنكليزي. ألم كبير وأمل ضعيف بخصوص قدرة الفريق على التدارك هذا الموسم، وحلم اللحاق بركب المتراهنين على لقب الدوري الممتاز بدأ يتلاشى ويغدو سرابا تذروه رياح عاتية في قلب عاصفة وشيكة قد تأتي على الأخضر واليابس.

هكذا بدا حال الفريق "الأزرق" في المرحلة الأهم من منافسات الموسم محليا، فاليوم وقبل جولات قليلة من نهاية السباق نحو لقب "البريميرليغ" يكاد هدف تشيلسي يقتصر على ضمان المشاركة في دوري الأبطال الموسم القادم.

فالهوة اتسعت بشكل رهيب عن صاحبي الريادة السيتي وليفربول، وفارق 15 نقطة من الصعب للغاية تجاوزه في ما تبقى من منافسات هذا الموسم، بل الأكثر من ذلك أن هذا الفريق الذي يحتل حاليا المركز السادس يجد منافسة قوية للغاية من قبل فريقي أرسنال ومانشستر يونايتد في الصراع على مركز مؤهل للمشاركة في دوري الأبطال.

ضربات من كل حدب وصوب، وتراجع رهيب في مستوى الفريق، والأكثر من ذلك أن "الأزرق" تعرض لخسارة مهينة ومذلة بسداسية كاملة منذ أيام ضد مانشستر سيتي الذي عبث بتاريخ "البلوز" وأذاقه طعم العلقم.

بعد تلك "الفضيحة" أذعن تشيلسي لمشيئة اليونايتد، فغادر من الباب الضيق كأس الاتحاد الإنكليزي، وهي المسابقة التي كان يعوّل عليها الفريق كثيرا كي ينقذ موسمه محليا.

لم يعد أمام صاحب لقب الدوري الممتاز الموسم قبل الماضي سوى بصيص من الأمل كي يتمكن من تحقيق بعض المكاسب في نهاية الموسم، حيث ما زال في سباق الدوري الأوروبي بعد أن بلغ الدور ثمن النهائي ليضرب موعدا مع نادي دينامو كييف.

لكن ما الذي أصاب تشيلسي كي يترنح بهذا الشكل المريب؟ وما هي أسباب السقوط في المراحل الحاسمة من منافسات الموسم والتخلف عن ركب فرق الصدارة؟

ربما الإجابة لا تحتاج للكثير من التخمين والبحث، إذ هي مرتبطة أساسا بتطور الفكر الخططي وطرق التدريب خلال الزمن الراهن.

يبدو أن تشيلسي لم يدرك بعد أن الدوري الإنكليزي الممتاز لم تعد تحكمه قوة المال وتأثير نجاحات الماضي، بقدر ما أصبح الأمر متعلقا بالتغيير والتوق نحو التطوير والتخلص من الأساليب القديمة في عالم التدريب.

في الوقت الذي بدأ خلاله ليفربول يجني ثمار تعويله على المدرب الألماني المحنك يورغن كلوب الذي غيّر وجه "الريدز" وأكسب الفريق مسحة من الجمالية المفقودة في السابق على المستوى الهجومي، مازال تشيلسي يحن للماضي ولطرق تدريبية قديمة.

في الوقت الذي تطور خلاله أداء السيتي وأصبح، نظريا، أقوى فريق في إنكلترا بمساعدة المدرب الإسباني الذكي بيب غواردیولا وهو ما مكّنه الموسم الماضي من فرض سلطانه، فإن تشيلسي بدا مصرّا على التعامل مع مدربين أوفياء للأساليب الدفاعية العتيقة.

ربما يمكن فهم ما يحصل حاليا في الدوري الإنكليزي الذي بات أكثر نزعة هجومية وتمردا على المناهج الدفاعية، إذا نظرنا إلى ذلك التغيير الحاصل منذ فترة قصيرة في مانشستر يونايتد.

فوجه "الشياطين الحمر" تغيّر كليا بعد رحيل المدرب البرتغالي خوزيه مورينيو وقدوم ابن النادي سولسكاير الذي تتلمذ لسنوات طويلة عندما كان لاعبا على أيدي المدرب الأسطورة أليكس فيرغسون. فهذا الفريق تحسن مستواه بشكل كبير للغاية وتمكن من الصعود بسرعة البرق إلى المراكز الأمامية، والسبب في ذلك أنه تخلى عن الأسلوب الدفاعي الذي كان يعتمده مورينيو.

أما تشيلسي فيبدو أنه لم يستوعب الدرس. لقد ظل محافظا على عاداته وتقاليده. ظل وفيا للمدرسة الإيطالية. فالنجاح النسبي الذي حققه في السابق مع المدرب الإيطالي أنطونيو كونتي قبل موسمين دفعه هذا الموسم للتعاقد مع مواطنه ماوريسيو ساري.

هذا المدرب نجح في السابق مع نادي نابولي، حيث أعاده إلى واجهة الأحداث في منافسات الدوري الإيطالي. قاده إلى تحسين مستواه بشكل ملحوظ. لقد أحسن توظيف قدرات الفريق وجعله فريقا قويا، لكن وفق خصائص الكرة الإيطالية ومبادئها التدريبية.

أما في الدوري الإنكليزي الذي يتطور موسما بعد الآخر بسرعة البرق، فإن الأمر يبدو مختلفا، إذ لا سبيل اليوم إلى النكوص إلى الوراء. لا مجال للاعتماد دوما على الطرق التدريبية الكلاسيكية. لا مفرّ من تطوير الأداء والسعي لاستنباط طرق مستحدثة ومواكبة التغيرات المتسارعة.

يبدو أن إدارة "البلوز" لم تستوعب الدرس. فكونتي الذي قاد تشيلسي للألقاب "وقت مخاض" بقية الفرق الكبرى، حيث كانت الظروف ملائمة وتمكن من تحقيق لقب الدوري المحلي، سرعان ما خفت بريقه وفشل في المحافظة على تفوق تشيلسي، لتتم إقالته بعد فشل ذريع مع نهاية الموسم الماضي.

كونتي قضى موسمين مع تشيلسي فتذوق طعم الألقاب بما أن الفريق توج معه بلقب الدوري الموسم قبل الماضي وكذلك كأس الاتحاد الإنكليزي، لكن من سوء حظ ساري أن أغلب الفرق أنهت فترة المخاض وباتت أقوى بكثير.

من سوء حظ ساري أن أسلوب تدريبه لم يعد يتماشى مع الخصوصية الحالية للدوري الممتاز. من سوء حظه أن المصائب لا تأتي فرادى في بيت تشيلسي الذي تعرض لعقوبة الحرمان من التعاقد مع لاعبين جدد لعام كامل، ما يجعل بقاءه مستحيلا مع فريق يغير سياسته لمواكبة التغييرات الحديثة في عالم التدريب.

برشلونة يقلب الطاولة على إشبيلية

❑ **مدريد** – سجل الأرجنتيني ليونيل ميسي ثلاثة أهداف (هاتريك) ليقود فريقه إلى انتزاع ثلاث نقاط ثمينة من مضيفه إشبيلية (2–4) خلال المباراة التي جمعتهما السبت، ضمن الجولة الخامسة والعشرين من الدوري الإسباني لكرة القدم، والتي شهدت أيضا فوز خيتافي على رايو فاليكانو (2–1).

وتقدم إشبيلية بهدف سجله خيسوس نافاس في الدقيقة 22 وعادل ليونيل ميسي النتيجة لبرشلونة في الدقيقة 26، ثم سجل غابرييل ميركادو الهدف الثاني لإشبيلية في الدقيقة 42، وعاد ميسي ليسجل الهدف الثاني له ولبرشلونة في الدقيقة 67 ثم سجل الهدف الثالث له ولفريقه في الدقيقة 85، قبل أن يختتم لويس سواريز أهداف برشلونة في الدقيقة الثالثة من الوقت بدل الضائع للمباراة.

ورفع ميسي رصيده من الأهداف إلى 25 هدفا في الدوري هذا الموسم في صدارة ترتيب الهدافين بفارق تسعة أهداف عن زميله بالفريق الأوروغوياني لويس سواريز الذي رفع رصيد أهدافه هو الآخر إلى 16 هدفا، وكسّر حاجز الصيام عن التهديف في آخر خمس مباريات.

ورفع برشلونة رصيده إلى 57 نقطة في صدارة الترتيب، بفارق عشر نقاط كاملة عن أتلتيكو مدريد، الذي يواجه فياريال الأحد، وبفارق 12 نقطة عن منافسه التقليدي ريال مدريد، صاحب المركز الثالث والذي يواجه ليفانتي الأحد أيضا، فيما توقف رصيد إشبيلية عند 37 نقطة في المركز الخامس.

ويذكر أن هذا الفوز هو الـ17 لبرشلونة في الدوري هذا الموسم، مقابل الخسارة في مباراتين والتعادل في ست، فيما تعد هذه الخسارة هي الثامنة لإشبيلية هذا الموسم مقابل الفوز في 10 مباريات والتعادل في سبع.

وفي المباراة الثانية، انتزع فريق خيتافي فوزا صعبا من ضيفه رايو فاليكانو (2–1)، وسجل هدفي خيتافي خايمي ماتا وخورخي مولينا في الدقيقتين 28 و68، فيما سجل هدف رايو فاليكانو دي توماس في الدقيقة 58.

ورفع خيتافي رصيده إلى 39 نقطة في المركز الرابع وتوقف رصيد رايو فاليكانو عند 23 نقطة في المركز الـ19 قبل الأخير.

هاتريك لميسي

باريس تحارب رهاب الأجسام الممتلئة قبل أسبوع الموضة

خصصت باريس قبل انطلاق أسبوع الموضة معرضا لصور النساء المكتنزات في الهواء الطلق، بهدف كسر المعايير ومواجهة رهاب الأجسام المتلئة، وتعزيز ثقة سكان العاصمة الفرنسية وضيوفها بأجساد البدينات.

الممتلئات جميلات ومثيرات

❏ **باريس** – تحتفي باريس بالنساء المكتنزات في معرض مخصص لصورهنّ في الهواء الطلق هدفه توسيع آفاق سكان العاصمة وضيوفها المدعوين لأسبوع الموضة الذي ينطلق الاثنين المقبل.

ونشرت على مقربة من مقرّ بلدية باريس، صور لنساء ممتلئات الأجسام التقطت خلال عرض في صالون البلدية في ديسمبر 2017 على واجهة ثكنة عسكرية سابقة. وأرفقت الصور برسائل من كل عارضة حول التأثير الإيجابي لهذه المبادرة.

وكتبت جيري بالاسيوس بيدو التي تظهر في صورة بفستان أسود "مدّني هذا العرض بالقوّة لأواجه التمييز".

وقالت بيدو (36 عاما) والتي تدرّس الإسبانية "أنا ممتلئة البنية وطويلة القامة وسوداء. وقاسيت التمييز مرارا في حياتي"، معربة عن امتعاضها من توصيات بعض الأطباء والأقرباء الذين نصحوها بممارسة الرياضة والتخفيف من الأكل.

وأضافت "لديّ 15 سنة من الخبرة في الفنون القتالية وأنا حائزة على الحزام البني في الجودو وغالبا ما يزداد وزني عندما أخفف الوجبات التي أتناولها". وتابعت "لسنا هنا لتبرير بنيتنا المكتنزة، لكن حتّى البدناء بحاجة إلى أن يخالطوا الناس ويرتدوا ملابس أنيقة ويندمجوا في مجتمعاتهم".

وأفاد المدير الفني للمعرض فنسان ماك دوم نجم تلفزيون الواقع المتشبّه بالجنس الآخر الذي ارتدى للمناسبة فستانا زهري اللون وانتعل حذاء ذهبيا عالي الكعب "جدتي وشقيقاتي كنّ مكتنزات وكنّ يشتكين طوال الوقت من عدم قدرتهن على ارتداء ما يحلو لهن والقيام بما يروق لهن بسبب نظرة الآخرين. وقد كنّ يتقوقعن على أنفسهن ويزددن وزنا".

وقرّر ماك دوم أن يختار "رهاب الأجسام الممتلئة" محورا لكفاحه ضد التمييز، باعتبار أن المتحولين والمثليين جنسيا يتمتّعون بتمثيل كاف.

وصحيح أن عروض الأزياء باتت تزداد تنوعا مع عارضات من أصول عرقية متعدّدة وأعمار مختلفة، لكن من النادر جدا الاستعانة بعارضات مكتنزات أينما كان، من نيويورك إلى باريس مرورا بلندن.

ولعلّ المصمّم العالمي كارل لاغرفيلد الذي توفي هذا الأسبوع والذي كان يعرف بحدّة لسانه قد تجرّأ على أن يجاهر بما يعتبره مصمّمو الدور الكبرى من المسلمات وقت اختيار العارضات. وقد صرّح "لا أحد يرغب في أن يرى نساء مكتنزات على منصات عرض الأزياء".

غير أن الأحوال باتت تتبدّل بفضل وسائل التواصل الاجتماعي حيث تلقى مؤثرات مكتنزات شعبية كبيرة. ويقول ماك دوم "الموضة أصبحت متأخّرة اليوم".

أما المسؤولة الرئيسية على هذا المعرض إيلين بيدار معاونة رئيسة البلدية المكلفة بمكافحة التمييز، فأطلقت مبادرة لإدراج عبارة "رهاب الأجسام الممتلئة" ("غروسوفوبي" بالفرنسية) في قاموسي "لاروس" و"روبير". وحققت مرادها.

وأوضحت بيدار أن "الأمور باتت تتحرّك في مجال الموضة لكن الوتيرة بطيئة ولا يزال الطريق طويلا قبل ضمان تنوّع فعلي".

وردًا على منتقديها الذين يتّهمونها بالترويج للبدانة، تجيب "نقوم بعكس ذلك تماما. فمكافحة البدانة لا تقضي بمواجهة البدناء. فلا أحد يختار أن يكون بدينا ولا بدّ من مرافقة هؤلاء الأشخاص في مسارهم".

ومنذ بضع سنوات، تزداد العروض المخصصة للمقاسات الكبيرة (التي تبدأ بالمقاس 42 في فرنسا) في نيويورك وريو ولندن وباريس وميلانو، علما وأن نقابة الموضة الأميركية دعت، في يناير الماضي، المصممين ودور الأزياء إلى الاستعانة بالمزيد من النساء بقياسات مختلفة.

وقالت بلانش كازي مؤسسة أسبوع الموضة المخصص للقياسات الكبيرة في باريس في عام 2014 "كانوا دوما يقولون لنا إن النساء المكتنزات لسن جميلات ومثيرات، وعليهن اختيار الملابس من متاجر قديمة الطراز. وإن الجمال الحقيقي يكمن في المقاسات التي تتراوح بين 32 و34 المعروضة في المجلات، في حين أننا لا نرى أشخاصا بهذه المقاسات في الشوارع".

صباح العرب

عدلي صادق

في سوق الكتاب

❏ حاولت بالتقصي، معرفة خلفية الكاتب الذي أصدرت له "دار المعارف" المصرية كتابا عجيبا غريبا، عن مطاردة الصهيونية وجهاز "الموساد" الإسرائيلي للمطربة أم كلثوم طوال حياتها. وحسب ما فهمت فإن صاحب الكتاب الذي جاوز الـ400 صفحة، من خريجي قسم اللغة العبرية من كلية الآداب جامعة عين شمس، وهذا في حد ذاته يؤشر إلى بعض الانطباعات المتعلقة بفضاءات الشاب، وهي في العادة، موصولة بالمعنيين بشعار "اعرف عدوك" ولا جناح عليهم. فخريجو قسم اللغة العبرية، معنيون بمتابعة الصحافة الإسرائيلية، والدخول إلى الأرشيف العبري ومطالعة المؤلفات العبرية كل منهم حسب خط اهتمامه!

غير أن كتاب صاحبنا عن أم كلثوم، يوحي من خلال سرديته واستطالاته وحشو كل سطر منه بمادة أرشيفية أو بجملة للتعريف مستقاة من موسوعة "ويكيبيديا" على شبكة الإنترنت؛ بأن حياة المطربة البديعة، ترافقت مع صراع استخباري عربي صهيوني، يتعلق بدورها أو بالمال الذي تتحصل عليه، وأن أمرها كان في موضع انشغالات زعماء وقادة استخبارات. وبدا الشاب صاحب الكتاب، من خلال اهتماماته، مستعجلا على رزقه، فهو مشروع ممثل سينمائي ومفكر خصم للأصوليين، ومن العارفين بما تعرفه الأرشيفات ولا يعرفه أحد عن سيد قطب، ومترجم وصاحب رؤية فلسفية. غير أن الذي يطالع كتابه عن أم كلثوم، يدرك من الصفحة الأولى، أن صاحب السطور لا علاقة له بتقنية الكتابة، ولا بمنهجية التأليف، بل لم يهتد أصلا لمنظومة مفاهيم تساعده على تعيين الفارق بين طبائع الأشياء، أو بين الاضطرار إلى الاقتباس، وحشو النص بالاقتباسات والخروج تلو الآخر عن الموضوع. فالمفاهيم تختلط، حتى يشعر القارئ أنه بصدد شخص دخل إلى الأرشيف في عجلة من أمره، لكي يلتقط كل ما يصادفه من مواد يراها مثيرة، ويرى أن العثور عليها فرصة سانحة للنشر سريعاً، دون تحديد مآلات مسارها المعرفي ومقاصدها أو حتى التدقيق في الألفاظ عند إعادة تدويرها. كأن الأخ يتعجل لكي لا يسبقه آخرون واهما أنه انتشل الدلو من البئر. فلماذا لا يسبق ويبيع قبل غيره في سوق الكتاب!

لا موجب للتطرق إلى مواضع الإسفاف والضجر والدلالات على النزعة التجارية في الكتاب الصادر قبل أشهر. ولكن يصح السؤال: كيف تقرر دار النشر العريقة، التي تأسست في القرن التاسع عشر، إصدار كتاب بهذا المستوى، دون عرض على لجنة لإقرار النشر، مختصة في قياس جودة المنتوج، أو حتى معرفة وجهته إن كانت امتداحا أم ذما وتشهيرا؟

أما بخصوص دحض الأيديولوجيا الأصولية، فلا فائدة تُرجى من الكتّاب والإعلاميين الذين يعرضون كلاما جزافيا وبلا منطق، لأن الطرف الآخر يسخر منهم ويستفيد مما يقولون. وهذا ما ينبغي أن يتنبه له القائمون على الإعلام وعلى دور النشر.

حديقة حيوان بريطانية تتيح لزوارها اللعب مع الأسود

❏ **ديفون (بريطانيا)** – سمح ممثلو حديقة حيوان دارتمور الواقعة في مدينة بليموث بمقاطعة ديفون (جنوب غرب بريطانيا) للزوار باللعب مع الأسود، في شهر فبراير الجاري، مقابل 19 دولارا للشخص الواحد.

وجاء ذلك في إطار الإعلان عن لعبة تتمثل في افتكاك قطعة لحم من فم الأسد، حيث دعا موظفو الحديقة زوارها للمشاركة بلعبة "الناس ضد الحيوانات"، مقابل 15 جنيها إسترلينيا للفرد.

ووفقا لصحيفة ديلي ميل البريطانية، فإن قواعد اللعبة تنص على رمي حبل تربط بنهايته قطعة من اللحم باتجاه الأسد. ومن الجهة الأخرى، خلف حاجز واق، يشد الحبل أربعة أشخاص يشترط أن يكونوا قد أتموا الثامنة من العمر في محاولة لتخليص قطعة اللحم من الأسد.

وأوضح موظفو الحديقة عبر الصفحة الرسمية لها في موقع فيسبوك أن "هذا النوع من النشاطات مفيد جدا للأسود للحفاظ على صحتها ولياقتها البدنية، من خلال إجبارها على القتال لأجل الطعام وتقوية عضلاتها".

ولفتت نشاطات موظفي حديقة الحيوان انتباه المدافعين عن الحيوانات، الذين وصفوا القائمين على الحديقة بقلة العقل وبأنهم أثبتوا عدم درايتهم بالتعامل مع الوحوش.

وقال بعض المدافعين عن الحيوانات "هل هم في العصور الوسطى؟ إن كل من يقف وراء هذه الفعاليات يجب أن يفكر مرتين قبل أن يهزأ بالحيوانات من أجل الربح المادي".

وأكد بنجامين مي، المدير التنفيذي للحديقة، أن مثل هذا "التدريب" شائع في حدائق الحيوانات البرية، مضيفا أن "الأسود كالبشر، تحب هذه الألعاب التي تنجح عادة. لقد تم تنظيم كل شيء لأجل مصلحة الحيوانات وليس من المهم أبدا إن شارك الزوار في العملية أم لا".

وسبق لحديقة الحيوان بلندن أن فتحت باب الحجوزات في العام 2015 للإقامة في غرف خشبية مريحة مبنية في محبس الأسود الآسيوية لكي تعطي نزلاءها شعورا يشبه شعور رحلات السفاري.

ورغم أن نزلاء هذه الغرف لم يكونوا على تماس مباشر مع الأسود، إلا أن هذه التجربة الفريدة من نوعها أتاحت لهم سماع زئير هذه الحيوانات من وراء جدران عالية، بحسب ما شرحت إدارة الحديقة على موقعها الإلكتروني.

وقالت إيما تايلور، المسؤولة عن تطوير خدمات الحديقة، في بيان "ستكون تجربة النوم بين الأسود الآسيوية الرائعة فريدة من نوعها".

والأسود الآسيوية هي أصغر حجما من الأسود الأفريقية، وتعيش الأعداد المتبقية منها في الطبيعة في غابة غير في الهند وتقدر أعدادها ببضعة مئات.

شركة يونانية تضع موزعا آليا للقنّب في أثينا

❏ أثينا – وضعت شركة يونانية، بعد سنتين تقريبا على تشريع زراعة القنّب وبيعه لأغراض صناعية في اليونان، موزعا آليا لهذه المادة في وسط أثينا.

وقال غريغوريس موراكوس ممثل شركة "همبويل" المتخصصة في بيع القنّب لأغراض صناعية والتي أسست العام 2016، "هذه سابقة في اليونان، وبحلول الأسبوع المقبل سيكون الموزع جاهزا للعمل وسيتمكن أي شخص من شراء أزهار القنّب".

وسيوفّر الموزع الذي وضع أمام متجر تابع لشركة "همبويل" بالتعاون مع شركة "تيري دي كانّابيس" الإيطالية، للمستهلكين بين غرام و3 غرامات من أزهار القنّب أو "براعم القنّب" بسعر يتراوح بين 10 و15 يورو للغرام الواحد، وفق موراكوس.

وأشار إلى أن الشركة "تستهدف الموسم السياحي الذي سيبدأ قريبا".

وشرّعت اليونان زراعة القنّب وبيعه لأغراض صناعية العام 2017، بينما أجاز قانون أقرّه البرلمان في مارس 2018 إنتاج القنّب لأغراض علاجية وطبية.

وأصدرت السلطات في نوفمبر الماضي، التصاريح الأولى لزراعة القنب لأغراض طبية لشركتين هما "بيوميكان" و"بيوبروكان" الواقعتين في لاريسا وكورنثيا على التوالي.

ألمانية شاركت في احتفالات الدورة الرابعة والثلاثين من كرنفال سامبا، أمس، في مدينة بريمن مرتدية أزياء مزركشة

مشاركة النجمة السورية سارة فرح لن تقتصر في الدراما السورية هذا العام فقط على مسلسل «مقامات العشق»، بل ستشارك أيضا بالغناء في شارة مسلسل «عندما تشيخ الذئاب»